بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجد العرب
والإسلام
وفذلكة في التاريخ العربي

تأليف

صالح محمد فارس

لقد انقضى عصر الذهب وطوى الردي صحف الأدب

لا يستطيع أولو النهى أن يكتبوا بعد العرب

الشاعر الإيطالي بترارك

الترقيم الدولي : ISBN 978 – 983 – 9470 – 96 - 3

المؤلف : صالح محمد فارس

عنوان الكتاب : مجد العرب والإسلام وفذلكة في تاريخ العرب

بيانات النشر : كوالالمبور – من إصدارات مركز دراسات العالم الإسلامي- الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

حقوق التأليف والنشر محفوظة ولايجوز إعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء
منه على أي هيئة أو بأية وسيلة إلا بعد مراجعة المؤلف والناشر

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or stord in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic or otherwise, without written permission from publisher

Centre for Muslim World Affairs Level 2,AIKOL Building
International Islamic University Malaysia
P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia
Email : editor_ijmu@iium.edu.my
Fax. 03-61964298, Tel.: 03-61966160, 03-6196 6161, 03-61966167

First Edition 2017

FAJAR ULUNG

FAJAR ULUNG SDN.BHD
Main office: No. 42G Jalan 6/21D, Medan Idaman,
Batu 5, Jalan Gombak, 53100 Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: +603 4021 9023 / +603 4021 8025 *Fax:* +603 4021 9029
Email: info@fajarbooks.com.my
Website: www.fajarbooks.com.my

بِسْم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي نبينا محمد وعلي اله الطاهرين وصحبه النجباء السابقين اما بعد

فتقديم كتاب ككتاب "مجد العرب" للمؤلف الموسوعي صالح محمد فارس تضعني امام عدة تحديات أولها ان الكاتب هو جدي لابي رحمهما الله جميعا فتكون الحيدة التامة في تقويم الكتاب أمرا قد يصدقه البعض وقد ينكره الاخر.

والتحدي الثاني انني لست أديبا حتي اتحدث عن السرد الدرامي في الرواية واللغة الأدبية للنص.

ولكن ما شجعني علي كتابة المقدمة ان أولي الناس بتقويم الأشخاص هو من يعرفهم عن قرب ويعرف المحيط الاجتماعي والثقافي والسياسي والنفسي لهم.

الاستاذ صالح فارس شهد تغييرات حاسمة في تاريخ مصر من قبل ولاية الملك فؤاد الي عام النكسة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وكذلك عاصر أحداثا جساما في العالم مثل الحربين العالميتين الأولي والثانية وكذلك اتفاقية سيكس-بيكو وانهيار الخلافة العثمانية ونشوء تركيا الحديث وغيرها من الأحداث البارزة في فترة حياته.

وعلي المستوي الاجتماعي فقد كان فاعلا في بيئته ومجتمعه باعتبار المهنة فقد كان معلما وناظرا لعدة مدارس في القطر المصري ومارس الصحافة في العديد من الصحف المشهورة في وقته وللاسف فقد ضاعت اغلب مقالاته التي كتبها في ظل احداث مأساوية مر بها علي المستوي الاسري في أواخر حياته وتسببت ايضا في ضياع مكتبته القيمة وكثير من الأصول

المخطوطة لكتبه وكتب جده العلامة اللغوي المؤرخ السيد بدر الدين الفارس وهو تراث نادر نسال الله ان يعوضنا فيه.

كان الاستاذ صالح فارس رحمه الله محبا لدينه وعروبته وبلده فكتب دفاعا عن الدين والتاريخ والتراث الاسلامي وكتب مؤرخا لمصر وأقاليمها وواصفا للتغيرات التي مرت بها عبر العصور وحتي رواياته ومسرحياته رصدت واقع الانسان المصري في مراحل وأماكن عديدة.

ولو قدر لكتابات وتأريخ الاستاذ صالح فارس لمصر ان يظهر للنور لكان مادة تاريخية هائلة للدارسين والباحثين.

تنوعت مؤلفات الاستاذ صالح فارس بين مواضيع عدة فقد كتب تفسيرين احدهما كبير طبع منذ زمن بعيد ولكن فقد للأسف الشديد والآخر تفسير علي هامش المصحف لم يستكمله رحمه الله.

وكتب كتبا عديدة عن التاريخ الاسلامي والتاريخ العام اكبرهم كتابيه "المحيط التاريخي" في تاريخ العالم وكتاب "مجد العرب" في تاريخ الاسلام.

وكتب في اللغة العربية كتبا عدة تنوعت بين كتب مدرسية لمختارات ادبية وكتب حول تسهيل وتجديد النحو العربي وقاموس معاصر مختصر للغة العربية.

وكتب دفاعا عن الاسلام كتبا في تجديد الفكر الديني والدفاع عن الاسلام ضد افتراءات المستشرقين.

وكتب في شؤون العلم والثقافة العامة كتبا عدة مثل كتابه "الانسان والحياة" وكتابه "اليواقيت النباتية" وغيرهم.

ولم يترك مجال الرواية والمسرح وهو الأديب الأريب فكتب عدة روايات ذات طابع تاريخي ووطني ومسرحيات من هذا الجانب ايضا وقد مثلت بعض مسرحياته في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي علي المسارح المصرية.

وقد أعاد إصدار بعض تراثه المفكر الاسلامي والكاتب الكبير الاستاذ محمد يوسف عدس منذ عدة سنوات فقد اصدر له كتابين صغيرين عن تاريخ الأقاليم والمدن المصرية هما "تاريخ بهوت" و"تاريخ القليوبية."

اما عن هذا الكتاب وهو عمل روائي يلخص التاريخ الاسلامي من خلال حوار بين مثقفين عرب وغربيين في سياق سهل ميسور يقرب للعامة والناشئة تاريخ الاسلام ويدافع عن بعض شبهات الاستشراق عن التاريخ الاسلامي.

والكتاب يحمل عنوان "مجد العرب" وهو نفس العنوان الذي عَنْوَن به كتابا اخر كبيرا عن تاريخ الاسلام كتبه ولم ينشر بعد.

والعنوان لا يحمل اي صبغة قومية ولكن سعي المؤلف للتأكيد ان حضارة الاسلام كانت حضارة عربية اللسان والثقافة فالعربية كما روي عن الصحابة هي عربية اللسان.

وهذا المعني واضح لدي المؤلف وهو سليل ال بيت النبوة وكذلك ينتمي نسبا الي العلامة اللغوي احمد بن فارس الرازي وهو فارسي النسب عربي اللسان والقلب.

وهذه الرواية تم تمثيلها كمسرحية في الثلاثينيات من القرن الماضي علي عدة مسارح مصرية وطبعت عدة مرات ولكن الطبعات الأولي مفقودة ثم عكف المؤلف عليها بالزيادة والتنقيح والتصحيح وما بين أيدينا الان هي النسخة التي كانت تجهز كطبعة ثالثة للرواية ولكنها لم تطبع–حسب علم المقدم– فها نحن نقدمها لعموم المثقفين والشباب عساها تحيي الاهتمام بدراسة تاريخ الاسلام وتحيي الاهتمام بالكتابة الرصينة باللغة العربية التي فقدناها امام هجمة

الكتابة العامية والكتابة بلغة عربية هجينة مع انجليزية لو استمرت لانقطع اتصالنا بتراثنا وانقطع الحبل بين الخلف والسلف لهذه الأمة.

وختاما نسأل الله العظيم ان ينفع بالكتاب ومؤلفه وان يرحمه ويجعل ذلك من العمل الصالح الذي يبقي بعد موته انه ولي ذلك والقادر عليه.

ا.د. وليد فكري فارس
مدير مركز شؤون العالم الاسلامي
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

المقدمة

نبراس في الجبهة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبيّ العرب الأمين. وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وبعد.

فإنّ إقبال الجمهور على كتابي هذا "مجد العرب" سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) شجعني على اقتضاب قصة تمثيلية منه وحازت القبول بين الطبقات المثقفة، بعد أنْ اجتازت ترخيص وزارة الداخلية (سلسلة ٢٠٨٨) بكتابها رقم ٤٩٢ في أغسطس ١٩٢٤م.

واليوم أتقدم بين أبناء وطني بمقتبس جديد، من ذلك الكتاب في طبعته الثالثة، يتخذ ثوباً قشيباً في الحوار الأدبي، بعد تنقيح القديم، وإضافة كثير إليه من الحقائق التاريخية، مشيراً إلى المراجع التي لم تتواتر في كتب التاريخ، وحسبي أنْ أكون قد أديت بعض ما عليّ من الحقوق لأبناء العرب والمستعربين؛ والله يمنحنا القبول والتوفيق؛ والهداية لأقوم طريق.

المؤلف
ابن فارس

أهديك يا خلّ العرب نبراس نور في الأدبْ

فيه العلا مطويّة فيه الحقائق والعجب

فلتقرء وا خبر الأولى حازوا العلا حاز والحسب

ملكوا الممالك والهنا وعصورهم مثل الذهب

وحياتهم كانت لآ لئ ينجلي فيها الطرب

كانت كمالاً باهراً والشرق منها قد جلب

والغرب منها سالبٌ واليوم ينكر ما سلب

سلب المعارف كلها والمجد فيها قد ذهب

لقد انقضى عصر الجلا ل مع الحقائق والأدب

لا يستطيع أولو النُّهَى أن يكتبوا بعد العرب

إن رمت تعرف في الورى آثارهم ممّا احتجب

فكتابنا فيه الهدى وكتابنا فيه الأدب

المؤلف

الحوار

في مدينة رغدان من بلاد العرب حـ لحوار الذي سيتلى عليك بين "زهران بن مازن" أحد رجالات النهضة الأدبيه، و حسان بن الحسن" أحد أمراء اليمن، و "هاليفي" المستشرق الفرنسي، و "إسماعيل الأصفهاني" فيلسوف العجم، و

"هربـرت" الأمريكـي، وغـيرهم ممـن سـنقصّ عليـك نبـأهم إن شـاء الله، بـالحقّ والأدب، وفيه يتجلَّى مجد العرب.

الباب الأول
مجد العرب القديم

حسان بن الحسن، أمير من أمراء اليمن؛ ذو جاه وشرف، وبحث واطلاع، وحكمة وابتداع ، وفضلٌ جليلٌ ، ومجد أثيلِ

وله شغف بالآثار، والتجوال في الا ؛ يضحي بالنفس والنفيس، في سبيل البحث والتنقيب، والتحري عن كلّ أمرٍ عجيبٍ؛ وطالما استقدم العظماء والباحثين؛ واستخدم في ذلك كلّ شيءٍ ثمين. وهو مع هذا سَمَيْذَعٌ ذكي، وورِع تقيّ، يؤدي الواجب، ويعرف مكانة الصاحب، وكان ذا كلمة عليا؛ ولم ينس نصيبه

مـن الـدنيا؛ بـلْ كـان يهـتم بالأخبـار، ويحـتفظ بالآثـار، ويقتـني أحـدث المخترعـات ويجيد بعض اللغات، وهو محفوظ الكرامة، ومعروف بالاستقامة.

فـرغ مـن تأديـه فريضـة الحـجّ، وانتبـذ مكانـاً قصـيّاً، جنـوبي الطـائف، ومكـث فيـه مليـا؛ يرتقـب مـرور إخوانـه، وأصـدقائه وخلانـه؛ الـذين وافقـوه في سـيرته، ورافقـوه في حجتـه؛ وقـد ضـرب قبتـه علـى ربـوة ذات قـرار مـن الصـوان؛ شمـالي مدينـة رغـدان؛ في سـفح جبـل عسـير؛[1] حيـث الخـير الغزيـر، والظـلّ الظليـل؛ والنسـيم العليـل؛ والزيتـون والنخيل؛ والثمر الجزيل، والزروع والأزهار؛ والفواكهة والأشجار.

ولمـا جـرى ذهـب الأصـيل البـديع ؛ علـى سـراب هـذا البقيـع ؛ مـرّ عليـه رجـلٌ جليـلٌ، يترنّم بصوته الجميل؛ وصداه يشدو من بعيد، ويردّد هذا النشيد:

قد حار فكري في البوادي مـــن حـــين أن قـــال المنـادي

أهل البداوة في الـورى عاشـــوا دهـــوراً فـــي رقـادِ

عاشـــوا زماناً نوَّمـاً ولقد تزايـد في العنـاد
ولقد تزايد في الهـوى عجباً له دون العبـاد
عجبـــاً له قد فاتـه علم الأوائل والرشـاد
علم الأوائل فاتـــه يـــا ليتـــه تـــرك التمـادي

يا ليته سلك الهـــدى حـتى يوفّق للسـداد
حتى يوفّق أو يـــرى آثارنـــا من بعد عـاد
آثارنـــا تحكـي لـه قـد كـان أصـلي فـي البوادي

قد كان أصلـي ها هنا قومـــــــــوا انظروا مجد البلاد

ثم نظر يمنةً ويسرةً ووقف يناجي نفسه قائلاً:

---

[1] بلاد بين الحجاز واليمن ورغدان مدينة في شمالها.

عجبت لمن يجهل مجد العرب ويدّعي أنّه من رجال العلم والأدب.

وما الأدب إلاّ في علوم الأوائل ومن لا يعلم التاريخ فهو جاهل

يا للعجب يا للعجب. أينسى مجد العرب، ويجهل عصر الذهب؛ ثمّ يزعم أنّه من دعاة الأدب؟.

فسمعه حسان وتحرك من مضجعه؛ ثمّ برز من قبته، فرآه زهران، وأحدق فيه ببصره مليّاً. وقال في سكون وتؤده: من يا ترى هذا الرقيب الحارس؟ الذي تزيَّا بزيّ الفارس.

فأجابه حسان بعد أن عرف حيرته، وقال له: ومن أنت أيّها الحائر؟ وإلى أيْن أنتَ سائر؟ فقال: أنا زهران بن مازن من قبيلة هوازن[1] ومن رجال النهضة الشرقيّة. أخذتني الحميّة العربيّة، وحركتني الشهامة الأدبية، لإنكار المعالم، وارتكاب المظالم، فنطق لساني، بما يخالج جناني، من نصرة الحقّ، وقول الصدق؛ ومن أنت أيّها الأمير، لأُخبرك بخبر خطيرٍ؟

فقال: أنا حسّان بن الحسن؛ من أمراء اليمن. فحيّاه زهران؛ وقال: أنعم بسيدي الأمير. أنتم ممن زكا أصلهم؛ وطاب فرعهم؛ ويحقّ لي أن أعرض عليك المسألة؛ بعبارة مجملة؛ وبعد هذا يكون التفصيل؛ في ذلك الأمر الجليل:

لقد قابلت اليوم، رجلا من العجم؛ يزعم أنّه خبير بشئون الأمم، فجحد مجد العرب؛ وادّعى أنّه من رجال التاريخ والأدب. فجادلته بالإحسان؛ فزاد في البهتان؛ فلازمت السكوت والسكون؛ لاعتقادي أنّه مجنون؛ وتركته من غير رفيق؛ ضالاً في الصحراء عن الطريق؛ لظنّي أنه ليس من بني الإنسان؛ وربما يمرّ علينا الآن.

قال الأمير. أمثال هذا كثيرون، فذرهم في طغيانهم يعمهون؛ يدّعون الفلسفة؛ زوراً ومجازفة.

وبينما هما في الحديث المجيد؛ إذ أقبل العجمي من بعيد، يتمثل بهذا النشيد:

---

[1] قبيلة عظيمة تقطن في الجنوب الشرقي لمكة وبالطائف كما في قيد الأنساب، ج١، ص٨٦.

قالوا وقد ركبوا الشططْ ∴ لا تُنكـــروا الآثار قطْ
من يُنكر الآثـــار يجـــ ∴ ـــهل مجدنا بل قد خلط
فغدوت أبحث ساعيـاً ∴ والسعي كـان من الغلط
وعلمت أن قد بالغـوا ∴ في مجدهـــم مُذْ قد هبط

عنـد ذلـك نهـض الأمـير حسّـان، ووقـف وقفـة الشـجاع الغضـبان، وقـال لفيلسـوف العجـم: كفـى كفـى أيّهـا الفيلسـوف، فعلمـك ظـاهر ومعـروف؛ أأنـت الـذي تنكـر مجـد العـرب، وتبعـدهم عـن الفضـل والحسـب؛ ومـن أنـت أيّهـا الجليـل، حـتى تنكـر مجـدنا الأثيل.

ففـزع العجمـي ووقـف صـامتاً، وصـار حـيران باهتـاً؛ وقـال في نفسـه: مـن يـا تـرى هـذا الأمـير؟ الـذي واجهنـا بهـذا السـؤال الخطـير. ثمّ رفـع صـوته وقـال: ألم تعـرفني يـا شـيخ العـرب؟ وأنـا الكهـل في فنـون الأدب. وهـل لم تسـمع بإسمعيـل الأصـفهاني؟ المؤلف في الفلسفة والتاريخ والأدب والمعاني.

قـال الأمـير: شـرفت أيّهـا المفضـال، ومـا الـذي حـدا بـك إلى هـذا الجـدال حـتى جلت في ذلك المجال.

كشف الأثار العربية

فقـال العجمـي: لقـد بحثـت في تـاريخكم القـديم فهـالني مـا فيـه مـن الوصـف[1] العظـيم مـن تشـييد القصـور ووصـف الآثـار والـدور فجئـت هنـا أشـهد تلـك الآثـار، وأكشـف[2] عنهـا في هـذه الـديار؛ فمـا رأيـت لهـا مـن قـرار. فعلمـت أن مـا قيـل عـن

[1] تـرى مبالغـات غـير معقولـة في كثـير مـن كتـب التـاريخ كالمسـعودي والطـبري وبـدائع الزهـور وغيرهـا وربمـا كـان أقربهـا للصـواب ابـن الأثـير والهمـذاني والكنـدي وابـن خلـدون ومـن نحـا نحـوهم كـأبي الفـداء وقيـد الأنساب لابن فارس.

[2] أول مـن ارتـاد بـلاد العـرب للكشـف عـن آثارهـا الهمـداني في القـرن الرابـع مـن الهجـرة، ثم زارهـا العـالم الألمـاني ميخـابلس ١٧٤٦م، ثم أرسـل فريـدريك الخـامس ملـك الدانمرقـة بعثـة سـنة ١٧٥٦ البحـث

مجدكم قبل الإسلام، إنما هو خرافات وأوهام، أو أضغاث أحلام. وأن أخبار العرب لم تكن مضبوطة التقدير، كما يشهد ابن الأثير،[1] بل نقل كلّ مؤرخ ما وصل إليه من غير تحقيق، وزاد بعضهم كثيراً من التزاويق، وأمّا مجدكم الأثيل، فبعد الإسلام بقليل.

فقال حسّان وكم يوماً هنا مكثت؟ وفي أي الكتب قرأت؟ حتى نطقت بما نطقت.

فقال إسمعيل: لقد اطلعت على كتب المؤرخين الأعلام. ولي هنا زهاء شهر وعشرة أيّام.

فقال الأمير: إن هذا الزمن لا يكفي للتنقيب، عن مجد العرب العجيب. فضلاً عن أنّك لا تعرف شيئاً من اللغات القديمة، المدونة على الآثار العظيمة؛ كاللغات النبطية والآرامية، والحميرية والساميّة. ولو كنت تعلم ذلك، لظهر لك فضل العرب على كلّ الممالك؛ كما فعل الأوربيون المستشرقون ببلادنا. حتى وقفوا على آثار مجدنا؛ ومن أولئك البحاثين غلازر[2] وميخايلس[3] الألمانيان؛ وكروتند[4]

تلك الآثار ثم تلتها بعثات من الإنجليز والفرنسيين كما سيتلى عليك إن شاء الله ومنهم العالم كرستن نيبوهر Carsten Niebuhr.

[1] ابن الأثير ص١٨١، ج١، وتاريخ العرب الأدبي للأستاذ رينولد ج١.

[2] مستشرق ألماني وعالم أثرى ارتاد بلاد واليمن في القرن الماضي ورجع ومعه نحو ألف أثر منقوش.

[3] عالم أثرى ألماني وهو أول من زار اليمن من المستشرقين وتوفي سنة ١٧٩١م.

[4] [4] ضابطان إنجليزيان عثرا على نقوش حميرية باليمن في القرن الماضي وعرفت رموزها سنة ١٨٣٨م

وولستد[1] الإنجليزيان؛ وهاليفي[2] وأرنو[3] الفرنسيان. وغيرهم ممن استعانوا بمؤلفات العرب واليونان قديماً؛ ثم أتوا بلادنا، وكشفوا عن آثارنا.

فقال إسمعيل: وكيف أستعين بمؤلفات الأمم؛ وعندي كثير من مصنفات العجم؟.

فأجابه حسّان قائلاً: لقد بالغتم في تلك المؤلفات؛ وموهتم الحقائق بالخرافات. ولكن أولئك بحثوا وكتبوا؛ وشهدوا وتعبوا. فأثبتوا كلّ ما سمعناه عن آبائنا؛ بعد أن حلّوا رموز آثارنا.

أنساب العرب

فقال العجمي: أنا متفق معهم في أنكم خرجتم بمؤلفاتكم من الحقائق التاريخية، إلى الفخار والأساطير الخياليّة؛ وشحنتم كتب الأدب بالفخر والنسب الذي قال فيه (روبنصن سميث) إنّه أكاذيب وهميّة وإنّ أسماء القبائل ليست أسماء رجال قد عاشوا كما يزعمون؛ بل أكثرها بشبه المسمى طوتم Totem عند الأمم المتوحشة.

فقال حسّان: وما معنى طوتم أيّها الفيلسوف؟

---

[2] يوسف هاليفي مستشرق كبير أرسلة وزارة المعارف بفرنسا سنة ١٨٦٩م إلى اليمن وعاد ومعه سبعمائة نقش أثرى كان لها أثر في التاريخ العربي.

[3] مؤرخ فرنسي جال في اليمن سنة ١٨٤٣م ورجع بنقوش هامة غيرت التاريخ.

فأجابه إسمعيل: إن هذا لفظ أوجيبي[1] هندي يراد به كائنات تحترمها القبائل المتوحشة كالهند واستراليا وجنوبي إفريقيه ولم ينتشر هذا اللفظ إلاّ في القرن الماضي بعد أن كتب فيه ذلك المؤلف وأمثاله ممن جردوكم من النسب وأنكروا عليكم الحسب.

فاكفهرّ وجه حسّان، وقال: إن هذا عنوان الجهالة التي لا مراء فيها، ولودرى أمثال هؤلاء الكتاب ما كتبه المستشرقون المنصفون من أبناء جلدتهم عن مجدنا ونسبنا لفاءوا إلى رشدهم، وعرفوا مجد الأجداد. ولكن من يضلل الله فما له من هاد. لقد كان للعرب قبل الإسلام وبعده رواة[2] نسابون لا تقبل عباراتهم إلاّ بإسناد صحيح متصل كما ترى في مؤلفات القرشي والهمداني والكندي والسمعاني والأصمعي والأصفهاني وغيرهم من فحول الرواية والأدب. وقد عنى ابن خلدون في كتابه العبر بالأنساب[3] وحدودها ووجوب العمل بها والاهتمام بما فيها والاستفسار من علمائها وفاقاً للتاريخ والشريعة، وحضّاً على النهوض بهذا الفن والأخذ به. ونحا نحوه كثير من المؤرخين كبدر الدّين فارس مؤلف قيد الأنساب في القرن الماضي وغيره. وأمّا مجدنا الأثيل؛ فليس فيه أي تضليل. ألا تدري أنهم عثروا على أنقاض مدرسة لتدريس العلوم والفلسفة في عهد البابليين قبل الميلاد بثلاثة[4] آلاف من السنين؟ وكنا نعيّن فيها النساء. ورجال العلم والقضاء. وما كنت أعتقد صحة هذه الأخبار إلاّ بعد ظهور تلك الآثار.

---

[1] أدق ما جاء في النسب القديم الكتاب العاشر من الإكليل للهمداني كما أشار إلى ذلك الأستاذ رينولد نيكلسون مدرس التاريخ بجامعة كمبردج وكذلك (Sudarabische Studien) للأستاذ د. هـ. مللر ص١٠٨.

[2] مقدمة ابن خلدون ص١١٠.

[3] العبر لابن خلدون ص٣-١٩ ج٢ وقيد الأنساب ص٢٤، ١٣٦ ج١.

[4] Clay Light on the testament from Babel.

فقال إسمعيل: أنا لم أر في كتب المؤرخين ما يؤيد لكم خبراً في العلم والقوانين في عهود أولئك الغابرين.

فنهض حسّان وقال: ولكنك لو اطلعت على كتب الحديثين،[1] لعلمت العلم اليقين من أخبار الغطارف الذاهبين.

فقاطعه إسمعيل قائلاً: لعلك تقصد مجد الإسلام وما ظهر فيه من الأعلام. وأمّا قبله فأساطير لم تحز قبولاً عند أهل العلم والتحرير.

فسكت حسّان مليّاً. ولكنه يكاد يتميّز من الغيظ. ثم أراد أن ينسي نفسه ما جابهه به هذا العجمي، ويسرّى عن روحه الفياضة هذا الترح؛ فأخرج من متاعه آلة للحاكي الجوي المذياع (الراديو) وكان على اتصال برجال النهضة الشرقية العربية. وما هي إلاّ دقائق حتى نطقت الآلة بمحاضرة كان يلقيها أحد رجال النهضة وعقبها بقصيدة طويلة على لسان مجد العرب وصل إلينا منها ما يأتي:

اسمع حديثاً من عجبْ ... يصفُ الحقائقَ والأدبْ
إني أنـــا، مجـدُ العرب ... والصدقُ دأبـي يا بطل
والصدق دأبـي والكرم ... والنّاس تعلم من قِدَم
أني لهم قبـــل الأمـــم ... قد كنت فيهم من أجل
قد كنت مرفوعاً هُنـــا ... في ذي البلاد مع الغنى
والعُرب كانـوا في هَنا ... والعلم يشهد في الدول
والعلم يشهد في الورى ... أني صحوت من الكرى
فرفعت آثـــاراً تُرى ... في ذي البـلاد ولم تزل
في ذي البلاد قصورنـا ... والعلم فيها نورنـــا
وبه يتم سرورنـــــا ... والسعد طوعي في الأزل
والسعد طوعي من قدم ... والغرب كانـوا في عدم
والسيف يشهد والقلم ... والدّين ينطق في المِلل

[1] راجع مؤلفات رينولد الأستاذ بجامعة كمبردج ومؤلفات ميللر وغلازر وهاليفي وارنو وكروتند ووللستد وغيرهم من عظماء المؤرخين والمستشرقين.

والدين ينطـق في المـلا منَّـــا النبيون الأ لي
بسطوا الشرائع والعلا منا الملوك أولو الأمل
منــا تبابعــة [1] اليمن وكذا عمالقــة[2] الوطن
وبنو[3] المعين وذو يزن وملوك[4] مأرب والأول
وملوك[5] بابـــل والحضر منـــا الملوك ذو والأثر
قوموا اسمعوا هذا الخبر وخذوا المهارة في العمل
وخذوا المهـــارة سلّما بل لا تكونـــوا نوّمـــا
حتى أعود منظمـــا أحـــوز فضلاً في الدول

عنـد ذلـك تبسـم حسّـان وزهـران ضـاحكين وبـدت علـى العجمـي علائـم الدهشـة والحـيرة إذ كـان حـديث عهـد باسـتماع هـذه الآلـة الـتي خالهـا سـحراً جسـيماً أو شـيطاناً رجيمـاً وقـال في هـدوء وسـكينة: مـا هـذه الحـوادث المريعـة وقـد كنـت أرتـاب فيمـا وراء الطبيعــة. ولكنــني أصــبحت أعتقــد فيهــا الآن، وإن هــذا الأكــبر برهــان؛ عجبــاً لهــذا البيان!! ما هذا أيّها الجليلان؟

فأجابــه حسّــان قــائلاً: قليجبــك زهــران. فــانبرى زهــران للإجابــة وقــال: هــذا يــا إسمعيـل برهـان جليـل يؤيـد مجـدنا الأثيـل ويظهـر عملنـا الجميـل؛ وهبـه الله لنـا معجـزة في هـذه الأيّـام لإعـلاء شـأننا بـين الأنـام. وهـا أنـت قـد شـهدته عيانـاً وسمعـت منـه بيانـا. فهل بعد ذلك من مكابرة في آثارنا الظاهرة؟.

قـال إسمعيـل: نعـم إنّـه يـذكر القصـور والآثـار. ومـا رأيـت منهـا شـيئاً في هـذه الـديار غير التلال والجبال. وبعض التماثيل بين الرمال.

---

[1] ملوك اليمن.

[2] العرب الهكوس.

[3] قصبة سبأ باليمن وآثارها باقية.

[4] دولـة في الجنـوب تكلـم عنهـا اسـترابون (strabon) قـديماً والهمـداني أيضـاً وكشـف عنهـا المستشـرق هـاليفي ونقل منها زهاء ٣٠٠ ثلثمائة نقش وقرأ ما عليها بالمسند وهي في الجوف الجنوبي شرقي صنعاء.

[5] من بلاد الشمال في العرب وفيها بلبلت الألسن كما روت التوراة اص١١ من سفر التكوين.

آثار بطرا

فقال زهران: تعال معي أيّها المفضال لأريك آثار الجلال في بابل وبطرا[1] التي من آثارها الرقيم المذكور في القرآن الكريم.[2]

فاستفسر إسمعيل عن بطرا (Petra) لأنه اسم غير عربي فقال حسّان: نعم يا إسمعيل إنّ اسمها حرفه الفرنج كما حققه كبار المؤرخين،[3] من لفظ سلع المعروف في معجم البلدان وفي سفري أشياء[4] والقضاه من التوراة. وهذا التحريف حدث من رجال أوروبا لعدم تمكنهم من نطق سلع فتفهموا معناها فإذا هو الحجر فترجموه باسم بطرا (Petra) ونقله الشرقيون خطأ.

آثار تدمر

قال زهران: ويؤيد هذه الرواية ما ورد في تاريخ العرب قبل الإسلام من أنّ عاصمة الأنباط بطرا وهي ترجمة اسمها بالعبرانية فقد كان اليهود يسمونها سلع وهو الحجر في لسانهم.[5] ونحن لا نذهب بعيداً في بحوثنا اللفظيّة بل تعال معي لأريك ما يفوق الأهرام، من آثار ملوكنا العظام. أريك في تدمر[6] هيكل الشمس العظيم المعروف للنّاس من قديم. وقد ارتفع في السماء ارتفاعاً. يبلغ ثمانين ذراعاً وطول

---

[1] كانت قصبة الأنباط قديماً وهي دولة ظهرت شمالي بلاد العرب قبل الميلاد بثمانية قرون.

[2] "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آبائنا عجبا" من سورة الكهف.

[3] العلامة أحمد زكي باشا بالأهرام في ٢٧ من ديسمبر سنة ١٩٣٣م وقيد الأنساب ص١٦ ج١.

[4] التوراة ١:١٦ من أشعياء و٣٦:١ من سفر القضاه.

[5] تاريخ العرب قبل الإسلام ص٣١، ٦٨.

[6] دولة ظهرت في القرن السابع الميلاد بين الشام والعراق وجاء عن وصفها كثير في كتاب: Palmrre par A. champdor وأن هياكلها شيدت لآلهة الشمس على نظام الكلدانيين وأنّ الحضارة بلغت فيها منتهاها.

أحد الأضلاع، يزيد عن أربعمائة[1] ذراع، وبه خمسمائة عمود، ليس لها مثيل في عالم الوجود.

تعال معي أطلعك على الرواق الأعظم الذي تنطق جدرانه بعظمته، وتشهد عمدانه بروعته. وقد امتد أكثر من ألفي ذراع حتى فاق المذكور آنفاً في الارتفاع. وبه ثمانمائة من العمدان. يشهدها هناك كلّ إنسان.

آثار غسان

ثم انبرى الأمير حسّان، لاقتحام هذا الميدان؛ وطفق يقص وهو غضبان ماأتلوه عليك من البيان: ألم يصل إليه خبر القصر الأبيض[2] العظيم؛ المؤسس من الرخام السليم؟. الذي يرى وكل جدار منه قطعة واحدة وقد نقش عليه صنوف من الحيوان، وصور يعجز عن نقشها الجان، وقد علمنا أنّ هذا من آثار غسّان، قبل الإسلام بمئات من الأعوام.

وها هم مؤرخو الافرنج يقومون من وقت لآخر بشهادات خالدة تسطر للعرب بمياه الذهب ومن أولئك الأستاذ فلندر[3] بترى الذي ألقى محاضرة في جامعة لندن قال فيها: إنّ الحفريات الأخيرة التي قام بها أثبتت أنّه كان بين العراق ومصر مدنية من أرقى المدنيات التي أنتجت أعمالاً من أروع الأعمال الفنيّة وقد انتقلت هذه المدنية إلى شمال سوريا ولم يعرف عنها شيء من السجلات المكتوبة.[4]

---

[1] العرب قبل الإسلام ص٩٠ ومذكرات فولتي الذي شهده بنفسه في منتصف القرن الماضي.

[2] محيط التاريخ للمؤلف وتاريخ العرب في الجاهليّة ومذكرات كثير من المستشرقين ولا يزال هذا القصر يشهده هنالك من يريد وقد وصفه غير واحد ممن شهدوه وصفاً دقيقاً عجيباً.

[3] الأستاذ فلندر بترى (Petrie) عالم أثرى بحاثة رحالة وهو الآن مدير الجامعة الإنجليزية للآثار المصرية بلندن.

[4] الأهرام في ١٧ من يونيه سنة ١٩٣٤م.

ومع ذلك وجدنا أنّه لا يزال ينتقصنا الشيء الكثير مما يجب أنْ نعرفه عن تاريخ العرب والشرق. وقد شرعنا توّاً في درس هذا المركز العظيم لحضارة بابل والعراق اللتين نشرتا لواء المدنية في العالم ونحن لم نتبين بعد أصلهما ولا مصدرهما.

وجميع المستشرقين يعرفون هذه الحضارة ويعترفون بها في مؤلفاتهم ومحاضراتهم وجدير بك وأنت شرقي منا أن تقف على ذلك وتقتنع به.

عند ذلك أطرق إسمعيل رأسه ملياً وقال: والله لو لا أنكما من ثقاة المحدثين لما تحقق لديّ هذا الخبر المبين.

فقال حسّان في هوادة ولين: الآن يمكنني مناظرتك أيّها الشيخ الأمين. أتدري يا فيلسوف أصفهان؛ لأي سبب جئت هنا الآن؟

فأجاب إسمعيل بقوله: لا أعلم السبب يا شيخ العرب.

مجد اليمن

قال إنني جئت الآن لمقابلة أحد المستشرقين من كبار الفرنسيين الذين مهروا في حل رموز الخطوط[1] القديمة. لأني عثرت في الشهر الماضي على آثار عظيمة في بلادنا الجنوبية. وليس فينا من يدرك الرموز الأثرية وقد طلبناه لذلك. وهو الآن يبحث فيما هنالك. وسنمنحه منحات جزيلة، كما فعلنا معه من قبل؛ وربما يتم عمله ويحضر بعد زمن؛ فيرشدك إلى آثار اليمن.

---

[1] الخطوط العربية القديمة في الجاهليّة كثيرة أهمها المسند باليمن الذي اشتقت منه حروفنا الآن ولكن مع التباين الواضح ومن الخطوط القديمة: الصفوي والثمودي واللحياني وكلها وكلها كانت بالحجاز، والمساري الشبيه بالمصري القديم (الهير وغليفي) وكان في شمال بلاد العرب، والنبطي وكان في غربي العراق، والآرامي وكان بتدمر. وجميعها يخالف ما نكتب به اليوم. وقد وضعنا في ذلك مذكرة خاصة في التجديد ونشرناها بالبلاغ في ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٣٣م كما كتب في خطوط اليمن الأستاذ روديجد أستاذ اللغات الشرقية بجامعة هل وفيها يشير إلى أن الخطوط كانت تقرأ من اليسار إلى اليمين كالإفرنج.

قال العجمي: نعم أسمع الثناء الحسن على أمراء اليمن. ولا أعلم آثاراً لهم إلاّ إطراء عليهم. إذ كانوا في مدينة وحضارة. فتولّوا تسعير التجارة.[1] وسهلوا البريد وعملوا كل ما يفيد. من إصلاح البلاد، ورفع العماد واستعمال صهاريخ الماء، تجري في بطون الغبراء. وقد حفظوا مياههم في السدود والخلجان. كما فعل اليوم بخزان أصوان.

سد مأرب

ومن آثارهم سدّ مأرب[2] (وبار) الجليل. الذي ورد خبره في محكم التنزيل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ١٥ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ[3] وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ١٧ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[4].

وقد كان هذا السد هندسياً منيعاً وتوالى على بنائه بضعة من ملوك سبأ قبل الميلاد بثمانية قرون. وليس من السهل وصف روعته إلاّ إذا أدركنا ما يعانيه أقطاب المهندسين في إنشاء الخزانات على النيل وغيره وما يرومونه في الحاضر والمستقبل من وراء ذلك.

---

[1] A. muller: Derislam in morgen und Abendland. p.24.

[2] يرى بعض المؤرخين ومنهم المؤرخ شيخ العروبة أن اسمها وبار (لا مأرب)

[3] مُرّ .

[4] سورة سبأ من القرآن الكريم. .

وكانت تلك البلاد قبل سد مأرب سيولاً فياضة أيام المطر حتى إذا حل الصيف أصابها الشرق والجدب والقفر. ففكر أولئك الملوك الغابرون في حصر مياه تلك السيول في دائرة منيعة بنظام هندسي وسدّ يبلغ ارتفاعه أكثر من عشرة[1] أمتار وطوله نحو ستمائة متر وعرضه زهاء مائة متر، ويتحد مع ما حواليه من الجبال. وله عيون بين كل طبقة والأخرى أقل من متر، وإذا أريد الانتفاع بمياهه نزعت سدود عيون الطبقة العليا فتدفقت المياه على جانبيه شمالاً وجنوباً بقدر فتسقى أكثر من ثلثمائة ميل مربع وتلك مساحة الجنتين الوارد ذكرهما في القرآن الكريم. ثم تنزع سدود الطبقة التي تليها بالتوالي عند الحاجة إلى الماء حتى لا يحدث غرق أو شرق طيلة العام. وإذا ما فرغ الماء استعدوا للسيول الجديدة وأعادوا والسدود كما كانت. ولا تزال[2] آثار هذا السدّ باقية ناطقة بفضل تلك الجهود العظيمة التي بذلها ملوك اليمن قديما. ويثبت غلازر أن ذلك السدّ تخرب وتهدم في سنتي ٥٣٩ و٥٦٥ ميلادية بعد أن حقق ذلك من رسائل كانت متبادلة بين الأحباش واليمن في ذاك العهد.

والنقوش تؤيد ذلك كما تثبت أسماء الملوك الذين بنوه ومنهم: يثعمر وسمهعلي وذمر ويدع إيل ولما تخرب السد تفرقت قبائل الأزد وغيرها في بلاد العرب. وحاول أبرهة ترميم ما تصدع عنه فلم يفلح بعد أن أفرغ جهده وعماله فيه نحو شهرين وارتفعوا[3] به كثيراً ولكن بدون جدوى.

مدينة مأرب

---

[1] الهمداني ج١ وكان التقدير بالذراع العراقي وقد حولته إلى أمتار.

[2] Muller Buvg.

[3] مذكرات غلازر الألماني سنة ١٨٩٧م وكتاب Travels Arabia

وأمّا مدينة مأرب (وبار) فقد كشف عنها العالمان الفرنسيان أندربه مالرو المؤرخ الأثري الكبير ومولنبية الطيار بمساعدة حسن[1] أنيس باشا المصري في مارس ١٩٣٤م. ووصفاها بعد أن شهداها في الطيارة بأنها مترامية الأطراف ذات مبان وبروج شاهقة تتألف من طبقات كل منها أضيق من التي تحتها (كالهرم) ناصعة البياض كأنها من المرمر وقاعدتها من الصوان الأسود[2] اللامع ويحيط بها سور متهدم وتدل آثارها وروعتها أن سكانها لا يقلون عن مائتي ألف نفس.

وقد عرفت سبأ وضواحيها بالمهارة في الفنون والبراعة، وإصلاح شئون الزراعة وإتقان الصناعة. وكل هذا مدون في المؤلفات ولم أشهد منه آثار آيات؛ إلاّ بعض شعاع وصل إليّ بالسماع أو بالاطلاع. وأعلم أن الآثار والأخبار والأفكار كلها تتناصر[3] على إثبات حضارة عربية في الأزمان القديمة الجاهلية ولا سيما في اليمن.

ملوك اليمن

فقال حسّان: إلى هنا أعترف لك بسعة الاطلاع. وإن كنت لم تشهد لأصحابها بالمجد قدماً كما أنك لم تشهد آثارها القيّمة. ولكني أزيدك علماً أن ملوك اليمن كانوا يلبسون الخز ويفترشون الحرير ويستعملون الآثاث الحديث من أريكة إلى سرير. كما كانوا يستعملون أواني الفضة والذهب ونالوا آيات العجب

---

[1] الأهرام في ١٤ من مارس ١٩٣٤م.

[2] يكاد هذا الوصف يتفق ورواية الهمداني قديماً وهو فضل لا يجحد لهذا المؤرخ العظيم الذي يعتبر حجة عند الفرنج لاتفاق الآثار والكشف مع روايته وخاصة ميللر ورينولد في كتابيهما تاريخ العرب.

[3] العدد الأول من الرسالة.

وبلغوا غاية الأدب. إذ رفعوا عروشهم الذهبية على أساطين فضيّة. مرصعة باللؤلؤ والجوهر. والياقوت الأحمر[1] عرش بلقيس.

عرش بلقيس

فقال العجمي: لقد قرأت في الكتب ما هو أعلى وأكبر. قرأت قصيدة شاعر قديم يصف عرش بلقيس العظيم:

عرشها[2] رافع ثمانون باعاً ∴ كلّلته بجوهر وفريد
وبدُرٍّ قد قيّدته وياقو ∴ ت بالتبر أيما تقييد

قال حسّان ولماذا لا تصدق ذلك وقد جاء ذكر هذا العرش في القرآن الكريم :

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [3] وهذا ما يتفق تماماً مع رواية المؤرخ الكبير مالرو الذي قال بأنه شهد وهو في الطيارة الصائبة الذين يعبدون الشمس[4] عند كشف مدينة مأرب وهم في مناعة وبأس وقوة، ولولا روعة ذلك العرش وبهاؤه لما استعان سليمان على نقله وأخذه بوساطة الجن أو ناموسه آصف الذي كان على علم من الكتاب كما ورد في الذكر الحكيم: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ

---

[1] مواسم الأدب والكنوز للقرشي ولا ينكر ذلك الهمداني والمسعودي بل لمح الأول إلى ذلك كما صرح الثاني به.

[2] ينسب هذا الشعر إلى حسّان بن تبع اليمني أحد التبابعة الذين حكموا اليمن.

[3] سورة النمل من القرآن الكريم.

[4] الأهرام في ١٤ مارس سنة ١٩٣٤م.

رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ٤٠ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ [1]والمؤرخون والمفسرون مجمعون على أن الإشارة إلى وصف الجن بالقوة والأمانة دلالة بينة على ما كان يحويه العرش من الجواهر النفيسة[2]

قصر ناعط

قال حسّان. لا نذهب بعيداً ولدينا ما هو أغلى وأثمن. وأرفع وأحسن. عندنا قصر ناعط النوراني. الذي يقول فيه الهمذاني:

فمن كان ذا جهل بأيام حمير ∴ وآثارهم في الأرض فليأت ناعطا

يجد عمداً تعلو القنا لؤلؤية ∴ وملكا[3] فريداً حولها وبلائطا

ترى كل تمثال عليها وصورة ∴ سباعا ووحشا في الصفاح خلائطا

قصر غمدان

وبينما حسّان ينشد هذه القصيدة وإذا بالمستشرق الفرنسي هاليفي قد أقبل من بعيد يترنم بما يأتي:

---

[1] سورة النمل من القرآن الكريم.

[2] ولعل مصير هذا العرش كان إلى مصر ضمن كنوز سليمان التي استولى عليها شيشق الذي حارب رحعبم خليفة سليمان واستولى على الكنوز كما نصت التوراة في الإصحاح التاسع من سفر الأخبار وقد علقا على ذلك كبير أهمية في تاريخ الشرقية.

[3] الرواية في البيت الثاني (وكرسي رخام حولها وبلائطا) ولا يستقيم الوزن إلا بمد السين وهذا من عيوب الشعر ولعل بها تحريفا. والقصيدة من البحر الطويل ومدونة بكتب الأدب القديمة وأشار إليها ابن فارس في قيد الأنساب.

الله أكبر إن المجـــد للعـــــرب ∴ حقا لقد وهبوا عصراً من الذهب

غمدان[1] يشهد أن المجد من قدم ∴ الله أكبر هذا القصـر من عجـب

فرفع حسان رأسه متبسّماً وقال ما وراءك أيّها المستشرق؟

- ورائي آثاركم بالمجد تنطق.
- وهل وصلت إلى نهاية القصر؟
- وعلمت مجدكم في ذلك العصر.
- ولعلك حللت رموز الآثار؛ لتكون عبرة لأولى الأبصار؛

قال هاليفي: وعلمت أنه كان بهذه الديار؛ جنات تجري من تحتها الأنهار. وفيها من جميع الأصناف. ومن كل صنف آلاف.

فيها خيرات حسان، بجوار قصر غمدان. ذلك القصر، الذي يفوق آثار هذا العصر. فإنا لما رفعنا من حوله الرمال. رأينا فيه آيات الجمال، وآثار الجلال. وكان مكونا من عشرين[2] طبقة من الرخام، تفوق الواحدة منهن قصور هذه الأيام. رأيناه قد بلغ في الارتفاع، أكثر من مائتي ذراع؛ وكانت في غرفة[3] المصابيح القوية، التي تضارع الأضواء الكهربائية. وكان به تماثيل من الذهب والنحاس، ومئات من النواقيس والأجراس. ومما قيل في وصفه قديماً:

يسمو غلى كبد السماء مصعداً ∴ عشرين سقفاً سمكها لا يقصر

ومن السحاب معصب بعمامة ∴ ومن الغمـــام منطق ومؤزر

---

[1] قصر غمدان من أكبر آثار اليمن وأروعها عظمة ومجداً بني في القرن الأول للميلاد وبقي حتى الفتح الإسلامي وقد شهده الهمداني في القرن الرابع طلولا لم تدرس معالمها وأيد الرواية المسعودي ص٢٦١ ج١.

[2] هكذا وصفه الهمداني ومللر. ب ص٥٧ ج١.

[3] مروج الذهب ومعجم البلدان ص٨١١ ج٢.

متلاصقــاً بالقطر منه صخره ∴ والجزع بين صروحــه والمرمر[1]

قال حسان وهل علمت سبباً لكثرة التماثيل، التي كانت فوق هذا الأثر الجليل؟

فقــال هــاليفي: نعــم أيهــا الخليــل. إن تماثيــل الســباع الخاســية، كانــت موضــوعه بأشـكال هندسـية. حـتى إذا هـب فيهـا الهـواء سمعـت لهـا زئـيراً، وصـوتاً كبـيراً، عظـيم الارتفـاع، يشـبه أصـوات[2] السـباع؛ وقـد علمـت أن قصـور تلـك الـبلاد كانـت مؤسسـة قبل الميلاد ما عدا هذا القصر فكان أحدثها بناء وأبهرها رواء.

فتهللـت وجـوه الحاضـرين بالبشـر؛ وبـدت علـى العجمـي علائـم الشـك والارتيـاب. ولكنـه تكلـف صـورة مـن الآداب إذ قـال للمستشـرق: شـكراً لـك أيهـا السـيد فقـد ألهمتنـا الرشـاد. وأبنـت لتـاريخ الأمجـاد. ولكـني مرتـاب في قصـر غمـدان؛ الـذي يفـوق قصـور هـذا الرمـان ولا سـيما في الارتفـاع، وأصـوات السـباع، ومـا كـان في ذلـك القصـر ممـا يـدهش رجـالات هـذا العصـر ويؤيـد للعـرب المجـدُ الفخـر، ولـو صـح ذلـك لكـان للعـرب الفضـل علـى كـل الممالـك. فـإن أعظـم دولـة الآن، لا تشـيد قصـراً كغمـدان. وذلك يحتاج إلى برهان. فإني ممن يدرسون أخبار الأمم. ويبحثون فيها من قدم ..

فـنهض حسـان وحـرك الحـاكي الجـوي (الراديـو) نحـو أصـدقائه مـن رجـالات النهضـة العربية فنطق بما سيتلى عليك:

يا سائلين عن الأمجاد في الأمم غُمدان يشهد أن المجد من قدم
الله أكبر إن الخير ديدننـــــا والله يعلم أن المجد في الكرم
والله يشهد أن الفضل كان لنا والحقّ ينطق أن العرب لم تنم
والحقّ ينطق بالخير الكثير لهم أيْن القصور وما فيها من الحكم
أيْن الملوك وآثار العلا درست لكنها بقيت في النــاس كالهرم

---

[1] الريـاض وكتـب الأدب وتـاريخ العـرب ص١٤٦ وجميـع مـا ورد في وصـفه بكتـب الأدب يثبـت روايـة الهمداني ويزيد أن صخوره كانت متلاصقة بالقطر (النحاس الأصفر) وأن جدارنه كانت من المرمر.

[2] A Literary History of the Arabs. 83 لمؤلفه المؤرخ رينولد نيكولسن الأستاذ بجامعة كمبريدج.

أيْن الحوارث[1] والأذواء[2] من يمن ياسر[3] النعم أم أيْن مالكهم أو

ماتوا وقد تركوا للناس من عبر الأمم تبقى بطول المدى أعجوبة

تبقى وتنطق بالمجد الأثيل ولا كالعلم[4] منْ يجحد الأثر المنصوب

قوموا انظروا عبراً للأولين ومن فاقوا الأواخر في الآثار والهمم

قوموا اسمعوا نطقت آثارهم حكماً حُزْتُ العلا زمناً بالعلم والقلم

حُزْتُ الفضائل بالأعمال ظاهرةً والناس تشهد لي بالمجد من قدم

ولما انتهى الحاكي قال حسان: أرأيتم فضلنا الجليل، ينطبق به هذا الصوت الجميل؟.

فأجاب ها ليفي: مجدكم معروف من قديم ولا ينكره إلاّ كل أفاك أثيم.

فقال العجمي: أما أنا فقد آمنت. ومن مذهبي عدلت، وعلى أقوالكم اعتمدت. بيد أن لي صديقاً من المستشرقين لا يعترف بفضلكم بعد الفتح المبين وله على ذلك أدلة وبراهين. وهو يريد الحوار، في غير الآثار، لأنها ناطقة بالمجد والفخار؛ فوعده حسان، بأن يقنعه بالبرهان، في حفل من الأعيان. ثم تفرقوا في الأرجاء، وقالوا إلى اللقاء.

---

[1] جمع حارث وهم من ملوك اليمن.

[2] جمع ذو وهم من أصول ملوك اليمن مثل ذي جدن وذي يزن من بني حمير.

[3] هو ناشر أنعم كما يقول المسعودي والطبري ومن التبابعة كبار ملوك اليمن.

[4] العلم = الجبل.

الباب الثاني
مجد الإسلام

وبعد بضعة أيّام، انتظر عقد الإخوان في حفل عظيم، وجمع كريم، نجومه العرب والمستشرقون، ومَن إلى الإسلام يمتّون.

يفدون شبه الثريا في مجالهم والناس تنظرهم والدر ينتثر
والجمع في أدب والقوم في عجب ∴ والكل في طرب والنور مزدهر

وبينما هم في جدال، وحوار وفضال؛ إذ انبرى منهم سالخ، ونهق بصوت صارخ، يحاول أن يجرد الإسلام من الجلال، والحكمة والجمال، معضّداً من بعض الرجال

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفُِواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]

وقد طبق المحاضر مقاله، على ما شهده في هذا الزمان من العادات في البلدان وظن أنها من الدين والإيمان. ثم استرسل في الهذيان، حتى مجته الآذان وتخذ كل ملاذا، وكاد يتسلل بعض الحاضرين لواذاً. لولا أن تداركهم شيخ البيان، أمير العرب حسان، فزأر بإخلاص، وأخمد ذلك الخراص، ثم عطف على الإسلام، وما فيه من الحكم والأحكام. فقال:

---

[1] سورة الصف من القرآن الكريم.

الإسلام دين الجلال. والعزة والإفضال. والثقافة والقنوت والنظر في الملكوت. وقد زعم المناظر كما زعم عميد[1] أجنبي أن الإسلام لا يتفق[2] والمدينة الحديثة. وذلك رأي من يجهل الدّين الإسلامي وأحكامه، كما يجهل التاريخ الصحيح. ولذا تراه خلط بين قواعد الإسلام وعادات العوام، ولم يميز هذه من تلك، وظن أن ما يراه من أفعال المسلمين إنما هو من الشريعة السمحاء المعصومة من الدنس والرياء. ولو كان متصلاً بالإسلام وأعماله، لعلم شيئاً[3] عن حكمته وجلاله، واعترف بالنهضة التي نهضها عظماء العرب فتملكوا السلطان، واسقطوا التيجان وأنقذوا الإنسان من مخالب الرقّ والبهتان، ويقول مكسويل معترفاً "إن الحالة السيئة التي وصل إليها المسلمون لا عار فيها على الإسلام مطلقاً وجدير بهم أن يأخذوا بروح الهداية الإسلامية والمعاني القرآنية يدخلوا في أدوار التجدد والارتقاء[4].

لو بحث أولئك لعرفوا أن الإسلام معترف بحقوق العقل والعلم والمدينة الصحيحة والتجديد والترقي ورفع الكلمة العليا والجمع بين الدّين والدنيا، والتزود بالثقافة الصحيحة، التي كانت مغبتها سلاماً وسلماً. لقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [5]كما لا يحرم النفس من شهواتها المباحة شرعاً فقال: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [6] وهو مع هذا يكفل سعادة الإنسان في الآخرة بأعماله في الحياة بغير وسيلة. وقد سوّى بين النّاس حتى لم يكن هناك فارق أو تفاضل مثل بينهم إلا بالتقوى والاستقامة ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [7]. وكانت

---

[1] العميد كرومر.

[2] مصر الحديثة لكرومر.

[3] الهلال مجلد ١٦ ص٤٢٨.

[4] هدى الإسلام ع ٧٧ من المجلد الثاني.

[5]سورة طه.

[6] سورة القصص.

[7]سورة الحجرات.

صلة التقن المستقيم بالله مباشرة دون وساطة الأحبار والرهبان والكهان. مع أنه أطلق للعقول حريتها وأخرجها من أصفاد الاستعباد. وجعل الشورى أساساً صحيحاً لإقامة دعائم أمور المسلمين وشئونهم.

الشورى

ومن عجب أن يظن بعضهم أن سياسة الحكم الشورى مقتبسة من الفرس. وقد نسي أنها من مشروعية الإسلام قبل اتصاله بالعجم كما تنص عن ذلك الآيتان الكريمتان: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [1] ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [2]. والعبارة التي قالها بعضهم: [3]

١) إشراك الأمة والخليفة في الشئون العامة والسياسة ولا خلاف في ذلك لدلالة الآيتين الكريمتين على الشورى ووجوبها وقد عمل بها النبيّ صلى الله عليه وسلم في حياته ونهج منهاجه الخلفاء الراشدون بعده. تشهد بذلك الاستشارات الغزيرة في مقاتلة المرتدين والمتنبئين في عهد أبي بكر. وفي الفتوحات زمن عمر إذ كان الأمر شورى بينهم. والتاريخ يشهد أن أول من فكر في فتح العجم خالد بن الوليد وغيره ممن أشاروا بذلك على الخليفة، وأول من قال بافتتاح مصر[4] عمرو بن

---

[1] سورة آل عمران.

[2] سورة الشورى.

[3] هذه العبارة أوردها أستاذ كبير في محاضرة ألقاها في فبراير سنة ١٩٣٣م. ونشرها بجريدة الوادي فرددت عليه في اليوم التالي لمحاضرته (١٠ من فبراير سنة ١٩٣٣م) بنفس الجريدة بمقال مملوء بالبراهين التاريخية والدينية والأدبية وقد اقتبست من مقالي هنا بعضه، ويلاحظ أن الحكومات ثلاثة أنواع جمهورية. وملكية دستورية وملكية مستبدة ولم يظهر في الإسلام إلاّ الجمهورية ولا سيما في صدر الإسلام أو الدستورية بعده بقليل وأما الحكومات المستبدة فلم تظهر إلاّ في عصري المماليك والترك ومن التاريخ تتعرف جمهورية الإسلام. اقرأ نظام الأمة للمؤلف.

[4] ابن الأثير ص٢٧٧ ج٢.

العاص ووافقه عمر بن الخطاب كرها وهو رئيسه. وفي فتح القادسية جمع عمر رءوس الأمة واستشارهم في أن يقود الجيش بنفسه فعارضوه ومنعوه كما هو مدون بأمهات التاريخ وفي مقدمتها ابن الأثير [1]والمسعودي وأبي الفداء وغيرها .

الصراحة

٢) حرية القول والعمل فيما تجيزه الشريعة الغراء. وكانت تلك جلية من عهد النبي صلى الله عليه وسلم يؤيدها ذلك البدوي[2] الذي ادعى باستدانة المصطفى له بدرهم في حجة الوداع. والعربي الذي قال لعمر وهو يرسم خطته على المنبر "لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا". وفي من كانوا يمدحون[3] عليا في حضرة معاوية بعد استخلافه. وفي اعتراف الشيخ الكهل بالجميل لهشام بن عبد الملك أمام الخليفة المنصور. وفي العجوز الأموية التي أهانت الرشيد في كرسيه على مرأي ومسمع من بطانته.

ويحكي لنا التاريخ أن الناس تغالوا في المهور في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فصعد في المنبر وحض الناس على عدم التغالي في ذلك؛ بل صرح بأن ما يزيد في الصداق على أربعمائة درهم يودع بيت المال بعد أخذه من صاحبه. فخافه الناس وسكتوا. ولكن[4] امرأة عربية سمعت هذا القول، فنهضت وعارضت أمير المؤمنين قائلة: "كيف يحل لك هذا والله يقول: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ

---

[1] ابن الأثير ص٢٢٠ ج٢.

[2] المواهب اللدنية ومروج الذهب وغيرهما.

[3] العقد الفريد وغيره.

[4] مناقب عمر لابن الجوزي والمستطرف ص٥٤ ج١ والفتوحات الإسلامية ص٣١٢ ج٢.

إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾[1]." فاعترف عمر بالحقّ وعلم أنه الصواب وقال: امرأة أصابت وأخطأ عمر."

وهكذا يشهد التاريخ بالمثل العالية الجليلة الناطقة بالصراحة العربية في ظل الحكم المطلق والسياسة الحرة المشروعة في الإسلام. ولم يثبت أن العرب أخذوا عن الفرس والروم شيئاً من التشريع غير إنشاء الدواين في عهد عمر مع الحيطة المتناهية والحذر العظيم. حتى قيل له: "إن ها هنا[2] رجلاً من الأنبار له بصر بالديوان لو اتخذته كاتباً فقال: لقد اتخذت إذن بطانة من دون المؤمنين" كما مشتهر بين أئمة المؤرخين.

وأما بعد عمر فكان الخدر من الابتداع بالغاً أشده من جراء الفتن التي رزئ بها المسلمون إثر مقتل عثمان، حتى كان صدر الدولة العباسية فاقتبسوا من العجم نظما في المساكن والملابس والأطعمة والأشربة والله[3] و، كما أخذوا عن سواهم غير ذلك مما جرهم إلى تصرم الخلافة، ولا ينكر إنسان مجد الإسلام الذي وحد القبائل العربية وجعلهم يجنحون[4] إلى السكينة والسلام بعد أن كانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

مدينة الإسلام

والإسلام جدد المدينة القديمة وهذب قوانينها وأعدها صالحاً للمعاش والمعاد، وذريعة للهناءة والاسعاد، ولو رجعنا إلى تاريخ العرب في الجاهلية قبيل الإسلام لرأينا أنهم كانوا مغرمين بالميسر والخمور. وكان الزواج ألعوبة في أيديهم يتزوجون متى أرادوا ويطلقون أني شاءوا بلا قيد ولا قانون حتى كانت الأرملة من ميراث الرجل.

---

[1] سورة النساء .

[2] ابن الأثير ص٢٧ ج٣.

[3] مقدمة ابن خلدون ص١٤٤.

[4] حكم النبي محمد للفيلسوف تولستوي الروسي ص٩.

وكانوا يئدون بناتهم خشية العار أو الفقر ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[1] أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى به من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون". وكانوا مع هذا غاية في الخشونة والجفاء وش الغارات والحروب الأتفة الأسباب حتى لقد قامت الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب ابني وائل أربعين[2] سنة لبيت من الشعر قالته البسوس لجساس بن مُرّة عندما ضرب كليب ناقتها وكانت تخاطب به زوجها سعداً الجرمي:

فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل ∴ فإنك في قوم عن الجار أموات

ولم تضع الحرب أو زارها إلاّ بعد أن أهلكت الحرث والنسل وفرقت الشمل ولم تُبْقِ ولم تذر حواليهم من البشر. لذلك كانت طباعهم لا تصلح للتقويم والتهذيب والثقافة ولا تدل على شيء من التسامح والرفق والعدل والأخلاق الإيجابية التي عرفوا بها بعد الإسلام. وكانت مفاخرهم محصورة في السيف والجور والحرب والشرور، والسفك والكبرياء والظلم والهيجاء.

الأديان قبل الإسلام

وكان في بلاد العرب ثلاثة[3] أديان: موسويه، عويصة المسائل غامضة الأسرار؛ ومسيحية لا يعرف كنهها إلاّ الرهبان؛ ووثنيّة لا تضن على أحد بسرّ ولذا كانت متفشية متفوقة بما فيها من المخازي وعبادة الأصنام والكواكب. وكانت الأخلاق سلبية، والعادات شاذة. ولما جاء الإسلام كسح هذه المعتقدات الفاسدة، وأزاح ضلال المجوسية من العجم، والبراهمة من معظم الهند، والفتشية من أفريقية، والبوذية بالصين. وجمع هؤلاء تحت لواء واحد، وهو الإيمان الصحيح. وبعد أن كانوا شعوباً

---

[1] سورة النحل من القرآن الكريم.

[2] ابن الأثير والعبر ص ٢٩٥ ج٢ وقيد الأنساب ج١ ص٣٧.

[3] تاريخ العرب لكوسان الفرنسي.

وأحزاباً، نهضت قبائل مضر والعدنانيين[1] القحطانيين وغيرهم من العرب متكاتفة مع المغول والغرب والبربر والأرمن والعجم والخزر وانضموا تحت لوائه وناصروه وخرجوا من الظلمات إلى النور؛ وصاروا بُنيانا؛ وأضحوا بنعمة الله إخواناً.

شهادات الافرنج للإسلام

وفي مؤتمر زوريخ الدولي جماعة من كبار العلماء ونطس الأطباء ينشرون في كل عام مجموعة مفيدة من عصارة الأفكار في الطب. وقد جاء في مجموعة سنة ١٩٣٥م بعنوان أثر تعاليم الإسلام في مكافحة السرطان: [2] "إن المسلمين أقل إصابة بالسرطان من المسيحيين وغيرهم في بلاد الإسلام لأنّ أتباع أحكام الشريعة الإسلامية تساعد على مكافحة هذا المرض وغيره إذ تفرض عليهم تحسين الصحة العامة بالنظافة والختان للذكور والإناث والوضوء والعناية بنظافة الفم والأسنان والمضمضة والغرغرة وتحريم الخمر ووجوب الصيام مدة شهر والرياضة المنظمة في الصلاة بمواعيد دقيقة والاعتدال في الأكل والشرب واجتناب الفطام المبكر للأطفال. ثم علق الأطباء على هذه الآراء التي استقوها من زميل[3] لهم وقرروا أن التمسك[4] بالقواعد والعادات الإسلامية يعود فائدة كبرى من الوجهة الصحية ويقلل من التعرض لأخطار السرطان.

وقد أدركت حكومة انكلترا السرّ في نجاسة الكلاب وقررت في لندن أن تمنع المستأجرين في البنايات الجديدة من اقتناء الكلاب بسبب ما يجمع هذا الحيوان من (الميكروبات) الجراثيم وما ينشر من الأمراض بين أصحابها وجيرانهم رغم النظافة

---

[1] المجلد السادس عشر من الهلال ص٣٤٠.

[2] الأهرام في ٢٨ من يوليه سنة ١٩٣٥م.

[3] الطبيب النطاسي محمود عفيفي.

[4] المجموعة الطبيّة للمؤتمر الدّولي صفحة ٦٨، ٦٩.

التي يتبجح مقتنوها بأنهم يحافظون عليها في هذا الجنس فقد أثبت[1] الطب الحديث أن كل ما يبذل الإنسان من العناية بكلبه لا يستطيع الحيلولة بينه وبين جراثيم الأمراض الوبيلة فهو يجمعها بوسائل لا سبيل إلى حصرها ومن يظن أنّ كلبه أنظف من أن يحمل ميكروباً لا يدلّ بذلك على حالة الكلب بل على مقدار جهله حقيقة الحال.

وتقول جريدة التيمس أنّ عدد الكلاب الذي تقتله الحكومة كل سنة يبلغ ربع مليون. وها هو كتاب التنازع بين العلم والدّين للأستاذ الكبير دريبر شهادة ناطقة بما في الإسلام من التشريع الصحيح والقانون الحكيم والدرس المستقل والفكر الحرّ والنظر الثاقب.

ويقول الأستاذ جوت الألماني: "إذا كان الإسلام هو هذا فنحن إذا فيه." ويقيم الأدلة الفيلسوف الإنجليزي برناردشو على أنه "لو تولى العالم الإسلامي رجل كمحمد ل

شفاه من علله كافة. وأن العالم بدأ يفهم ما هو الإسلام وأنه سيتم إسلام أوروبا عامة في قرنين."[2]

ومن فلاسفة الطبيعة في هذا العصر من تعرض للإسلام ولم يتمكن من إصابته بشيء. ذلك هو الأستاذ أسياه بومان الأمريكي[3] الذي اعترف بأنّ سيطرة الإسلام خارقة للعادة إلى حد أنّه لا يوجد قط مسلمون تحولوا إلى الديانة المسيحية مع كثرة المدارس الأجنبية في أوساطهم. ولما لم ينل بغيته من الهدف الذي كان يقصده. قام يحذر أوروبا من توحيد كلمة المسلمين لأنهم يعملون على القضاء على المدينة الغربية الراهنة. ولكن كلامه هذا كان هباء منثوراً لأنه كلم أجوف ليس فيه

---

[1] الأهرام في ٢٥ يناير سنة ١٩٣٧م.

[2] نور الإسلام ص٣٤١ ج٦.

[3] العالم الجديد لأسياه بومان الأمريكي.

أدلة ولا براهين تدعم صحته. ويكفي أنّه يحذر أوروبا من المسلمين الذين أمدوا بلاد الغرب بالمدينة في القرن الوسطى كما يشهد التاريخ.

ويمكن الاستدلال بآراء المؤرخين المنصفين من رجالات الغرب لتأييد ما تلوناه هنا وتوطيده. فقد قال (رجول لابوم): "حوالي ميلاد النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم كان الجو[1] ملبدا بالفيوم والاضطرابات والفتن في جميع الأقطار ولا سيما في أوروبا فقد بلغ التنازع السياسي والخلقي غاية مؤلمة وكانت صحفها التاريخية تعدّ للتاريخ إثارة للمآسي والأحزان وخاصة في انجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان.

ولقد كانت الأفكار في اضطراب بآسيا، ولا سيما الهند والعجم والصين الذين كانوا يناوئون الروم واليونان. وكانت أفريقية في حال يرثى لها من الشرور والهمجية. وكان العالم كله شبه ثورة متقده، ولولا الإسلام لتغلبت الوحشية في العالم على الأمم فتنتزعها أو تتخطفها بدون قانون ولا عداله.

ولكن المسلمين صالوا على العالم بما[2] حضهم عليه الكتاب من الجهاد والعدل ولئن قلت إن روما كانت ملأي بالفضائل والشجاعة والتبصر والإخلاص والنظام في ذلك الوقت. فتلك بعينها ذرائع قطاع[3] الطريق واللصوص وعاداتهم من الشراهة المفرطة في جمع المال والحقد على الأجنبي وفقد الشفقة.

وأمّا العظمة في روما، فكانت في استعمال السوط، والسيف والتعذيب، والظلم والقسوة، كما كان مثل ذلك في العجم بل كانت أشدّ قسوة، وأعظم استبداداً. وبذا تغلب الإسلام على هاتين الدولتين العظيمتين لا بسيفه وقوته، وإنما بكرم أخلاقه، وبديع فضائله، التي اشتهر بها.

---

[1] كتاب الأنبياء لجول لابوم الفرنسي ودائرة المعارف ص٢٤٣ ج٥.

[2] حضارة الإسلام ص٣٨.

[3] دائرة معارف لاروس.

ويقول الفيلسوف تولستوي الروسي: [1] "يكفي أن النهضة الإسلامية فتحت للنّاس طريق الترقي والمدنية الصحيحة وجعلت العرب يجنحون للسلام والخير." ويثبت المؤرخ سديو أن أوروبا[2] كانت حين إذ ذاك شبيهة بالبربرية، لا يسمح لها بالنظر في أمور صالحة.

ويقول الفيلسوف الكبير توماس[3] كارليل "لقد أصبح من العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر، أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، أو أن محمداً خداع فإن الرسالة التي أداها هذا الرسول ما زالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرناً لنحو مائتين وثمانين مليوناً من النّاس؛ وما محمد[4] إلا شهاب أضاء العالم بفضل الله."

تعداد المسلمين

وهنا قام بعض المبشرين معترضاً على تعداد المسلمين فقال: لقد أخطأ صاحبكم في تقدير تعداد المسلمين إذ قدرهم بمائتين وثمانين مليوناً والحقيقة أنهم الآن زهاء ثلثمائة مليون وجلّهم في آسيا إذ يبلغ عددهم بها مائة وتسعين مليوناً ومنهم تسعون مليوناً بالهند وخمسون مليوناً بالصين وعشرون في شبه جزيرة العرب شمالاً وجنوباً والباقون في مختلف الممالك الآسيوية. وفي أوروبا أكثر من عشرين مليوناً ومعظمهم في روسيا وتركيا أوروبا. وفي إفريقية نحو تسعين مليوناً مسلماً وأكثرهم بنيجيريا ومصر وبلاد المغرب.

---

[1] حكم النبي محمد للفيلسوف تولستوي المتوفى في سنة ١٩١٠م ص٩.

[2] مذكرات المؤرخ سديو والعلاجي، العباسية ص٤٤٢ المجلد الثاني عشر.

[3] الأبطال لتوماس واللواء في ١٣ من يونيه سنة ١٩١٢.

[4] اقرأ حياة محمد للدكتور هيكل والمثل الكامل للأستاذ محمد جاد بك المولى ومحمد للأستاذ محمد رضا ومحمد للدكتور توفيق الحكيم فكلها مثل ناطقة بفضل محمد صلى الله عليه وسلم.

وأقل القارات إسلاماً قارتا أمريكا واستراليا وفي الأولى نحو ثمانين ألفاً وفي الثانية دون ذلك. وإني تطفلت بهذا البيان بحكم مهنتي فإني مكلف بإحصاء المسلمين في الأرض والوقوف على أسباب كثرتهم أو قلتهم.

فقال حسّان أشكر لك أيّا الأخ فقد رفعت من شأن المسلمين بكثرتهم ولكن بياني كنت أرويه عن توماس أيّام أن ألف كتابه الأبطال. ولو أردت بياناً دقيقاً لقلت؛ ولأريتكم نهضة المسلمين بأوروبا الآن حتى بنوا المساجد في لندن وباريس وبرلين؛ وتفانوا في خدمة الإسلام، دين السلام.

لماذا اعتنق الإسلام

ولعلكم سمعتم المحاضرة القيمة للعالم الجليل خالد شلدريك المسلم الإنجليزي بجمعية الشبان المسلمين وقد دعا إليها كثيراً من العلماء[1] وجمهوراً من العظماء وأشار فيها إلى العوامل التي حفزته إلى اعتناق الإسلام فقال إن أول ما لفت نظري نحو هذا الدين الجليل كثرة المؤلفات التي وجدتها في المكاتب طعناً على الإسلام ونقداً له وقد حملته كثرة هذه الكتب على دراستها واستقراء ما فيها فانتهى من هذا وذاك بعقيدة خالصة وهي أن هذا الدين متين وعظيم.

ثم قال إن محك التدين في المسلم عند الأوروبيين وخصوم الإسلام حرص المسلم على دينه والتشدد في التمسك به. وضرب مثلاً بالخمر وتحريمها فقال: لو أن أوروبياً قدم كأساً من الخمر إلى مسلم ورفض هذا المسلم تناوله لأيقن الأوروبي أن المسلم صادق الإسلام. وأن الإسلام نفد إلى قلبه.

ثم نصح إلى الشبان بأن يكونوا في حياتهم أخلاقيين يتمسكون بالفضيلة ويدعون إليها وأنكر الدعوة التي يقول بها خصوم المسلمين من أن الإسلام انتشر بالسيف. وقال إن الحوادث التاريخية تدلل على عكس ذلك فالمسلمون في كل

---

[1] المصري في ٧ من محرم سنة ٣٥٧ – ٩ من مارس سنة ١٩٣٨م.

عصر كانوا كلما دخلوا بلد تركوا لأهله من غير المسلمين معابدهم وكنائسهم وأطلقوا لهم حريّة العبادة. وقد أقام المسلمون ثمانية قرن في أسبانيا فما عرف أنهم نزعوا إلى التعصب ولا حرموا ذمياً من التعبد بدينه. ولكن الذي حدث حينما غلب المسلمون على أمرهم في الأندلس نكل بهم خصومهم شر تنكيل[1] وهدموا جوامعهم وذبحوا البقيّة الباقية منهم.

وتكلم عن التوحيد فقال إن الإسلام جاء بتوحيد الله وتوحيد الإنسانية وجمع كلمة النّاس تحت راية لا إله إلاّ الله. فالمسلم في الصين هو أخو المسلم في انكلترا ولو لم تربطهم رابطة الجنس أو رابطة اللغة. وختم خطبته بالدعوة لمكارم الأخلاق والعمل على إحياء سنة الرسول وشكر للحاضرين.

ونشرت جريدة الديبا الفرنسية في العشرين من إبريل سنة ١٩٣٨م مقالاً للأستاذ موريس برنو يتلخص في أنّ مصر التي استردت استقلالها تستطيع أن تكفل لشعبها المسلم[2] نظاماً مدنياً وقضائياً واجتماعياً مطابقاً للمعتقدات والتقاليد الدينية. فتعديل قانون العقوبات يمكن الاسترشاد فيه بأحكام القرآن الكريم وهذا الرجوع إلى الإسلامية يكون له أثره في العلاقات بين مصر والشعوب الإسلامية.

ولقد كان للاحتفال بالمولد النبوي سنة ١٣٥٧ في لندن أجل أثر للإسلام فقد خطب كثير من الفرنسيين في هذا الحفل وأشار رونالد ستورس إلى إنشاء معهد إسلامي يعمل على ربط العلائق بين بريطانيا والإسلام[3] وأثنى الأستاذ يهودا على الإسلام وقال إن رسالة السلام الكبرى تنتظر الإسلام وتعاليمه في الإخاء والمساواة.

---

[1] يشير المحاضر إلى موقعة بواتية جنوبي نهر لوار بفرانسا سنة ٩٢٣ وكانت بين العرب وبين شارل مارتل الذي تغلب عليهم وغدر بهم وعاملهم معاملة خارجة عن حد الإنسانية بعد أن جمع جموعاً من أوروبا للدفاع عن الأندلس.

[2] الأهرام في ٢١ من إبريل سنة ١٩٣٨.

[3] الأهرام في ١٣ من مارس سنة ١٩٣٨م ١٣ من ربيع الأول سنة ١٣٥٧هـ.

وأعجب الأستاذ وينسون روس بالحركة الناشطة لترجمة القرآن الكريم ونتائجها الحسنة في العالم. ثم جلس حسان بين التصفيق والهتاف. ووقف في الحال أحد الجالسين. وقال: إن شهادة بضعة رجال من الغرب للإسلام لا قيمة لها بين العارفين، لأن في كل بلد مخالفين، يشذون عن الائتلاف، ويريدون ليظهروا بهذا الخلاف، وهو يحكمون بغير إنصاف.

فوثب إلى الصدر؛ شاب كأنه البدر؛ وقد تلثم بالكوفية، ليخفي من أنواره البهيّة، ولكن عينه الناضرة، كانت تنم على أسرارها الباهرة وأنواره الظاهرة فرمقته العيون الناظرة، من الجمعية الحاضرة. وطفق ينشر الآلي. ببديع الغوالي ورفيق المعالي ويدلى بالبراهين القطعية والشهادات الأجنبية حتى بسط ألف شهادة من شهادات الأمراء والسادة.

ولم أتمكن إلا من حصر قليل من هذا التدليل فأثبتّ أقلية من تلك العبقرية. ومنها رأي المستر ولز أكبر كتاب الإنجليز الذي يقول: الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية أني سارت هي الديانة الإسلامية. وكان الكونت هندي كيستلي مبتهجاً بما جاء في الإسلام من حقوق المرأة[1] ولا سيما عند اشتراطها على زوجها ألا يتزوج من غيرها وألا يؤذيها؛ وإذا أخل بشرط طلق الحاكم جبراً بخلاف المسيحية. ثم يستطرد كيستلي في مدح الإسلام واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بمنع عوامل الفساد من التفشي بين المسلمين لكي يعيش الأزواج في راحة ونعيم" ويقول الأستاذ ماركس: "لا تنافر بين الإسلام والعلم والاختراع" وقال دوزي: "بينما أوروبا تائهة في ظلام الجهالة إذ سطع نور الأمة الإسلامية بعلومه وأدبه وفلسفته فكانت مدينة بغداد ودمشق ومصر وغرناطة وغيرها مراكز عظيمة لدوائر المعارف ومنها انتشرت في الأمم واغتنم منها أهل أوروبا في القرون الوسطى." ويقول ليونارد: "إن كان رجل على هذه الأرض قد عرف الله وأخلص له وفني في

---

[1] راجع مقدمة الحياة المنزلية للمؤلف.

خدمته بقصد شريف ودافع عظيم فإن هذا الرجل بلا ريب هو محمد نبي العرب." وقال يوزورت إيمت "إن محمداً بلا نزاع أعظم المصلحين." فوقف ذلك المكابر الغريب وحاول مقاطعة الخطيب لما رأى التفاف الجمع حوله وتخطفهم لفظ وقوله. وقال: ألا تذكر أن دينكم أخضع النّاس بالسيف؛ والجزية والحيف؛ فهرع الحاضرون إليه؛ وضربوا بسور حواليه. وشرعوا ينزلون الأيدي عليه. فمنعهم الخطيب الأريب. وقال فلتكرموا الغريب لأن ذلك أبقى للمودة وأصون ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ ثم حوّل نوره إليه مبتسماً، وقال له: إذا كنت أيها الفتى تجهل تاريخ الإسلام والمسلمين، فهل مرّ بك خبر إسلام كثير من الأوروبيين في هذه السنين. ألا تذكر إسلام الحاج عبد الرحمن المعروف قديماً باللورد هدلي وأسرته الجليلة والقائد سيف المشتهر بسليمان باشا الفرنسي وخالد شلدريك الذي أسلم سنة سنة ٩٣٨وقد أسلفنا خبره. وهل كنا أرسلنا المبشرين في الهند ليحولوا أولئك الملايين إلى الإسلام وفي مقدمتهم الأمير هيرالا بن غاندي زعيم الهند. وهل قرأت ما قاله ذلك الأمير "من أن اعتناقه الإسلام ما كان بتأثير شخص من الأشخاص أو هيئة من الهيئات وإنما هو إلهام وهداية من الله." وها هو نور الإسلام ينتشر كل يوم في أرجاء الأرض ويقبل عليه النّاس زرافات ووحدانا من تلقاء أنفسهم فهل كنا أرغمناهم على ذلك. وهل كان في مقدور مائة شخص أسلموا والتفوا حول النبي صلى الله عليه وسلم أن يحولوا العالم الإسلامي بسيوفهم ويقلبوا الكرة الأرضية إلى ممالك إسلامية في أقل من قرن ؟

الحقّ با صاحبي أنك بعيد عن رأي سيدك جيبون الذي يقول: "إنّ الشريعة المحمدية تشمل النّاس جميعاً في أحكامها من أعظم ملك إلى أقل صعلوك. وهي شريعة العدل والمساواة المحبوكة بأحكم منوال شرعي ليس له مثيل في العالمين."

والحقّ أقول إنك في منأي عن أقوال الأستاذ ماركس الذي نشر محاضراته منذ عهد قريب وصرح بها بأن أزمة أوروبا لا يحلها إلاّ الإسلام وهو القادر على

إخراجها من هول ما هي فيه من الجحيم. بل قال: "إن الإصلاح الأوروبي لن يكون إلاّ باتباع الإسلام ونبذ الأحزاب والغايات والسير على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان ينظر إلى ما يعود بالخير على أمته وعلى البشر عامة باتباعه القانون الإلهي الذي يدعو إلى المحبة والوئام بين أفراد الجنس البشري. لأن هذا القانون يلائم كل زمان ومكان".

القرآن الكريم

فأنس المناظر بلطف المحاضر ووقف يجاهر بين مختلف العناصر وقال وأيْن هذا القانون الذي به تفخرون؟

قال الأديب العظيم: هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمتقين. ذلك الذي أعجز الفصحاء والبلغاء حتى قالوا هذا سحر مبين. في وقت بلغت فيه اللغة العربية أوج الرفعة والمنية. فبزّ الأدب والبلاغة بالبراهين وخر العظماء له ساجدين وحوى من أخبار الأمم ما استنهض به الهمم. وقص عليهم أسمى العبر حتى كان أعظم مزدجر وبرأ الأنبياء، مما رماهم به البسطاء، وجمع شمل المسلمين، وكان معجزة السيد المرسلين وأخرج الأمصار من الظلمات إلى الأنوار، وبني هذا المجتمع الإسلامي على أساس الإخاء والمساواة والحرية، حتى تعلم الصعلوك الفقير كيف يقاضي الخليفة والأمير. فلقد حدث في عهد عمر أن كان جبلة بن الأسهم أحد أمراء العرب يطوف حول الكعبة فوطأ إزاره عربي فقير فلطمة جبلة فرفع العربي أمره إلى عمر وحكم بينهما بالاقتصاص وأنه لا مناص من أن يلطم العربي أميره جبلة الذي قال له انظر في الأمر إلى الصباح، فأحار إلى طلبه ولكنه هرب ليلا وتنصر ثم ندم على مافعل.

وها هي آياته البينات تثبت وحدانية الله ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ وحفظ حقوق المرأة بقانون مألوف. في قوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ ونبه العقول والألباب، إلى البرهنة والتعليل والأسباب مع جليل الأفعال، بضرب الأمثال، حتى وصفه الأستاذ ولز قائلاً: "إنه هو الكتاب الرابع الذي أنزل لهداية البشر وقد حوى أكثر منها كلها فنون العلم وتوحيد الله وطرد الوثنية أكثر من كل كتاب ولا ترى فيه مناقضات للعقول ولا أضاليل القسوس فضلاً عن سهولة العمل به"

وقال جيبون: القرآن مسلم به بأنه الدستور الأساسي ليس لأصول الدّين فقط بل للأحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الإنساني وترتيب شئونه."

ويبرهن الأستاذ سنارس[1] بأنه القانون العام الصالح لكل زمان ومكان ولو تمسك به المسلمون لأصبحوا سادة الأمم كما كانوا"

ويقول برسودت سميث: "القرآن آية البلاغة ودستور الشرائع والعبادات".[2] ويصفه الأستاذ سنيط المستشرق الفرنسي: بأنه مصدر العدل والسياسة والمدنية من غير تمييز للأصل والجنسية." ويرى الدكتور موريس أن القرآن أفضل كتاب أخرجته يد الصناعة الأزلية لأبناء الإنسانية." ويدلل القانوني الكبير جان جاك روسو[3] بقوله "من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن ويتركه، ولو أنّه سمع محمد صلى الله عليه وسلم يمليه على النّاس بتلك اللغة الفصحى وبلاغته المؤثرة في القلوب لخر ساجداً على الأرض وناداه: أيّها النبيّ خذ بيدي إلى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والدمار. فنحن من أجلك نودّ الموت أو الانتصار."

والمتدبر الحكيم لآياته يعلم أنه لم يفرط فيها من شيء فهو أوفى مصدر لسعادة الدارين.. عند ذلك وقف المناظر وليس له من ناصر وقال: هل لك من ذهن حاضر لتبرهن بآية من القرآن. عندما أنطق بأي عنوان.

---

[1] هدى الإسلام عدد ٨١ من المجلد الثاني.

[2] هذه أقوال سادة المنصفين من الفرنجة القرآن الكريم ولم نر من تنبه إلى وجوب العمل به كقانون سماوي مقدس سوى جماعة الإخوان المسلمين فإنهم بدءوا أعمالهم من عشر سنوات بتأييد هذا الكتاب المبين واتخاذه إماما وهدى للمسلمين كما كان في صدر الإسلام وطلبوا من الحكومة ذلك وجاهدوا في الله.

[3] المشرع الكبير والوطني الماجد ومن منقذي فرنسا العظام ولد سنة ١٧١٢م وتوفي سنة ١٧٧٨م.

قال أجل فعندي البرهان ولديّ البيان. فأخرج المناظر بياناً من جعبته ليقوي من حجته، وطالبه بالدليل المنقول على ما يهدف ويقول. وبدأ بالمخترعات والفنون.

فأجابه: ﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴾

فقال وهل هناك ما يدل على الطيران في بني الإنسان؟

فقال: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ .ثم قال: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۡۚ ﴾.

قال وماذا جاء في الجراثيم المنوية؟.

قال: : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ ﴾ أفلا تعلم أن القواميس الإفرنجية تقول بأن العلقة هي الجراثيم المنوية؟.

قال وأي برهان على الغازات السامة؟

فأجابه بقول الله: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ .

قال المناظر دعنا من ذلك القرار وأتني بوصف للسفن في البحار لأني أعلم أن نبيّكم لم يكن من بلاد الشواطئ ولم يشهد جلال الأساطيل المنشئات. ولا هول الملاحة في البحار والمحيطات.

فأجابه بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ .

ولما رأى حجته باهره وإجابته ظاهرة؛ قال إيه أيّها المفضال وانسج على هذا المنوال. فنشط أبو الأنوار واسترسل في كشف الأسرار. وقال سبحانه الواحد القهار الذي خلق الليل والنهار. سبحان الذي أبان الرشد من الغي ولم يفرط في الكتاب من شي ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ

ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ وأشار إلى ما سيظهر في بلادكم من المبتدعات بقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ﴾ ونبأ عن الخطر والحروب المحيطة بتلك البلاد في قوله: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ ﴾ ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ وقضى بأن الحروب المسيحية سجال في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ﴾ وها هي عصية الأمم تقاسي أشد الألم. وتنادي بالسلم في جميع الأمصار ولا تجدها من أنصار. والله يقول لنا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ ﴾ ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [1]

وقد تشعبتم وتفرقتم في كل إقليم. والله يقول فيكم: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [2] ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [3] . وقارن بيننا وبينكم بقوله ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ [4] وإذا شاء جعلك مثلي ولاحرج.

وبشر من يموت منا في سبيل الجهاد بالحياة الطيبة والإسعاد. قال تعالى:

---

[1] سورة الأنفال.

[2] سورة الزخرف.

[3] سورة آل عمران.

[4] سورة الأنعام.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

وأمر بالعدل والإحسان والقسطاس وحدود الدفاع والحقوق بين الناس قال تعالى:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (٢) ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾(٣) وقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (٤) .

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾ (٥) ومنع الرشوة في الأحكام بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٦)

وشرع القصاص في قوله: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ (٧) عليهم فيها أن النفس بالنفس وفي قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٨)

وأي حياة أعظم من جزاء المسيء بمثله حتى يحسم الشر والبغي بين النّاس ولا يتربص بعضهم لبعض فيتفاقم الخطب. وتقوم الحرب.

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة النساء.

(٤) سورة النساء.

من أراد التوسعة في هذه الأسرار فعليه بكتابنا "أسرار القرآن".

(٥) سورة النحل.

(٦) سورة البقرة.

(٧) سورة المائدة

(٨) سورة البقرة.

وقد هدانا إلى طريق الصحة المبين في قوله: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [1] وعزز ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء).

وحثّ القرآن الكريم على التفاني في الجهاد دفاعاً عن الدّين الوطن بقوله: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [2] وأية تقوى أو أية وطنية أسمى من هذا الجهاد الذي أمرنا الله به غير مرة في كتابه وحرض عليه في قوله: ﴿ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [3]﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [4].

وأمر بالنظر في الكائنات والفنون بقوله: تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [5] .

وقرن السعادة بالعمل الصالح لقوله: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [6]

وأرشدنا إلى ما كشف عنه في هذا الزمان من التحقيقات الطبيعية التي تثبت أن الأرض والكواكب كنّ كتلة حجرية. في قوله: ﴿ أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ ﴾ [7] .

---

[1] سورة الأعراف.

[2] سورة التوبة.

[3] سورة النساء.

[4] سورة الصف.

[5] سورة يونس.

[6] سورة النمل.

[7] سورة الأنبياء.

وأشار إلى سكني الكواكب كما حقق الراصدون من الفرنج في المريخ وغيره بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [1] .

وحثّ على السعي في العمل والتجارة وغيرهما بقوله: ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [3] .

وقضي بعبادته وبر الوالدين والإحسان وصلة الرحم والاقتصاد في الحياة واجتناب المنكر ومكارم الأخلاق والاستقامة في آيات كثيرة من كتابه الكريم. قال تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [4] إلى قوله ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ [5] إلى قوله ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ .

وبشر أرباب الاستقامة بالطمأنينة والأمن والجنة بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [6].

وأخبر عما سيكون من مجدنا في عهد الخلافة الإسلامية بقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [7] .

---

[1] سورة الشورى.

[2] سورة الملك.

[3] سورة الجمعة.

[4] سورة الإسراء.

[5] سورة لقمان.

[6] سورة فصلت.

[7] سورة النور.

ولكنا لما غيرنا من أنفسنا غير الله نعمتنا وضاع مجدنا وهوى نجمنا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [1] .

وهي الحياة متاعها قليل. والبقاء فيها على حال من المستحيل. ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [2]

وبعد هذا يكون النفخ في الصور بجميع البقاع. بالطريقة التي قربها لنا الله في (الراديو) أو المذياع. وهنالك يكون البعث والحساب بالطريقة التي بها ننام ونستيقظ كل يومٍ إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب. وهنالك عذاب في الجحيم أو خلود في دار النعيم. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

وعند ذلك نهض هذا المسكين. وقال الآن تبت إليك وأنا من المسلمين.

وفرح بهذا جميع الحاضرين. فهمس الرجال وصفقوا وعلى المناظرين أقبلوا وتدفقوا وحاولوا التعرف بأبي الأنوار ولكنه أبى إلاّ الفرار وما هي إلاّ ثانية حتى عرج إلى السماء وطار وقال عند صعوده لا تسألوا عن مثل هذه الأشياء وانهضوا ومجدوا وبرهنوا تتنزل عليكم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا واستقيموا وتمسكوا بالدّين ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثم توارى بطياراته عن الأبصار بعد أن اقتبسنا منه هذه الأنوار واعتبرنا بما فيها أجل اعتبار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

ثم خاض أجل الحفل وعج، وتعالى الصوت وضج، فاستأنف الأمير حسّان الوقوف. وأتم بيانه المعروف. ثم جلس بين التهليل والتكبير والإعجاب بهذه الآيات التي تجلت أمام الجاليات.

حكمة الإسلام

---

[1] سورة الرعد.

[2] سورة يونس.

ثم وقف بعض الأجانب؛ وشحذ اللسان بالمثالب؛ ورام أن يسلب الحكم الإلهية من العبادات والأوضاع الشرعية؛ وقال: حسب دينكم أن يبيح الطلاق، ويقول بتعدد الزوجات؛ وحبسهن في البيوتات.

فنهض زهران في الحال؛ وخاض المجال. فشخصت نحوه العيون؛ وغشى المجلس هنيهة من السكون، ثم قال في حدة وغضب: يا حماة الدين والأدب. يا أمجاد العجم والعرب. ما هذه المفتريات والريب. وما هذا الحفل الذي فيه الحقائق تحتجب. ثم بدأ يفند الشبهات. وينسق حكمة التوحيد والعبادات ويمهد في المقدمات. ويبرز في القضايا في صيغ الهدايا، ويضع القياس على أثبت أساس ويزيل الشك والالتباس. وقد بهر الناس، في وحدانية الله وفي تفسير الطلاق ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1]

الطلاق

ثم قال لمناظره: أما مسألة الطلاق في الإسلام، فلو كنت تدري فروق الغرائز بين النساء والرجال، لعلمت أن الدواء الوحيد للمرأة الطلاق الذي ترتعد منه فرائصها؛ فتسير في طريق الاستقامة، وتراعي حقوق القوامة، وتعرض عن الاستهتار والتهتك والازدراء وتعلم قوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[2] على أن الطلاق قد يكون لزاماً في بعض الأحيان، لأسباب اجتماعية أو صحية لا تخفي على الأذهان. ومنها الفقر والمرض المعدي والزنا، وقد لجأت إلى هذه الأسباب انكلترا وغيرها في هذه الأيام، كما لجأتم أنتم إليه أخيراً، مخالفين دينكم حتى فشا في بلاد الغرب، وانتشر انتشاراً عظيماً، في وقت صرنا فيه نتذكر الأثر القائل: "أبغض الحلال إلى الله الطلاق" فقلّ في ديارنا؛ وتعاظم خطبه في دياركم. وروت بعض المجلات ومن بينها الأحكام الإسلامية أن بودي الفرنسي طلق ١٤٨ امرأة. (ص٦١ الأحكام الإسلامية). وأما تعدد الزوجات؛ فقد خلفت لكم الحرب العظمى جيوشاً عظيمة من النساء؛

---

[1] سورة الأنبياء.

[2] سورة النساء.

يزدن زيادة كبيرة عن عدد الرجال، الذين ماتوا إبان الحرب، وأصبحت هذه الجيوش تتنقل من بلاد إلى بلاد للبحث عن الأزواج.

وإنهن وإن صوّرن من ذهب ∴ لا بد فيهن من غش ومن دخل

فقد يعتدين على المتزوجين ويسئن إلى الزوجات بأن يقتنصن أزواجهن من أحضانهن، أو يتنكبن جادة الهوى؛ كما ترى في فرنسا وألمانيا وأمريكا. فقد دلت الإحصاءات الأخيرة على تفوق عددهن في الممالك الأوروبية. ومن ذلك أن سكان[1] فينا، يبلغ اليوم مليوناً وثمانمائة وخمسة وسبعين ألف نسمة ومنهم مليون وخمسة وعشرون ألفاً من النساء، وثمانمائة وخمسون ألفاً من الرجال؛ ففيها إذاً مائة وخمسة وسبعون ألف امرأة حائرات في أمورهن، لزيادتهن عن عدد الرجال. فما هو الحل إزاء ذلك؟

وقد صدق الأثر القائل: يكثر النساء حتى يتبع الرجل أربعين امرأة[2] ألم يكن من المحتم الالتجاء إلى تعدد الزوجات. هذا هو الحل إن لم يكن اليوم فمن المفروض تنفيذه غداً؛ لأن عدد النساء في ازدياد مطرد ويقول العارفون[3] إنه لا تمضي سنوات حتى يكون لكل رجل أكثر من أربع نساء وجاء في إحصاء[4] رسمي أن ٩٠٠ ألف امرأة بإيطاليا لا يجدن أزواجاً وأن في أوروبا أضعاف ذلك، ولا سيما إذا علم أن العالم في حرب دائرة على الرجال.

الحجاب

وأما حبسهن الذي تقولون عنه؛ فما هو إلاّ حجاب يحول بين شهوات الأنظار المكتظة بالسوء، حفظاً للأنساب، وصيانة للمجتمع الإنساني، وحماية له من

---

[1] الأهرام في ٥ من مايو سنة ١٩٣٤م.

[2] البخاري ج٣ ص١٧٦ ويعد الحديث معجزة لإخباره بالغيب.

[3] الأحكام الإسلامية للطبيب أحمد جيحون التركي ص٥٨.

[4] الأهرام في ٨ يوليه سنة ١٩٣٢م.

الـدّنس، الـذي تلوثـت بـه أوروبـا، وعدّتـه مدنيـة. ومـا هـو إلاّ اسـتهتار ممقـوت، وخلاعـة مبتذلـة، تـؤدي إلى الانفصـال. حـتى قـال الفيلسـوف الكبـير تولسـتوي[1] الروسـي: "إن السـبب في مسـألة الطـلاق الـتي تشـغل الآن الـرأي العـام في أوروبـا هـو التمـدين الـذي لم يقتـبس منـه الإنسـان سـوى الخلاعـة والحمـق. هـذا هـو السـبب الحقيقـي في ازديـاد الطـلاق نمـوّاً كـل يـوم فـلا يمضـي علـى زواج امـرأة برجـل ردح مـن الـزمن حـتى تقـول لـه حـاذر أن أتركـك وأمضـي إلى حـال سـبيلي. سـرى ذلـك مـن الربـوع العاليـة في المـدن إلى أكـواخ الفلاحـين. فالفلاحـة لأقـل شـيء تقـول لزوجهـا خـذ قمصـانك وسـراويلاتك لأني تاركتـك وذاهبـة إلى غـيرك. هـذا لأن المـرأة لم تحتجـب فخلعـت ثيـاب الحشـمة واحـترام الـزواج وخرجـت مـن دائـرة الخضـوع لـه. تلـك الواجبـات الـتي ينبغي أن تبقى عليها حتى انقضاء الأجل."

ثم قـال هـذا الفيلسـوف: "وعلـى الرجـل أن يكـد ويشـتغل وعلـى المـرأة أن تقـيم في البيـت لأنهـا امـرأة أو بعبـارة أخـرى لأنهـا إنـاء لطيـف سـريع الانـثلام والكسـر. وعلـى الرجـل أن يراقـب سـلوك امرأتـه ولا يطلـق لهـا العنـان بـل يحجبهـا في البيـت والبيـت دائـرة حرية واسعة للمرأة"[2]

ثم استرسـل هـذا العظـيم في آرائـه وانتقـاد المـراقص والأزيـاء في أوروبـا وامتـدح الإسـلام في كثـير مـن عباراتـه حـتى راسـله المرحـوم الإمـام الشـيخ محمـد عبـده بعـدة رسـائل جـاء في واحـدة مـنهن: "نظـرت في الـدّين نظـرة مزقـت حجـب التقاليـد ووصـلت بهـا إلى حقيقـة التوحيـد ورفعـت صـوتك تـدعو النـاس إلى مـا هـداك الله إليـه. فكنـت هاديـاً للعقـول حاثـاً للعـزائم والهمـم وكانـت آراؤك ضـياء يهتـدي بـه الضالون[3]..."

---

[1] حكم النبي محمد للفيلسوف تو لستوي ص٢١.

[2] راجع مقدمة الحياة المنزلية للمؤلف.

[3] من رسالة الإمام بحكم النبي محمد ص٢٨.

حكمة الوضوء

ولما مات رثاه شعراء المسلمين وفي مقدمتهم شوقي وحافظ. وبعد أن أدلى زهران بهذه البراهين على حكمة الإسلام الاجتماعية عطف على حكمة العبادات وتلى شهادات الأجانب في ذلك فنقل عن الطبيب[1] شايكس "أن الوضوء خير ما يتقي به شر الجراثيم، لأن الأعضاء الظاهرة معرضة لها وذريعة لنقل العدوي ولكن الوضوء يحول دون ذلك.

وها هو كوما نوس باشا يقول: "إن محمد صلى الله[2] عليه وسلم يعتبر الواضع الأول لعلم الطب بين قوم تجافوا الحياة النظامية، وقد اعتمد على أقدس خطة تمثل احترام الإنسان لخالقه. عند المثول بين جلالته، وهو أول من أمر بالوضوء. وشرع الاستحمام، وألزم المسلمين النظافة" حتى الأسنان فقد ورد في الأثر " لولا أن أَشُقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة " وأنتم ترون أن الإنسان يستعد بالنظافة للمثول بين يدي كبير أو أمير، وجدير بنا أن نعمل بها إذا كنا بين يدي أكبر كبير، وهو الله، ولذا كان الطهور مفتاح الصلاة.

حكمة الصلاة

والصلاة تنهانا عن الفحشاء والمنكر؛ إذ تذكرنا عظمة الله في اليوم خمس مرات، ويتمثل جلاله سبحانه وتعالى، ونحن واقفون بين يديه، فنخشع لجبروته، ونخضع لسلطانه، ونخشى عذابه، ونرقب هيمنته، ونناجي سره، فتدوم الصلة، وتجود المراقبة، ونقر بالربوبية، ونعترف بالوحدانية، ونتحلى بالصفات الإيجابية، ونتخلى عن السلبية.

---

[1] كتاب الصحة لشايكس.

[2] مذكرات الطبيب كوما نوس باشا بالملاجئ العباسية ص٢٣٣ من المجلد الحادي عشر بعنوان الوصايا الصحية والشريعة الإسلامية.

والصلاة درس فعال في الثبات، وقوة العزيمة، لموالاة فعلها مرات كل يوم في أوقات معينة. وإن في اجتماعنا لتأديتها في زمان واحد، ومكان واحد، لوسيلة كبرى، من وسائل الاتحاد المنظم الممثل في صف الصفوف. والحركات الرياضية المنسقة. ولا تنتهي الصلاة، إلاّ وقد لانت القلوب، وتأهبت لفعل الخير، وهنالك يتسابقون للمعاونة والمعاضدة، وترى روح التكاتف والمساعدة، قوية، وقضاء المصالح بعد تأدية الصلاة سهلاً، فتتمكن الألفة، وتقوى روابط العمران والاتحاد، مع التواضع والخضوع والمساواة بين الناس لأن الفقير يقف جوار الأمير، ولا حرج عليه؛ ويؤديان هذه الفريضة، جنباً لجنب، ويضع كل منهما أشرف أعضائه وهو الوجه، على الأرض متذكراً عظمة الله وجلاله، فتخشع القلوب لهيبته، وتتنزل النفوس المستكبرة من عليائها، وتسيجّ بسياج التواضع والخضوع، ولا سيما عند التكبير، والسجود والقيام والقعود.

وفي الجماعة درس إيجابي جليل، في الصبر والثبات، لأن المأموم يتابع إمامه، صابراً ثابتا، مهماً بلغت طيلة الإمام، في أقوال وأفعال.

وفي الصلاة ثقافة أدبية، مع الله والرئيس، بحسن الجلسة، والإنصات للإمام، وعدم رفع الصوت فوق صوته، وحفظ الجوارح وضبطها، حتى تتعود الاستقامة والتقوى، في السر والنجوى.

هذه بعض أسرار الصلاة وأثرها في العقول والنفوس وهناك سرّ آخر لو أدركه غواة الرياضة البدنية، لخضعوا لحكمته، وتعلقوا به صباح مساء، إذ لم تخرج الصلاة عن دروس رياضية منظمة، تتحرك فيها جميع العضلات. وتمرن بها الأعضاء حتى تقوى على مكافحة الحياة، وتعتصم من السمنة التي يئن ذووها اليوم منها؛ ويكون الجسم مطيعاً لصاحبه عندما يساق إلى الإسعاف أو إلى ساحة الوغى والعمل؛ وميادين الحرب التي تتطلب مثل هذه الحركات؛ وتلزمك بالوقوف صفوفاً، وبالركوع آونة، وبالسجود تارة، وبالجلوس طوراً، وبالنظر نحو اليمن أو اليسار في أوقات

مختلفة، وتجد كل هذه الحركات في الصلاة. وفي تأديتها جهاد للنفس والعقل والجسم، ينمو بالمواظبة عليها، والتمسك بها.

حكمة الزكاة

ثم حاول المحاضر، أن يلج باب حكمة الصيام؛ فحال دون ذلك إسمعيل العجمي، لأنه يمضي ثلاثة أرباع حياته في الصوم، وقد عرف فضله، وأجدر به أن يسرد حكمته.

فعطف زهران على الزكاة ونوّه عما لها من الحكمة، والأثر في الأمن والعمران؛ وقال إن الزكاة لا تنقص شيئاً من المال، وإنما تنمية كما يدل على ذلك اسمها المشتق من النماء والزيادة. ولما كان من أكبر شهوات النفس، حب المال الذي يقول فيه الله تعالى:

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[1] أراد جلت قدرته أن يعلمنا كيف نكبح جماح النفس ونجردها من البخل والشح ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] ومتى تخلت الروح عن ذلك، وتحلت بالإحسان والكرم؛ مالت للشفقة والرحمة، والعطف على المساكين والفقراء، وإشباع جوعتهم، وقضاء ديونهم، وإدخال السرور عليهم، لينتظم العمران، وتصلح الحياة. وقد خلق الله النّاس متفاوتين في الرزق والخير، والغنى والفقر، وإذا منع الأغنياء حقّ الفقراء عمت الفوضى والاشتراكية، كما في البلاد الأجنبية. وفي الزكاة روح التعاون، والألفة والاتحاد، حتى يكون المسلمون كجسم واحد، إذا تألم منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر؛ أو كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً؛ أو كأسرة واحدة، يدافع فقيرها عن غنيها، بجوارحه جزاء إحسانه إليه. ولذا كانت الزكاة عصمة للهيئة الاجتماعية، ووقاية لها من الانهيار.

---

[1] سورة الفجر.

[2] سورة التغابن.

قال الفيلسوف (بواليه): جار الأقوياء على الضعفاء فأبادوا الأمريكيين الأصليين (الجنس الأحمر) ثم اقتسم الأوروبيون[1] أفريقية، باسم الحضارة، والحقيقة أنهم جعلوها أسواقاً يبيعون فيها سلعهم؛ فنجم عن ذلك الحقد والحسد بين الدول، وكانت الحرب العظمى. واشتدت الضغائن في الجمهور، مع عدم الاكتراث، وعبادة المال؛ وهذه علائم الانقسام والانقراض.

والزكاة منعة من الدمار والفقر والأزمة التي تئن منها بلاد الغرب، وقد انتشرت فيها الفوضى بانتشار الأزمة. ولئن خلناها بين شبابنا فإنما ذلك لبخل الأثرياء ومجاراتهم للتقاليد الغربية في هدم ركن الزكاة. ولكنك تتلمس الأزمة الشديدة مجسمة في أوروبا وترى شبحها يخيف الورى، ولا سيما في فرنسا وألمانيا وانكلترا؛ حيث خلفتها الحرب العظمى، فولدت جيوشاً عاطلة، وأفكاراً باطلة، لا تتوارى إلاّ بالزكاة إذا شاءوا. وكذلك تراها في أمريكا الشمالية، حيث الفوضى والاشتراكية؛ يقودان كتائب السفاكين بدعوى المساواة بين الرجال في الخير والمال. لأن أولئك لا يعلمون حكمة الزكاة، ولا يدركون الوحي الناطق بالحق: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ﴾[2] . وتراها مجسمة في ألمانيا حيث الشيوعيون يناهضون أمريكا الشمالية،[3] في معارضة القدرة الإلهية من جميع الوجوه ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾[4]

والأزمة في بلاد الإسلام معدومة، وأشباح موهومة، ما دام رجال الله، يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة. ويعملون بقول الله ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾[5] ﴿ وَمَآ

---

[1] الاشتراكية لجوستاف لبون ص٢٤.

[2] سورة النحل.

[3] مذكرات الأزمة للمؤلف.

[4] سورة الأنعام.

[5] سورة آل عمران.

أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1] ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2] إلخ...

حكمة الحج

وأما الحجّ، فأنتم أدرى بمنافع السفر وفوائده وقد أطنب فيه الأدباء والشعراء قديماً وحديثاً والحياة برهان واضح على أهميته في التبادل والتعارف... ولئن قلتم إنه مشقة، فإن في تجشم مشقاته، تهذيباً للنفوس، وتواضعاً لها. وإن في اجتماع المسلمين من سائر البلاد في مكان واحد، لوسيلة كبيرة للتعارف والاتحاد؛ وهو كالجهاد في أخطاره، وتضحيته وإخلاصه، ولذا ترى الحجّ يعد النفوس للجهاد في سبيل الله؛ حتى إذا ما نادى المنادي، ودارت رحي الحرب؛ ترامت النفوس في ميادينها، فداءً لدينها؛ ولذا ترانا لا نغلب على أمرنا، ولا نرهب من كثرة أعدائنا. وإن مع هذا بالحجّ، نقف على أحوال العالم وأخباره، وعاداته وعجائبه، بالتفاهم مع الطوائف الأخرى. وقد يكون مدعاة لرواج التجارة في الأقطار، ودعاية لنشر السلع في الأمصار. وفي تأدية هذه الفريضة، كمال العبودية ونهاية الخضوع لله عزّ وجلّ، لا بالسفر فحسب؛ وإنّما في الهرولة بين الصفا والمروة؛ وفي رمي الجمار، واستلام الحجر، تعبداً لله.

وقهراً للنفوس لتتعود الامتثال، لأوامر الحضرة الإلهية؛ وإن كان جل سرها مجهولاً، ولا ندرك منه أكثر من امتثال وابتهال. ولو اطلعنا على الغيب، لأدركنا هذا السر؛ ولكنا إزاء ذلك أدنى منزلة من موسى مع الخضر. بيد أننا نفهم أن تأدية هذه الشعائر موجب للاتحاد، والتواضع والتآخي والاخشوشان، إذ يلبس الحاجّ ملبساً ساذجاً غير مخيط ويجرد نفسه عن الملاذ والشهوات المباحة أياماً، لا يعبأ بها ولا بملبسه. ويكفي أن وضعت السيدة[3] إيفيلين كوبولد الانجليزية كتاباً في الحجّ معترفة بفوائده بعد أن أسلمت وحجت وأطنبت في أن الحاج لا يعبأ

---

[1] سورة سبأ.

[2] سورة البقرة.

[3] كتاب المؤلفة والأهرام في ٨ من يناير سنة ١٩٣٥م.

بهندامه مليا، حتى يتشبه بالمتصوفين، ويستعد للطوارئ إذا ما نزل به خطب، يجرده من النعمة؛ فلا يتململ ولا يجزع، بل يديم التسبيح والتهليل، والتكبير لمولانا الجليل. والحجّ مثال صغير، ليوم القيامة الكبير ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[1] وفي الأثر: من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق ...إلخ

حكمة الصيام

ثم جلس هذا الرفيق. بين هتاف وتصفيق. وصعد إسمعيل في المصعدة، لينجز موعده؛ وما هي إلاّ ساعة، حتى غصت القاعة؛ وحشدت الجموع، من كل الربوع. فنهض في أدب وخشوع، وقال في غرة الموضوع:

تعلمون أن الصيام، إمساك[2] عن الطعام والشراب طيلة النهار؛ والإنسان مركب من جسم، وروح وعقل؛ فهل تستفيد هذه الثلاثة من الصوم؟. أجل إن الصيام يفيد ثلاثتها، وقد كان سبباً في إظهار آيات عظيمة، مدركة بالحسن، لأن قوام هذه المجموعة، وعمادها النفس.

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ∴ حبّ الرضاع وإن تفطمته ينفطم

فلا ترم بالعاصي كسر شهوتها ∴ إن الطعام يقوي شهوة النهم

وقد أجمع فلاسفة الشرق والغرب، على أن الصيام يكف النفس عن الشهوات، ويكبح جماحها، ويكشف للإنسان عن ظلمات الحجب التي تغطي الأرواح، وترين على القلوب. ومتى كانت النفس شفيفة لطيفة، تشبهت بالملائكة، ونظرت الحقائق والعجائب.

---

[1] سورة آل عمران.

[2] اقتباس من حكمة الصيام للمؤلف وقد نشرها بالشعب تباعاً في رمضان سنة ١٣٥٢هـ.

ويمكننا أن ندعم هذه القضية، بالبراهين المحسوسة الملموسة في جماعة المتصوفين والروحانيين، الذين نالوا كثيراً من الخوارق، وضربوا المقياس العالمي، في الاستقامة والزهد. وقد جاراهم علماء المغناطيسية الحديثة، في توكئهم على الصيام، الذي يعلمنا الصبر والثبات، وهما الخلقان اللذان دارت على محورهما رحي الفتوحات؛ ونشر الدعايات، بقوة العزيمة، الناجمة من ذلك، كما تشهد في سير الأنبياء والحكماء والأتقياء، الذين استنارت الدنيا بأفكارهم، ومهدت سبل الحقائق بأعمالهم. ولئن نظرت إلى مواقف المسلمين، في افتتاح القادسية،[1] والمدائن والاسكندرية؛ وغيرها لرأيت أن ظفرهم كان ناجماً من الصلاة الصيام.

ومن هنا ندرك السرّ في ترويض البعثات التي ترسلها ممالك أوروبا وأمريكا إلى الأقطار المتوحشة، وتمرينهم على الاخشوشان، والجوع والصيام، حتى يتعلموا الصبر، والثبات والإقدام، وبذا تراهم فتحوا واستعمروا، وبشروا وأنذروا، ونجحوا وعمروا.

وأثر الصيام واضح في تكوين الفضائل والعظماء؛ وما أخلاق الصحابة والسلف الصالح إلاّ من نتائج الصوم حتى لقد كانوا المثل العليا بعد الأنبياء صلوت الله عليهم. وسيرهم براهين ناطقةٌ بفضلهم وعدلهم. وكان عمر ينام على الرمل آمناً مطمئناً حتى يمر عليه البدوي فيقول: حكمت فعدلت فأمنت. وهو الذي قال فيه لامان[2] وكوتان: "إن هذا الذي كان في ثوبه أربع عشرة رقعة، كان إذا ذكر اسمه، ارتعدت له فرائض ملوك الأرض." وكان عمر يعسّ بالليل ليقف على أحوال الرعية؛ وما قصة البدوية التي جاءها المخاض، وقد أعد لها مع زوجه معدات الراحة، إلاّ برهان ساطع على فضل الصيام.

---

[1] مدينتان بالعجم والأولى كانت في جنوب الكوفة والمدائن كانت في الجنوب الشرقي لبغداد وكلتاهما كانت أمنع بلاد العجم في الفتح الإسلامي.

[2] التاريخ العام ومجلة نور الإسلام ص١٩ من المجلد الخامس .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة حتى نزل في علي كرم الله وجهه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[1] وإذا ثبت لديكم بالبرهان أن الصوم يعلمنا الصبر والعدالة، والعفة والكرم، كما رأيتم في المثل السابقة فتلك أمهات الفضائل، ومقياس السعادة، وصفات الروح الإيجابية، كما يرى زينون وأفلاطون،[2] ومن تبعهما من فلاسفة المسلمين؛ وقضّى على آثارهما (كانت)[3] الألماني، وتولستوي[4] الروسي، وافبري الإنجليزي،[5] وغيرهم من العباقر. ويخالفهم أرسطو[6] وداروين[7] وغيرهما ممن كتبوا في هذا العصر، لتعدد الخوارق المغناطيسية، التي أفسدت آراءهم.

ومن أمهات الفضائل المتولدة من الصيام، تتولد بناتها من مروءة وألفة، وحياء وقناعة، ووطنية صادقة، وغير ذلك. ومن هذا التحليل نستنتج المراد من قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[8] أي النفس وهي لا تزكي ولا تزكو، ولا تسعد لتصعد، إلاّ بالأخلاق الإيمانية، الآتية من طريق الصيام؛ كما نتفهم رجاء الاستقامة والتقوى للصائم، في قوله جل وعلا: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[9] ومن الإحصاءات الدقيق عرف أن للصيام أثراً كبيراً في تخفيف وطأة الجرائم، لأن الجريمة أو التبعة الأخلاقية؛ لا تقع إلاّ حيث تكون الإرادة. فمتى وجدت الإرادة وجدت المسئولية. والضمير

---

[1] سورة الدهر.

[2] أفلاطون (Plato) فيلسوف إغريقي مصري توفي في القرن الرابع قبل الميلاد.

[3] كانت (Kant) فيلسوف ألماني كبير توفي سنة ١٨٠٤م.

[4] فيلسوف روسي عظيم توفي سنة ١٩١٠م.

[5] عظيم من عظماء الإنجليز وأدرك معنى الحياة فكتب فيها كثيراً بروح تتفق والفضائل الإسلامية.

[6] أرسطو (Aristotle) فيلسوف إغريقي توفى سنة ٣٢٢ قبل الميلاد.

[7] داروين (Darwin) فيلسوف إنجليزي طبيعي نوفى سنة ١٨٨٢م.

[8] سورة الشمس.

[9] سورة البقرة.

و الإرادة توأمان وكلاهما من بنات العفة، التي يقوي سلطانها بالصيام. وأما جرائم الأثرة والانتقام والقتل والاستهتار فتقوى بالشبع والنهم كما ذكرنا آنفاً.

والصيام يكبح النفس ويعدها للتوبة فيقل البغي والعدوان، وتسلسل شياطين الإنس، بأصفاد الصيام، مصداقاً للأثر القائل: "إذا دخل[1] رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين." وإذا كانت الإرادة هي الوساطة بين النفس والعقل، على ما حققه علماء النفس، أدركنا أن الصوم عصمة وحصن منيع من الشرور، كما في رواية الترمذي "الصوم[2] جنّةٌ" أي وقاية ومنعة.

الثقافة في الصيام

وإذا علمت أن الضمير مبعث الحس المنتشرة أعصابه في الجسم انتشار الأسلاك البرقية في المملكة؛ فهمت أن كثرة الشحم الناجم عن الامتلاء يقف تيارها الكهربائي، ويطفى على المخ، وهو مبعث الإحساس، فيذويه ويلاشيه، ويكون أقرب إلى الحيوانية، منه إلى الإنسانية. ومتى ذوت أعصاب المخ أو ضعفت، صعب تغذيته وتثقيفه بالعلم. ولئن قلت إن عصمة الفكر إنما تكون بعلم المنطق، لأجبتك بأن المقدمات المنطقية، والدلالات الوضعية، والكليات والجزئيات، والقضايا، والأشكال القياسية، وجميع مكونات الفكر، كل أولئك آيات الضمير، وثمرات الوجدان، وهما توأمان، وكلاهما يموت من شهوة الطعام والامتلاء.

أثر الصيام في الجسم

وأما أثر الصيام في الأجسام، فإن الأطباء مجمعون على أنه يجفف البدن من الرطوبة، وما الجسم إلاّ آلة من الآلات ومتى كثر استعمالها، ضعفت قواها، واختل نظامها كغيرها. ويعزز هذا الرأي قولة الطبيب اسنيك: الحياة ليست قصيرة، ولكنا نقصرها بالإفراط في الطعام.

---

[1] البخاري ص٢٢٢ ج١.

[2] البخاري ص٢٢٢ ج١.

وقال هيكلة يخاطب معشر الطهاة: إني مدين لكم بالشر أيّها الطهاة على ما يؤدونه من الخدم لنا معشر الأطباء. والله جلّ وعلا يقول :

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾[1] وفي الأثر. "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء". ويكفي أن الطبيب الألماني أوتوبر خنجر (Otto Buchinger) وضع مؤلفات خاصاً بصيام المسلمين وبرهن على تأثيره الدم والغدد والطمال والكبد والكلى وضغط والإفرازات وغيرها كما برهن عملياً بأنه يداوي بالصيام مئات من الأمراض الجسمية العصبية والعقلية[2] .

أثر الصيام في الجمال

وللصيام أثر عظيم في الجمال، واعتدال القوام، ولذا ترى دعاة أثر المدنية الحديثة يهرعون إلى الأطباء يتلمسون منهم نحولة أبدانهم، لتكون مطابقة لمدينة اليوم، حتى لا تضيق عليهم جلودهم، ولا تطغى شحومهم، خصوصاً السيدات، اللائي عرفن أن الشعراء قديماً وحديثاً، لم يتغزلوا إلاّ في النحيل، والقوام المعتدل الجميل؛ والمدنية الجديدة، تطالبهم بالرشاقة والخفة. وأما البدناء فقد محبتهم الطبيعة، ولفظتهم المدنية، لأنهم لا يصلحون للعمل. فأقبلوا على الطب الحديث، ليرد إليهم جمالهم ويحلل من شحومهم، ويعدل من قوامهم فأمرهم الطبيب بالحمية والرياضة، ولو أنصف الطب لقال لهم: أقيموا الصلاة؛ ففيها أعظم رياضة؛ وصوموا رمضان، فهو خير حمية صحية.

وأي إنسان يصلي المفروضات والمسنونات، ويروح عن نفسه بالتراويح، ويذللها طيلة النهار بالصيام، ويبقى في جسمه أثر للبدانة، التي تذهب بالرونق والجمال. ألا إن الذين منعوا زكاة

---

[1] سورة الأعراف.

[2] هدى الإسلام عدد ٦١ من المجلد الثاني.

أبدانهم بالصيام﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾[1] كما يأمرهم الشرع الشريف والطب الظريف.

الصيام والفصاحة

والصيام يؤثر في اللسان، ويزيد في الفصاحة البيان لأنه يجفف رطوبة اللسان، ويخفف حركته، ويقوي أعصابه؛ ويهيئ صاحبه إلى اللسن واللباقة، والفصاحة والخطابة.

وترى الصيام يزيد في العمر ويرقى العمران، لأنه عطف على النفس وهذبها، وثقفها، وحفظها من الشهوات. وتدخل في نظام العقل والحس والوجدان، فأخرجها من الظلمات إلى النور؛ وأرسل سياله الكريم إلى الجسم فقواه، ونماه، حتى كان مناعة له من العلل والأسقام. وماذا يتطلب العمران أكثر من نفس مثقفة، وعقل حكيم، وجسم سليم، وتلك هي أركان العمران، وذرائع نموّ السكان.

الزهد بالصيام

ولئن أحصيت أعلام الزهد والقناعة في العالم، وفي مقدمتهم عمر، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، وإبراهيم بن أدهم، الذي كان من أبناء ملوك العجم؛ لرأيتهم جميعاً تخرجوا من مدرسة الصيام في صدر الإسلام. وهو خير وسيلة لمكافحة البطالة لأنه أثر في العقل والجسم وهذب النفس فلا تستنكف أن تحتطب لتعيش حرة قانعة. والبطالة ناجمة عن أحد أمرين: إما من سوء الأخلاق، أو من قلة المال؛ والصيام يطهر الأخلاق من الدنس، كما أنه وسيلة من وسائل الاقتصاد، الذي يكثر به المال، ولا يتحاشى الصائم أي عمل، مهماً كان حقيراً يعيش به، مقتدياً بالسلف الصالح، الذي صام طويلاً وصعد ونجح في الدارين. ولقد احترف الأنبياء، والملوك والأمراء والخلفاء والعلماء. ومن الرسل من تعلم النجارة، ومنهم من زاول التجارة.

---

[1] سورة آل عمران.

ولا شك أن الصيام يصعد بالرجال، إلى أحسن حال، ويبلغهم ما يرجون من الآمال، ويريهم طريق المدنية الصحيح، فيرفلون في ثبات العز والجلال والاحترام، كما كانوا في صدر الإسلام. وبذا تتلاشى المدنية الكاذبة التي أودت بالنفوس إلى الانهيار، في سبيل الانتحار، والخراب والدمار.

إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] ثم ختم محاضرته قائلا: وإلى اللقاء غداً أيّها الإخوان؛ فليلب الدعوة من يجيب؛ وليتحد معنا كل أديب؛ وإن غداً لناظرة قريب.

عبرة في الإسلام

وما كاد ينتهي من محاضرته حتى حرك حسان دولاب الحاكي الجوي فحرك الأشجان بنشيد الألحان ونغم جديد شاعر مصر المجيد[2] القائل في مجد الإسلام:

بكيت قواعد الإسلام لمّـــا ∴ تزعزع ثبتهـــا والمسلمينـــا
قد انفرطت عقودهمـــو بأرض ∴ حمت عقبانها المتجمعينـــا
فذاك جرى مع اللاهين شوطـا ∴ وذاك سها مع المتزهدينـــا
فما بلغـــوا بذاك اللهو دينـــا ∴ ولا بلغوا بذاك السهو دينـــا
وشتـــوا في البلاد وكـــل أرض ∴ حوت منهم غريباً مستكينـــا
تكـــاد تخالـــه ممـــا يعانـــي ∴ بهذا الدّين في الدنيـــا مدينـــا
تضيق النفس بي طولا وعرضـــاً ∴ إذا مرحت بذكر الغابرينـــا
همو فرحوا بعيش يوم ماتـــوا ∴ فعشت عليهمو عمري حزينـــا
بنفسـي (سر[3] من را) وهي برج ∴ حوى كالبدر معتصماً ركينـــا
وشعر البحتري بهـــا مطيف ∴ يكـاد يفيض سامعه حنينـــا

---

[1] سورة البقرة.

[2] عبد الحليم المصري والملاجئ ص٥٩١ من المجلد الثاني عشر.

[3] المينة الجميلة التي بناها المتعصم لجنده شمال بغداد على نهر دجلة وتسمى أيضاً سامرّا.

وفيها البركة الفيحـــاء تجري ∴ ينابيعـــاً مع ذهب لجينـــا
فأين اليوم أندلس فأبكـــى ∴ رفات المجد والفخر الدفينـا
وأطرق ساحة الحمـــراء علّي ∴ أرى جداءهـــا عادت لبونـــا
أعيذ الدين من قوم أناخـــوا ∴ بكلكلهم عليه أذى ومينـــا
وجـاء وا الترهات فبات منهم ∴ بنو موسى وعيسى ساخرينـا
فئـــات تبتغي بالدين رزقـــا ∴ ودمع الدين يغمرهم سخينـا
فكم من لحية بيضـــاء تحكي ∴ بساط الروض مرجوًّا مصونـا
فيقتبل الصبـــاح بها تقيـــا ∴ ويقتبل الظلام بها لعينـــا
وكم من راحة بيضـــاء تحكي ∴ أقـــاح المنحنى حسنا ولينـا
محاهـــا اللثم تبريكـــا فأمـــا ∴ إذا احتجبت فقد محت اليقينـا
وكم حمراء فوق الرأي تحكـــي ∴ جهنم أوقدت للكافرينـــا
وأخرى جنة سرقت نهـــاراً ∴ فحاملهـــا أمام السارقينـا
وكم سوداء كا لأفعي أعدّت ∴ لتخرج مثلها سفعاً وجونـا
فيا مجد الشريعة كيف تعفـــو ∴ وتصبح لا ليوث ولا عرينـا
أئن ولّى الأمين وصاحبـــاه ∴ يضل عن الصراط المهتدونـا؟
وهيهات الصلاح الدين قوم ∴ إذا كان الأئمة مفسدينـــا
سيجمعنا الكتاب إذا افترقنا ∴ ويدنينـا الهلال إذا نئينـــا

حديث ديبوي

ثم وقف أحد أبناء الافرنج المثقفين، وأشار إلى حديث جرى بينه وبين الكردينال ديبوي[1] رئيس أساقفة باريس سنة ١٩٢٥م الذي أثبت بالبراهين الساطعة، أن الدين الإسلامي خدم الثقافة والمدنية، مع أن العلماء الذين يدعون العلم بأحوال الشرق، يأبون النظر في التأويل الجديد للثقافة الإسلامية، الذي استقى منه أعلام الأساتذة والباحثون العظماء كالأستاذ اسينى بالاكيوس الأسباني اليسوعي والأستاذ جولد المجري الذي جدد معلوماتنا عن الثقافة الإسلامية

[1] الأهرام في ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٣٤.

تجديداً تاماً وقد أصدر البابا بوبوس الحادي عشر سنة ١٩٢٨م كتاباً بعنوان أشياء شرقية؛ اعترف فيه بضرورة درس كل ما كتب عن المدنيات الأسيوية وخاصة الإسلام من غير محاباة. وما كاد يجلس هذا الرجل حتى وقف العجمي وقال: ذلك لتعلموا قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1] .

[1] سورة المائدة.

الباب الثالث
المجد في صدر الإسلام

التـــأم الصـــدع، واجتمـــع الجمـــع، وكـ ..ـيـــه ضـــيف جديـــد، يحـــاور في الأدب والتجديـد، لقبـوه بهربـرت العنيـد؛ وهـو ـ إسمعيـل، صـاحب ذلـك البيـان الجليـل؛ فرحـت بـه العـرب بعـد أن قدمـه صـديقه في أدب، ثم نهـض الأمـير حسّـان، وقـد اكـتظ المكـان، فقـال: وفـاءً بوعـدنا، وتأييـداً لمجـدنا، أبـدى لحضـراتكم مـا سـجلته الصـحف التاريخيـة، مـن آثارنـا العمرانيـة؛ الـتي لا ينكرهـا إنسـان؛ ومـن شـاء مـراجعتي فعليـه بالبرهان، وعلى أن أريه العجب من مجد العرب.

النهضة الإسلامية

كلنـا يقـرأ في التـاريخ والأدب، ويعلـم أن النهضـة الإسـلامية، زلزلـت لهـا الكـرة الأرضـية، وتغلبـت علـى الأمـم، وافتتحـت الـروم والعجـم، ومصـر والشـام، والمغـرب والسـودان، وأوروبـا الجنوبيـة، والـبلاد الهنديـة وغيرهـا مـن الممالـك، الـتي فتحـت في ثمـانين عامـاً، وصـارت كلهـا إسـلاماً بجـيش صـغير مـنظم مشـبع بـروح الوطنيـة [1] والـدين. وقـد ثبـت أنـه لم يتيسـر للرومـان إبـان مجـدها أن تفعـل مثـل ذلـك في ثمانمائـة

[1] الأستاذ غاستون زنانيري والأهرام في ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٤م.

عـام، لا بـل مـا تسـنى للعجـم في بأسـها وعزهـا، أن تفـتح نصـف ذلـك في مئـات السنين. ولم تهزم[1] للإسلام راية في عهد الخلفاء .

فوقـف هربـرت وقـال: إلى هنـا اسـتوقفك أيّهـا الهمـام؛ وهـل لمـا ذكـرت مـن تلـك الـبلاد، حـظ مـن الرقـي والإسـعاد؛ ألا تـرى أنهـا احتجبـت فيهـا الشـمس، وقـد كتـب عليها الشقاء[2] والنحس وسوء الطالع والمقت، ولا سيما في هذا الوقت.

وعنـد ذلـك لم يتمالـك زهـران نفسـه مـن الغضـب، بـل قـام وقـال: رويـدك يـا هربـرت؛ فلكـل زمـان دولـة ورجـال، والـدول آجـال وأعمـال؛ وقـد مضـى دورنـا، وظهـر غيرنا، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ثم قفـى علـى قولـه حسـان قـائلاً: وهـاك أيضـاً برهانـا جلـيلاً، لا تـرى مـن نقضـه سـبيلاً؛ ألا تعلـم أن الدولـة العربيـة افتتحـت كثـيراً مـن الـبلاد الأوروبيـة كجنـوب إيطاليـا، وبـلاد اسـبانيا، ومـا جاورهمـا مـن الـبلاد الفرنسـية، والجزائـر الروميـة، وغيرهـا ممـن نلـن الأرب، مـن تعـاليم العـرب؛ ولا تـزال السـلالة العربيـة، بـارزة معروفـة في كثـير مـن المقاطعـات الفرنسـية، نحـو بـلاد الألـب العليـا، وشـرانت وبيلـرن، وغيرهـا ممـن تتعـرف فـيهم مميـزات العـرب[3] وصـفاتهم بشـعورهم السـوداء، ووجـوههم المسـتطيلة، ووجنـاتهم الأثيلة، وعيونهم الدعجاء ولا تزال هذه العلائم واضحة في تلك البلاد الفرنسية.

ماضي أوربا

---

[1] حضارة الإسلام ص٤٠.

[2] هكـذا زعـم بعـض مـؤرخي الفرنجـة وعرضـوا بـآرائهم مـن سـنوات مضـين وهـم بهـذه الآراء يقيمـون الأدلـة علـى جهلهـم المطبـق بتـاريخ أسـيادهم العـرب، وقـد تصـدى لـدحض مفتريـاتهم كثـير مـن الكتـاب بالنشـر في الكتـب والمجـلات ومـن ذلـك مـا نشـر بـالملاجئ العباسـية في المجلـد الحـادي عشـر ص، ١٣٠، ١٨٨، ٢٣٥ وقـد ألـف الأسـتاذ جوسـتاف لبـون وسـديو الفرنسـيان كتـابين جليلـين أنصـفا بهما العرب وكانا من المراجع التي عولنا عليها هنا.

[3] حضارة العرب للمؤرخ جوستاف لبون المتوفى في ديسمبر سنة ١٩٣١م.

قال هربرت؛ إنما أعني من أوروبا الجزء الشمالي، وما فيه من المجد الحالي، وأن العرب لم يصلوا إليه في الفتوحات الإسلامية وها هو اليوم يرفل في ثياب المدنية.

فقال حسان: وأين كانت تلك البلاد الشمالية أيام مجد الدولة العربية؟.

فقال هربرت: كانت في أدوارها الأولية.

فقال حسان: أكان لها أثر في تلك الأيّام؟ أيام مجد الإسلام. ألا تدري يا هربرت أن بلادكم قديماً غيرها في هذا الوقت. ألا تعلم أنكم كنتم أقل من عبيد السودان، في تلك الأزمان، ولو كنا نرى فيكم رجالاً، لا فترسناكم حالاً، كما افترسنا الروم[1] والعجم وسائر من ظهر من كبريات الأمم. على أن العالم يشهد أننا أبدينا كثيراً من التساهل والتسامح مسترشدين بالقرآن الكريم وإجماع الخلفاء الراشدين[2].

فقال هربرت: إنا نريد بياناً وحلما، لا تقريعاً ولا شتماً؛ فأجابه حسان: إنما سردنا حقيقة وعلما. فهل تريد بعد هذا حكماً؟

حضارة المسلمين

على أنني لست بأول من أظهر، أنكم كنتم قديماً كالبربر؛ بل منكم من صرح بهذا المقال، وخاض غمار هذا المجال. وكان قوله كالعلم، والتاريخ شاهد وحكم.

فقال هربرت: ومن ذا الذي صرح بذلك؟

فأجابه حسان قائلاً: إنه حجة التاريخ والفنون الأستاذ جوستاف لبون[3] الذي يقول: "إن المدنية الغربية إنما وصلت إلينا من البلاد العربية، حوالي سنة ألف

---

[1] التاريخ بالإجماع ينطق أنه لم يكن مناظر للعرب في صدر الإسلام ومؤرخو الافرنج النصفون أسبق الناس إلى النطق بهذه الشهادة.

[2] الأستاذ زنانيري والأهرام في ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٤م.

[3] هو ذلك المستشرق المؤرخ الكبير الذي أشرنا إليه من قبل.

ميلاديـة، أيّـام أنْ كـان العـرب، يقضـون أوقـاتهم في العلـم والأدب، ينسـخون المؤلفـات ويحركـون دواليـب الصـناعات، بينمـا كانـت الأمـم الأوروبيـة، في حضـيض مـن البربرية[1] لا يسمح لها بالنظر في أمور الحضر."

فمبس هربرت وكفر. وقال ما سمعنا بهذا الخبر؛ فمن أين اتيت بتلك الأساطير؟. التي تذيعها بين هذا الجم الغفير.

فقاطعه هاليفي في بيانه، وقد جرى على لسانه: إني سمعت هذا القول من سنين، وأعلم قائله علم اليقين.

فقال حسان: ومن لم يسمع به فليس من المطلعين. وأيده جمهور الحاضرين؛ فلم ير هربرت بدّاً من التصديق، وتنحى عن هذا الطريق. وحاول التلافيق والتزاويق؛ وقال أنا معكم من المصدقين، ولكنك تقول إنكم تغلبتم على أوربا الجنوبية؛ وما علمنا ذلك بالكلية.

فأجابه حسان: بل وبعض الشمالية. ابحث يا هربرت في المتاحف الزوجية، تجد فيها نقودنا[2] الذهبية ونقب في اللغات الأوربية ترها محشوة[3] بالألفاظ العربية .

في جزيرة صقلية

وتأمل في الصفحات التاريخية لتعلم أننا افتتحنا الجزيرة الصقلية سنة سبع عشرة ومائتين هجرية وقال في ذلك جوستان لبون: "لما أتم العرب فتح هذه الجزيرة بدءوا بترتيب أحوالها وتنظيم شئونها وقد قسموها إلى ولايات يحكمها الولاة، وعينوا لكل

---

[1] حضارة العرب The Great Events of History: 76

[2] الملاجئ العباسية ص ١٣٦ م المجلد الحادي عشر.

[3] مثل سكر (sucre) sugar وكحول alcohol وجبر Algebra ومثل كاراف (إنا من زجاج) carrafa وصك (شيك) chique وهول hole وسلاطين saladin وقراصيا cerise وقيثارة cythare وغير ذلك كثير وقد كتب في هذا الموضوع العلامة المرحوم أحمد زكي باشا بعنوان آثار العرب من سنوات بالملاجئ العباسية وغيرها.

قسم قاضيا وأنشئوا الدواوين للجباية. وأما المسيحيون فلم تمس نظمهم القضائية والدينية بل خول لهم الحق في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم بمقتضى قوانين أحوالهم الشخصية وجعلوا ضريبة على كل فرد حسب مقدرته مع مراعاة العدالة التي لم يرعها الروم قبلهم. ثم سنوا القوانين المدنية التي سنوها لتنظيم الحقوق الملكية والوراثة فقد جعلوها ملائمة لأحوال الجزيرة حتى احتفظ بها النرمنديون[1] بعدهم. ولم يصادر العرب المسيحين في شيء من طقوس دينهم كما شهد بذلك القس الدومنيكي كارادين حيث قال:[2] "إن القسس كانوا يبرزون في الطرقات بملابسهم الخاصة بالحفلات الدينية. وأيد هذا القول الراهب موروكولي وزاد أنّ الحفلات العامة في ثغر مسينه كان يقام لها علمان: علم إسلامي يمثل صورة برج أسود اللون على أرض خضراء، وعلم مسيحي يمثل صليبا ذهبيا على أرض حمراء ولم تمس الكنائس بسوء." وقد أنشأ العرب أول مدرسة للطب في هذه الجزيرة ومنها انتشر الطب في أوربا[3] .

وجاء في حضارة العرب أن المسلمين الفاتحين لهذه الجزيرة، تفرغوا للزراعة والصناعية وانتشلوها من الحضيض، وأذاعوا بها زراعة القطن وقصب السكر والزيتون والعنب والزعفران والمشمس والأرز والبرتقال والبطيخ[4] وحفروا الترع ونظموا الري وأحسنوا توزيع المياه[5] وأقاموا السدود على الأنهار، ولم تزل آثارهم باقية لليوم.

---

[1] إقليم في الشمال الغربي لفرنسا.

[2] حضارة العرب ص٤٤.

[3]الإسلام والحضارة العربية ص ٢٧٢.

[4]الإسلام والحضارة العربية ص ٢١٩.

[5]شارل أستيوبوس، والإسلام والحضارة العربية ص ٢١٨.

وقد تقدمت الصناعات في عهدهم تقدما عظيما، واستخرجوا المعادن من مناجمها واستخدموا الرخام والحوانيت، وعلموا أهلها تربية دودة القز، ونسج الأقمشة الحريرية، ولا يزال في مدينة نور مبرج رداء من الحرير من صناعة جزيرة صقلية كان يرتديه ملوكها العرب وأمراؤها وعليه كتابة بالخط الكوفي يرجع تاريخها إلى سنة ٥٢٠هـ (١١٣٣م) وصنع الأقمشة لم ينتشر في أوربا إلا نقلا عن الصقليين في عهد العرب

الاختراعات في صدر الإسلام

وكان في صدر الإسلام تمثيل كما عرفوا بعد ذلك الملاهي والخيالات[1] (السنما) ودور الآثار وتماثيل العظماء وتقديم ورقة بأصناف الطعام قبل الأكل وها هي النصوص التاريخية التي تثبت صحة ما أقول.

التمثيل قديماً

جاء في صهريج[2] اللؤلؤ للسيد توفيق البكري نقلا عن أمهات التاريخ أن التمثيل كان في صدر الإسلام.

قال أبو عبد الرحمن بشر كان في زمن المهدي رجل صوفي وكان عالما عاقلا لا يترك أسلوبا ولا سبيلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهذيب الأخلاق وتربية النفوس إلا فعله. وكان يخرج كل يوم خميس واثنين إلى جهة خارج بغداد فتجتمع حوله خلائق كثيرة من رجال ونساء وصبيان ثم يصعد تلاً وينادي بأعلى صوته: ما فعل النبيون والمرسلون؟ أليسوا في أعلى عليين؟

فيقولون نعم.

---

[1] المسعودي ص ٤٠١، ج٢.

[2] صهريج اللؤلؤ ص ٢٥٨ بعنوان الوفاقات في العادات

فيقول: هاتوا أبا بكر الصديق، فيتقدم رجل فيجلس بين يديه ويقول له: جزاك الله خيرا ياأبا بكر عن الرعية، فقد عدلت وقمت بما فرضه الله وخلفت محمدا صلى الله عليه وسلم فأحسنت الخلافة. اذهبوا به إلى أعلى عليين.

ثم ينادي هاتوا عمر هاتوا عثمان هاتوا عليا وهكذا حتى يأتي على خلفاء بني أمية فيقول اذهبوا بكل منهم إلى النار ما عدا عمر بن عبد العزيز.

الملاهي

وأما الملاهي فقد قال المقريزي:[1] "إن الأشرف خليل حين أتم قصره المعروف بالأشرف سنة ٦٩٢هـ عمل مهما لم يصنع نظيره ودعا إليه الأمراء ليحتفلوا بالدار الجديدة، فلما اجتمعوا وقاموا للرقص أمر الخازندار أن ينثر الذهب على رءوسهم؛ ففعل وهذه العادة سرت إليهم من المغول وهذبها المسلمون بما رأوه لا يخالف الشريعة في زمانهم.

الخيالة (السنما)

وكانت الخيالة معروفة مستعملة قبل ذلك فقد أورد المقريزي[2] في خططه أن البازوردي سيد الوزراء قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز المصورين، فقال ابن عزيز: أنا أصور صورة إذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط.[3]

فقال القصير: أنا أصورها كداخلة من الحائط.

ففعلا وكوفئا من سيد الوزراء وكانت الصورتان الراقصتين.

---

[1] الخطط المقريزية ص ١٦٣، ج٢، و ص ٢١٥، ج٣.

[2] المقريزي ص ٣١٨، ج٢.

[3] حضارة الإسلام ص ٢٢٦.

وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامي الرسام المشهورة صورة يوسف عليه السلام في الجب وهو عريان والجب كله أسود وإذا نظره الإنسان ظن أن جسمه باب من دهن لون الجب وهذه الصورة يشبهها الأن ما يصنعه الإفرنج من تصوير صور التماثيل الملائكة والقديسين.

قال في حوادث الدهور:[1] "إن السلطان طلب أصحاب خيال الظل (السنما) ٨٥٥ وأحرق جميع ما معهم من الشخوص والخيال وكتب عليهم تعهدات بعدم العودة لذلك"

التماثيل

وكانوا يقيمون تمثالا للرجل الصالح أو المشتهر عندهم ليبقى ذكره بينهم كم قال الله تعالى ويعوق، وأنه تمثال رجل صالح.

وكانوا يعرفون دور الآثار فقد حكى الأصمعي وكان يحدث الرشيد بسير بني أمية فلما بلغ سيرة سليمان قال بلغني أنه كان نهما يضع الخروف المشوي في كم جبته فطلبت جبب سليمان فإذا أكمامها دسمه.

أصناف الطعام

وأما تقديم ورقة الطعام قبل الأكل فقد جاء في الإحياء أن الإمام أبا حنيفة أضافه رجل فلما حضر الطعام قدم له خريطة فيها أسماء ما عنده من الطعام. ومثل ذلك ما ذكر في قصة عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر سئل رجل بحضرته عن وصف طعامهم فقال يسمى المضيف ألون طعامه للضيوف ويطلب كل منهم ما يريد.

---

[1] حوادث الدهور ص ١١٧.

من الحضارة

واستدرك مؤرخ أن من حضارة العرب زيادة عما مضى استعمال الورق والجلود مكان[1] النقود والتهادي بالزهر والريحان في الأعياد والمواسم ورفع ما على الرؤوس للتحية وقص الشعر وغير ذلك من المدنية الحديثة.

وقد نبغوا النبغة[2] التامة في جميع الفنون والصناعات والمعارف والحكمة.

الثقافة الإسلامية

وللمدنية الإسلامية الفضل الكبير في نهضة[3] الشرق وتوحيد لغته ودينه وجمع شتاته. ومع هذا فقد أنهض الغرب من رقدته وأيقظه من غفلته اقتداءً بالمسلمين بعد أن احتكوا بهم في أوروبا إذ وطئت أقدامهم أرض أوروبا وركضت خيولهم حوالي نهر لوار بفرنسا كما تعلم الافرنج من الحروب الصليبية ووقفوا على ما عند المسلمين من وسائل المدنية والمعارف الأدبية. لا بل والفلسفية. ولقد أثبت أحد كبار العلماء من وجوه شتى أن الشرق مهد الحكمة سواء كانت سياسية أو تشريعية أو أخلاقية أو اجتماعية.[4]

ولا ننكر ما للفلسفة من الأثر في النظم التاريخية والسياسية والانقلاب الذي هز أرجاء المعمورة وأنشأ فيها الجمهوريات والمساواة بين الأفراد وضمان حقوقهم على قاعدة استمداد سلطة الحكومة من الأمة.

والتاريخ يسجل أن العبران في الدّين والسلم واليونان في الفنّ والعلم والرومان في النظام والحكم والعرب في كلّ أولئك جميعاً.

---

[1] الأهرام في ٣٠ مايو سنة ١٩٣٤م.

[2] حضارة الإسلام ص٣١٩.

[3] الهلال ص٣٤٤ من المجلد السادس عشر.

[4] ملحق السياسة رقم ٣٠٣٩.

وإذا كان بدو العرب هم الذّين انتجوا الشعر[1] وفتحوا الفتوح ومصر والأمصار فإن حضر الحجاز هم الذّين حكموا النّاس ونشروا المعرفة وأقاموا الحضارة.

وإذا كان علم النفس ذريعة للعلوم وركناً من أركان الفلسفة كما يرى علماء اليوم فالفضل فيه للعرب[2] الذين ترجموه عن اليونان وهذبوه ووفقوا بينه وبين شريعتنا السماء ثم أمدوا به أوروبا أيّام عظمتهم.

وإذا قلنا إن التصوف يعتبر المثل الأعلى للدين وأنه وسيلة التسامح والسلام في جميع أدوراه فإنما هو من ابتداع العرب في صدر الإسلام. ولهم اليد البيضاء في حفظ الإنسان وإبراز أمهات التاريخ ومعجماتها.

وكانوا يعتبرون التجربة لزاماً في العلم حتى جرى بذلك المثل عند الافرنج وشهدوا به فهم يقولون: "إن القاعدة عند العرب[3] أبحث وطبق تكن عالماً، وعند الافرنج اقرأ واكتب تكن متعلماً"

الفنون العربية

ولذا ترك العرب آثاراً ناطقة بتجاريبهم ولا تزال لليوم تشهد بفضلهم مثل التقطير والترشيح والتفاعل الكيميائي الناشئ من الأحماض والمواد القلوية كما عرفوا نتائج السموم وما يضادها واخترعوا البارود والمرايا المحرقة والثلج والحجامة وكثيراً من المستحضرات الطبية[4]. وغير ذلك مما تجده مفصلاً في كتبهم العظيمة. وهم أول من عرفوا تفتيت الحصاة واستخدموا المطهرات والكاويات في الجراحة والمسبت أو المرقد (البنج) في العمليات الجراحية[5] وإن كان كبار العرب كانوا يعافونها ويفخرون

---

[1] العدد الأول من الرسالة.

[2] حضارة الإسلام ص٢٠٨.

[3] فانديك وحضارة العرب.

[4] جوتيه وتاريخ العرب ليسد يليو والتاريخ العام لافين وزامبو والإسلام والحضارة ص٢١٥.

[5] الهلال السادس عشر ص٤١٥.

بـأن تعمـل عمليـاتهم بدونـه. كمـا هـو مـدون في ترجمـة حيـاة عـروة بـن الـزبير أحـد أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فقـد أصـيب في رجلـه بأكلـة فأشـار عليـه الوليـد بقطعهـا خشـية أن تفسـد سـائر جسـده فقبـل وأحضـر الجـراح ليقطعهـا فقـال لـه نسـقيك الخمـر حـتى لا تجـد لهـا ألمـا. فقـال لا أسـتعين بـالحرام علـى مـا أرجـوه مـن عافيـة؛ قـال أفنسـقيك المرقـد[1] (البـنج) فقـال مـا أحـب أن أسـلب عضـواً مـن أعضـائي وأنـا لا أجـد ألم ذلـك فأحتسـبه فقطعـت رجلـه بالمنشـار وهـو يهلـل ويكـبر ولم يعـزب صـبره. وبمثـل هـذه النفـوس العظيمـة فـتح المسـلمون الـبلاد وتعلمـوا الحكمـة وابتـدعوا العلـوم والفنـون. كمـا رأيـت واحتلـوا بلادكـم وعلمـوكم كيـف تتكلمـون وكيـف تخترعـون وكيف تشعرون بنعمة الحرية والحياة الصحيح.

في الأندلس وقعة بواتيه

فهـز هربـرت رأسـه وقـال متهكمـاً: أظـنّ أيّـام أن نكَّـل بكـم شـارل[2] مارتـل في واقعة بواتيه[3].

فقـال حسـان: إن مـا لمحـت بـه في عبارتـك إنمـا هـو حجـة عليـك. فقـد قـرأت في حضـارة العـرب وغيرهـا بقلـم سـيد المـؤرخين جوسـتاف لبـون مـا نصـه: "إن بقـاء العـرب أكثـر مـن جيلـين في فرنسـا بعـد واقعـة بواتيـه دليـل علـى أن تنكيـل شـارل مارتـل بـالعرب وفـوزه علـيهم في هـذه الموقعـة لم يكـن مـن الأهميـة بحيـث يسـوغ إجمـاع المـؤرخين علـى أنهـا انقـذت أوروبـا والعـالم المسـيحي مـن حكـم العـرب وسـلطانهم؛ لأنـه وإن يكـن هـزمهم شـارل مارتـل فهـو لم يسـتطع إجلاءهـم عـن المـدن الـتي كـانوا يحتلونهـا عسـكرياً، بـل هـزم أمـامهم بعـد تعقـبهم في الهزيمـة الأولى ولم يقـدر علـى اسـتنقاذ مدينـة واحـدة

---

[1] الإصابة ودائرة المعارف ص٣٩١ من المجلد السادس.

[2] قائـد جيـوش الافـرنج المدافعـة عـن الأنـدلس أيـام الفـتح العـربي سـنة ٧٣٢م بعـد أن احتـل العـرب ليـون واللـوار ولكن شارل لم يتمكن من دفعهم بل شتت بعضهم هنالك.

[3] مدينة جنوب نهر الوار بفرنسا وكان في شمالها الموقعة الكبرى للعرب.

من أيديهم، وبقي العرب محتلين[1] جنوبي فرنسا وزاولوا الصناعة والزراعة هنالك وإليهم تنسب الأبسطة والسجاجيد في بلدة أبوسون[2] كما تنسب طائفة كبيرة من أساليب الزراعة والفنون التي نظنها الآن من مستحدثات العصر الحاضر. وكثيراً ما كانوا يصاهرون الأمراء المسيحيين حتى امتزجوا بهم."

العرب في صقلية

وها أنتم قدر رأيتم أننا افتتحنا الجزيرة الصقلية سنة سبع عشرة ومائتين هجرية وجنوب البلاد الإيطالية والاسبانية وأدخلنا في تلك البلاد القوانين المدنية[3] وعدلنا الحقوق الملكية وأرشدناهم إلى زروع شتى وثمار كثيرة واستخرجنا المعادن بطرق ليس لها نظير وربينا هناك دورة الحرير وعلمناهم الصباغة وأريناهم الدباغة وافتتحنا أول مدرسة طبية في أوروبا ومنها استمد الأوروبيون طبهم وعلومهم كما ذكرنا آنفا [4] ثم توغلنا في الفتوحات بعد ذلك بأربع سنوات فافتتحنا جنوبي فرنسا وسويسرا، ومكثنا فيها قرنين وعشراً؛ وقد برعنا في الفنون الحربية، وبناء الأساطيل البحرية[5].

فوقف هربرت ممتعضاً وقلبة كالنار تأكل بعضها بعضاً، وحاول الخروج من هذا السبيل؛ بعد أن قال لحسان: ألقولك هذا دليل؟.

---

[1] حضارة العرب.

[2] مدينة بفرنسا.

[3] The Great Events of History: p77.

[4] من الإسلام والحضارة العربية ص ٢٧٢ .

[5] أثبت العلامة المرحوم شيخ العروبة في محاضرات المدونة بالملاجئ العباسية ص٦٧٢ مجلد ١٢ أن العرب كانوا من أعظم العالم في ذلك العصر في فنون الحرب وبناء الأساطيل وفتوحاتهم خير شاهد لهم حين إذ ذاك.

فعلم أنه ملَّ الجلوس في هذا المكان؛ بعد ما أدلى به من البرهان. ولذا حوّل التيار الكهربائي، على الحاكي الهوائي، وكان متصلاً ببعض أساطين الأدب، يشدو وينشد في مجلد العرب فشنف الآذان بالطرب وقال:

سلوا عنى فتوحات الأنام ∴ وما أيّدتُ من نشر السلام
سلوا عنى بلاد العجم جمعاً ∴ كذا الأروام مع مصر وشام
سلوا أبطال حرب بالبوادي ∴ وما افتتحوا بسلم أو حسام
سلوا كتب الأوائل والمعالي ∴ فقد نطقت بأعمال الكرام
وقد نطقت لأوروبا جهاراً ∴ بفضل العُرب أزمان الوئام
سلوا عنى تروا أني قديماً ∴ نشرت العلم في مدن الأنام
نشرت العلم والتعليم دهرا ∴ وفي كل الفنون إلى الأمام
سلوا كتب الفرنج وشرلمانا ∴ عن الساعات في عهد السهام
خليفتنا الرشيد ومن تولوا ∴ بلاد الشرق في عصر السلام
أيا هرون يا مأمون قوما ∴ لإحياء المآثر بانتظام
فقد زعم الفرنج بأنّ مجدي ∴ كلام في بحار الوهم نامي
ولو علموا لقالوا غير هذا ∴ كما قالوا قديماً باحترام
ويا أهل البرامكة استماعاً ∴ أكنتم مع ملوك في منام
ألم تبنوا قصوراً شامخات ∴ مزركشة بياقوت الفخام
ألم يعطوا عطايا فاخرات ∴ وقد تخذوا الفراش من النعام
وقد رفعوا المدارس والنوادي ∴ وقد حازوا وسامات التمام

وعندم أوشك التيار يتحول، استبشر زهران وهلل، واهتز ومال، وأنشد في الحال:

ألم يخش الفرنج لنا رجالا ∴ وقد خافوا من الموت الذؤام
من الأبطال قد خافوا وقالوا ∴ بدفع[1] المال نأمن قوم سام
وكانوا في بحار الجهل غرقي ∴ وقد كنا الأماجد في الأنام

---

[1] إشارة إلى الجزية التي كانت تدفعها الملك إيريني وغيرها ومما يدلّ على عظمة العرب أيامها أن تلك الملك لما ماتت وتولى بعدها ابنها نيقوفور امتنع عن دفع الجزية وتوعد الرشيد فكتب الخليفة إليه: الجواب ما تراه دون أن تسمعه وجهز جيشاً عظيماً وذهب إليه حتى خضع نيقوفور ودفع الجزية صاغراً (رجع الجزء السادس من ابن الأثير ص٧٣).

سلوا كتباً بباريس وروما ∴ ولندن عن فطاحلنا العظام
لتعترفوا لنا بالفضل قدماً ∴ وأنا قد خطونا للأمام
وأنا قد وضعنا للبرايا ∴ قوانينا وأحكام النظام
وأخرجنا من الأفكار علماً ∴ وقربنا الحقائق باهتمام
أيكفيكم دليلاً ما سردنا ∴ لتعترفوا بآثار الكرام؟
وإنْ كنتم ترون الحقّ مرّاً ∴ فدونكمو تواريخ الفخام
ودونكمو حقائق ثابتات ∴ ببرلين[1] اقرءوها بالسلام
عسى أن تستهدوا للخير جمعاً ∴ وتنقادوا لقولي بالتمام

فقال إسمعيل: إني أنقاد لقولك، إذا أخبرتني عن حقيقة هذا الصوت.

قال زهران: هذا سرٌّ من أسرار ما وراء الطبيعة، لا يعلمه إلاّ ذوو الدرجات الرفيعة.

فقال هربرت إني وإن كنت على علم بهذه الآلة الحاكية، وما فيها من الأسرار العالية فإني مرتاب في كيفية وصولها إلى هنا، وبأي مذيع تتصل؟.

فأجابه حسان قائلاً: سنكتم سرها عنكم حتى نتفق في الرأي.

فقال هربرت: إن هذه الآلة شهادة ناطقة بفضل أبناء جلدتي الافرنج لأنها من مخترعاتهم.

فردّ عليه إسمعيل قائلاً ولكنها تذيع مجد العرب وفضلهم.

نظريات العرب والاختراعات

فتابعه حسّان بروح من البيان وقال: أنت لو تأملت في أحدث اختراع في أغلب البقاع لوجدته مؤسساً على نظريات قديمة بلغنا فيه درجات عظيمة. إذا كان مركوني الإيطالي وأديسون[2] الإمريكي وصلا باختراعهما إلى حد عظيم في الضوء والصوت؛ وأبرزا للعالم الحاكي أو المسرة اللاسلكية، فإنما بنيا نظرياتهما على

---

[1] أغنى مكتبات الغرب بالكتب الشرقية مكتبة برلين والألمان أول المعترفين بفضل العرب.

[2] توفي سنة ١٩٣٢م.

الاتصال الصوتي الذي لم يزل معمولاً به في المسرات اللاسلكية الحاضرة وتلك كانت في عهد الدولة العباسية وإنما بدون الكهرباء حتى لقد كانت ألعوبة في أيدي الصبيان يلعبون بها بعد أن ملأت بيوتات الأمراء وكانت روح الاتصال والمخاطبات البعيدة، وذريعة التفاهم بين المتكلمين.

قال هربرت: ولئن سلمنا أن لكم يداً في اختراع بسيط كهذا يتعلق بالصوت فأين هذا من مخترعاتنا التي لا تعد ولا تحصى؟ ألا تدري أن أديسون أحصيت مخترعاته يوم أن مات فبلغت زهاء ألف؟.

فقال حسان: نعم ولكنها كلها تنحصر في الصوت والضوء وقد تسلسلت مخترعاته منهما وتخذت صوراً وأشكالاً شتى، وكلها ترجع إلى ذينك الأصلين اللذين قتلهما العرب بحثاً وتنقيبا. ونحن لم نقتصر على ذلك فحسب بل إننا نحن الذين اخترعنا الساعة الدقاقة في عهد هرون الرشيد وأهديت لشرلمان ملك فرنسا فخافها الفرنسيون وظنوها آلة سحرية أرسلها ملك العرب لتقضي على ملك الغرب. ألم يحقق ذلك التاريخ ويثبت هذا العار عليكم مؤرخو بلادكم.

فضحك هاليفي وقال: إن الحقّ ليس فيه إنكار والشمس لا تجحد في رابعة النهار.

فاسترسل حسان في بيانه، وبهر الحفل بتبيانه، وحسم الجدل ببرهانه وقال إننا نحن الذين اخترعنا الطواحين الهوائية، يوم أن كنتم في حضيض البربرية، تطحنون الحبّ بين حجرين، كما تفعل قبائل الكوكانيين.[1] ونحن الذين اخترعنا الزجاج وتخذنا منه الأقداح، وحجبنا الهواء منه بألواح. وكللنا النوافذ بالملون من الزجاج، حتى إذا طلعت الشمس كان كالماس الوهاج في قصورنا المشيدة وبيوتنا المجيدة، أيّام أن كنتم تسكنون الأكواخ، ولا تعرفون غير الاصطبل والمناخ. وكانت لنا آيات، في

[1] قبائل في وسط إفريقية جنوب خط الاستواء.

حسان المثلثات؛ والمعادلات التكعيبية[1] والمراصد الفلكية، التي ملئت بها الأقطار العربية إبان أن كنتم تنظرون في النجوم نظرة المصاب بالعلل والهموم فلا تكادون ترونها كأن عليها غيوم.[2]

وإنا نحن الذين اخترعنا الورق من قديم الخرق، ونحن رجال البحث في علوم الطبيعة وأصحاب النظريات البديعة؛ ولاسيما في الضوء والأوزان؛ ولم نعتمد في ذلك على أقوال اليونان؛ بل خالفناهم في كثير من النظريات، ولنا في ذلك براهين بينات.

ألم تعلم أن العرب قالوا بالجبال والصور في الكواكب ولا سيما في القمر. وأثبتوا أن الأشعة النورانية، تنعكس بإذاعتها في الكرة الأرضية وقالوا بانحنائها في الخطوط[3] الجوية. وقرروا أننا نرى الشمس والقمر؛ قبل أن يكون لهما في الأفق[4] أثر. في وقت كنتم فيه لا تميزون بين البرد والمطر ولا بين الشوك والثمر. ألا تدري أنهم قاسوا أبعاد الكواكب، ونظروا في الفلك بفكر صائب.

وفي العهد الذي كنتم تستدلون فيه على الجهات الأصلية، بالنجم القطبي والنجوم السماوية، أو بأم الكواكب الشرقية؛ اخترعنا نحن بيت الابره [5]؛ وكان لنا في كل شيء عبرة.

كيمياء العرب

---

[1] الأستاذ سديو والملاجئ ص٤٤٢ المجلد الثاني في عشر.

[2] ديلا مير ج١.

[3] درابر ص٦٥ ج١.

[4] هذه النظرية كشفها وابتدعها أبو الحسن ابن هيثم (الهيثمي).

[5] جوتيه وتاريخ العرب لسيديليو ولاميس ورامبو والإسلام والحضارة ص٢١٥ .

أتنكر أنكم تعلمتم من العرب الفنون الكيميائية والأعمال الأقرباذينية،[1] كصناعة التقطير، وتجهيز العقاقير. تاريخ العرب ليسد يليو وجوتية ولاميس ورامبو والإسلام والحضارة العربية ص٢١٥. واخترج حامض النتريك، وروح النوشادر وحامض الكبريتيك، والراسب الأحمر،[2] والزواج الأخضر، والبوتاسا والسليماني والزرنيخ، والكحول والغاز والترشيح. ومن مبتدعاتهم عديمة النظر، ملح البارود وملح الطرطير، وغير هذه من المخترعات، التي لا تزال تشهد في مختلف الأوقات. بما كان لنا من مجد وآيات. ولا سيما في عهد الدولة العباسية التي أشرقت[3] شروق الشمس في البهاء فتململ هربت من هذا البيان، وحاول الجحود والنكران، في قالب التلفيق والبهتان؛ غذ قال: نعم أعلم أن لكم بعض المستحضرات، التي شغلتكم عن التقدم في البنات، إذ كنتم تعدون العمل بالزراعة عاراً، ولذا لم تجد لها في بلادكم أنصاراً.

الزراعة

فقال زهران: أتنكر يا هربرت، أن لنا الفضل في فنون الزراعة والعظمة في التجارة والصناعة؟. ألم نزرع أصناف الأشجار، في كثير من الأمصار، وقد اخترعنا التزاوج[4] في أنواعها، وحزنا الاسبقية في وضعها، وزرعنا مواد النسيج، وأنبتنا من كل زوجٍ بهيج. وقد ذكرنا آنفاً زروع العرب في جزيرة صقيلة التي أمدت البلاد الأوروبية بأنواع الثمار والمواد الزراعية.

حاز هذا القول الجميل، رضاء الفيلسوف إسمعيل؛ فطفق يحوقل ويقول: كان الواجب عليك يا هربرت، ألا تفتح باب الزراعة في هذا الوقت. فللعرب الأيدي

---

[1] الأقرباذين أعمال الكيمياء والصيدلة وتجهيز العقاقير.

[2] البراعة لفيجري الفرنسي في قسم الأقرباذين ج٢ والهلال السادس عشر ص٤١٥

[3] حضارة الإسلام ص٣٢١.

[4] الأعشاب لدستورد ص٢٨٢.

الجليلة في الزروع والثمار الجميلة. وهل من المعقول أن يتملكوا هذا الفضاء، ويذروه قاعاً صفصفاً كالصحراء؟. مع أنه أرض خصبة زراعية، بخلاف بلادكم الأوروبية ولقد عمل المأمون على سياسة التقريب بين خضارة اليونان[1] والعرب بترجمة كتب اليونان وكان فيها ما يفتق الأذهان لأبناء الإنسان من فنون وصناعة وتجارب وزراعة.

ثم أنبرى حسان؛ وجال في الميدان؛ وقال: لقد غرته النهضة الغربية، وظن أنها تبقى غير أيّام عددية؛ وما درى أن لكل دولة أجلاً وانتهاء؛ وأن مدينتهم كسراب يحسبه الظمآن ماء. وسينطفي نورهم في الصناعة، لأن بلادهم لا تصلح للزراعة ولأن كل بلاد تستمد مئونتها من غيرها، لا بد من زوال مدنيتها وفخرها[2] بخلاف بلادنا الشرقية، ذات الأرض الخصبة الزراعية.

فعزز هذا القول هاليفي وقال: بعض علماء الاقتصاد يخشى ذلك ويتوقعه من سنين. ولهم في ذلك أدلة وبراهين.

وأمّا نحن فلا ننكر فضلكم في الزراعات، وفي جميع فنون النبات. وإني أعلم أنكم وصلتم بها إلى أسمي غاية، حتى تفننن الخلفاء في صناعة الأشجار من الذهب.

الترف العربي

قال زهران: حقاً لقد فعل ذلك العرب، أيّام المجد والعجب لما قدم رسل ملك الروم إلى بغداد البهية، سنة أربع وثلاثمائة هجرية إذ قوبلوا بزينة باهرة، وكان فيها شجرة من الذهب زاهرة ينطق صنعها البديع، بمجدنا الرفيع.

---

[1] الأستاذ زناينري الأهرام في ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٤م.

[2] هكذا تنبأ علاء الاقتصاد وأحدثوا ضجة عظيمة في عالم الصحافة وجرى الكيميائيون وراء اختراع مواد مغذية من غير النبات.

يا جمالاً كان فيهـــا ∴ من أيـاد جعفريـــة[1]
من أيـاد أنشأتهـــا ∴ ذات أوراق زكيـــة
ذات أغصان طوال ∴ في فروع معدنيـــة[2]
فوقها الأطيار تشدو ∴ بالأغاني الموسيقيـــة
بالأغاني ناطقـــات ∴ تعبد الذات العلميـــة
والمعالي أنشأتهـــا ∴ بالأيادي الهندسيـــة
مذ رآها الروم قالـوا ∴ بالعلا والأفضليـــة
ثم نادوا بارتقـــاء ∴ للبلاد المشرقيـــــة
يا رجال الشرق قوموا ∴ لا تميتوا الروح حيـة
لا تميتوا العلم فيكـم ∴ ولتهبوا في البريـــة

الجغرافيا

قال حسّان: أعلمت يا هربرت مجدنا في ذاك الوقت؟.

فقـال هربـرت: أجـل صـدقت وآمنـت مـع حفـظ الحـقّ لعلمائنـا الأكـابر في الفنـون الحديثة وعلوم الأواخر، مما لم يعلمه العرب والروم، كالجغرافيا والمخترعات والنجوم.

فضـحك حسـان حـتى بـدت نواجـذه وقـال: إن هـذا كـان لـدينا في مقدمـة العلـوم، وأظنـك لم تسـمع بتخطـيط الإدريسـي[3] العجيـب الـذي يعلـم أمـره كـل مطلـع وأديب.

فقال هربرت: وكيف ذلك أيّها الحسيب؟.

فطفـق حسـان يسـرد ترجمـة الإدريسـي المـذكور وأبـان فضـله في التصـوير وتقـويم البلـدان إذا اسـتقدمه ملـك إيطاليـا (رجـار). لتخطـيط المـدن والأمصـار. وأجلسـه معـه

---

[1] جعفـر المقتـدر الخليفـة العباسـي الثـامن عشـر وقـد فعـل ذلـك أمـام رسـل الـروم ليمثلـوا مـا رأوه مـن المقـدرة والزينـة لملكهم فيعترف بمجد العرب.

[2] أبو الفداء والعبر لابن خلدون وابن الأثير ص٤٠ من الجزء الثامن.

[3] هـو محمـد أبـو عبـد الله الشـريف الإدريسـي العلـوي مـن سـلالة حكـام أفريقيـة في القـرن السـادس مـن الهجـرة ومؤلف نزهة المشتاق في اختراق الآفاق توفي سنة ٥٧٠هـ.

على السرير. وكان له عنده مقام كبير. وقد صنع كسرة أرضية. عليها التخاطيط الجغرافية، وسبكها من الفضة. وكانت زنتها مائتي أقة. ثم ألف كتابه نزهة المشتاق؛ واختراق الآفاق. وهو كتاب ليس له نظير في هذا الفن الجليل.

فحاول هربرت إنكار هذا الكتاب. وقال: إن هذا الشيء عجاب. ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. ولكن لا بد من التصديق بهذا القول المبين. قال حسان: إنه موجود ببلادكم، وكان مؤلفاً لأميركم على أن العرب اكتشفوا منابع النيل قبل أن يتصدى لها الافرنج[1].

وليس هذا مبلغ اجتهادنا، ومنتهي علومنا. بل إن لنا الأيدي البيضاء، في اختراع الآلات التي تدور بالماء، ولنا القدح المعلى في علمي الجبر والحساب. والفلك والنجوم والاصطرلاب،[2] والهندسة والمساحة والمثلثات. وغيرها من الفنون والاختراعات التي تشهد بها مؤلفاتنا، وتنطق بها آثارنا؛ على أن هذا قليل من كثير، من هذا المجد الخطير. الذي رفع أوروبا إلى السماء. وأضحت بفضل علومنا تحاكي الزهراء وقد فتقوا جميع أبواب العلم والاختراع حتى اختراعوا الحروف البارزة للعميان[3].

لولا العرب

---

[1] مسالك الأبصار لابن فضل العمري والإسلام والحضارة ص٢١٣ إذا أراد القارئ أن يجد عجيبة عن العجائب الجغرافية في القرن ١١م فلا يبحثن عنها في أوروبا ولكن ليبحث عنها عند العرب وكان الخلفاء كلما أخفر في الفتح أمروا برسم ما فتحوه وقياس درجات العرض وها هو مروج الذهب يشهد للعرب ص١٢٢ ج٣ معارف لاروس عن معارف ج.

[2] الاصطرلاب آلة يعرف بها مواضع الكواكب وارتفاعها في الأفق وهي مركبة من كلمتين: استرون أي كوكب ولبانو أي أنا آخذ. وكانت معروفة عند الصين كما عرفها اليونان ونسبوها إلى هبارك قبل الميلاد بقرنين. وللعرب الفضل في تهذيبها وترقيتها.

[3] مقالات تيمور و أحمد زكي في المقتبس والصفدي في كتاب نكت العميان والإسلام والحضارة ص٢١٣.

فتبسم زهران ضاحكاً وقال: لله درّ الأستاذ ليبري[1] (Libre) إذ يقول: "لولا ظهور العرب بعد الإسلام، لتأخرت أوروبا خمسمائة عام."

ويقول أرنست الفرنسي: "إن ما جاء به البرت الأندلسي من قواعد العلوم والتدريس منقول عن ابن سينا الرئيس. وما أورده القديس توما من المذاهب الفلسفية،[2] إنما هو من مؤلفات ابن رشد العبقرية.

ثم أيد هذا القول هاليفي الفرنسي وعززه بأن الملك لويس الحادي عشر أمر بتدريس العلوم الفلسفية في مدارسهم الفرنسية، على مذاهب المؤلفات العربية. ولا سيما مؤلفات ابن رشد سنة ألف وأربعمائة وسبعين ميلادية.

وعند ذلك حاول هربرت أن يخرج ابن رشد[3] من الخطيرة العربية. وينسبه إلى الجاليات الأوروبية. فأثبت له زهران عروبته الكريمة، وأندلسيته الصحيحة.

ثم حول حسان تياراً كهربائياً على الحاكي الجوي فأطرب رجالات الأدب بما أنكره عليك بلسان حال مجد العرب:

سلوا الآفاق عن أثري ∴ وعن عزي وعن خبري
سلوا بدوي سلوا حضري ∴ عن الآثـــار كالدّرر
سولوا الآفاق عن أثري
فمن خلفائنا عمر ∴ وعنه العدل مشتهر
وصار الفتح ينتشر ∴ وكان النصر الظفر
سلوا الآفاق عن أثري
ومنا سادة الأمم ∴ وأهل العلم والحِكَم

---

[1] أحد أقطاب التاريخ بفرنسا.

[2] حضارة العرب والملاجئ ص٢٩٩ من المجلد الحادي عشر.

[3] هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد رشد الفيلسوف العظيم المعروف بعبقريته في الفقه والطب والفلسفة. كان مع حسن رأيه وحدة ذكائه متواضعاً رث البزة لا يعبأ بنفسه القوية الزكية وله مؤلفات تزيد عن مائة مجلد وبلغت أوراقها زهاء عشرة آلاف ورقة في التشريع والمنطق والطب وعلوم الأوائل والفلك وكانت إقامته بأشبيلية وقرطبة بالأندلس إلا قيلاً من الأعوام نقم عليه إبانها المنصور الأندلسي فأبعد إلى بلد قريب من قرطبة ثم قربه بعد ذلك وتوفى ابن رشد سنة ٥٩٥ بعد أن عمر طويلاً.

وأبطـــال ذوو همم ∴ ومنـــا سادة البشر
سلوا الآفاق عن أثري
سلـــوا بحاثة القلم ∴ فمنـــا قـــادة العلـــم
كمأمون ومعتصـــــم ∴ وكـــــان العلم كالقمر
∴
ومنـــا ســـادة السلف ∴ وأصل الفضـــل والشرف
وأرض الدّر والنجـــف[1] ∴ وأهل العلـــم والخبـــــر
∴
فكم شادوا وكم رفعوا ∴ وكم حرثوا وكم زرعـــوا
وكم بحثوا وكم صنعـــوا ∴ بآراء مع البصـــــــــر
∴
وقد خرجوا عن اللوم ∴ فكانوا بهجة القـــــوم
ألا هبوا من النـــــوم ∴ فهذا منتهي الصبـــــر
∴

ولما فرغ الحاكي من نشيده الضاحك الباكي، تعاهد القوم، على تجديد ذكريات الأندلس العجيبة، بعد رحلة قريبة. ثم انفرط عقد الجميع على أن يعودوا لذكر المجد البديع.

[1] مدنية أثرية بين الكوفة وأطلال القادسية على نهر الفرات وكانت مشتهرة قديماً بمعادنها وجودة غلاتها وكثرة خيراتها.

الباب الرابع
مجد الأندلس

وقبيل حلول موعد العلماء؛ وقف زهران يناجي نفسه في الصحراء ويذكرها بمجد سلف، لذات التاج والشرف. و[illegible]اع من ذكراها، وتأسي بنجواها. وما هي إلاّ عشية أو ضحاها، حتى حضر [illegible]ي وهاليفا عاجلاً، وقد سمعاه يحدث نفسه قائلاً: ماذا أقول، في بلاد شرح مجدها يطول؛ وقد قال المؤرخ ذو الأثر، سديو الكبير المشتهر. "لقد تفوق عرب الأندلس على الافرنج في العلوم والأخلاق والصناعات. ووفد كثير من رجالات الغرب يستشيرون أطباء العرب في معضلات الأمراض وكيفية معالجتها.

ولقد كانوا متفانين في العمل بما في القرآن الكريم الذي يحضهم على اكتساب الفضائل والأعمال الصالحة. وتنافسوا في استنباط ما يمتازون به. وقد بلغوا شأوا نائيا في العمارات والبناء الهندسي[1] والموسيقي والرياضة؛ وزادوا في أوتارها، وحسنوا في نغماتها؛ ونوعوا في عزفها وأصواتها. وتشارك الرجال مع النساء[2] في الطب والرياضة والكيمياء. واستمد البابا جوبرت من معارف العرب، حتى حاز الفخار والعجب ووصمه معارفة بأنه سحار، لما عرف به من المهارة في جميع الأمصار (التاريخ).

أعلام أندلسية من مصطلحات العرب

ولا تزال الأعلام المحرفة في تلك البلاد تشهد بفضل العرب وما وصلوا إليه من الثقافة والأدب. وقد تحري حضرة العلامة الأستاذ محمد كرد علي بك عضو مجمع اللغة الملكي عن مئات من هاتيك الأعلام الأندلسية المقتبسة عن المصطلحات العربية ونحن نقتبس منها ما يأتي في الجدول أدناه:[3]

أبال (من إقليم قرطبة) (أبل)	Abel

[1] شارل استيوبوس والإسلام والحضارة العربية ص٢١٨..

[2] تاريخ العرب للمؤرخ سديو وخطابة لعزت باشا وزير مصر المفوض في انكلترا في نادي اللسيوم بلندن في ٢٥ يونيه سنة ١٩٢٤ ورحلة الأندلس ص٣٣.

[3] الأهرام في ١٦ من أغسطس سنة ١٩٣٦م.

Adra	(عدرا)	عذرا
Alava	(ألفا)	اليه
Albacete	(البسيط)	البسيط
Alcala	(القلأ)	القلعة
Alcantara	(الكنترا)	القنطرة
Alcazar	(الكزر)	القصر
Algeciras	(الجزيرس)	الجزيرة الخضراء
Algaba	(الجابا)	الغابة
Algarve	(الجرث)	الغرب
Alhambra	(الهمبرا)	الحمراء
Ajarafe (Axarafe)	(جبل في اشبيلية)	الشرف
Almanzora	(المنزورا)	وادي المنصورة
Alpunte	(البنت)	البنت
Almaden	(من إقليم قرطبة)	المعادن
Almaragen		المرج
Aragon		أرجون أو أرغونة أو الثغر الأعلى
Avila		أبله
Berja		برجه
Benciasim		بني قاسم[1]
Benignim		بني غانم[2]

[1] من تحقيقات العلامة حسن حسني عبد الوهاب.

[2] المرجع نفسه.

Cordoue (Cordova)	قرطبة
Cadix	قادس
Cazlona	قسطلونة
Les Goths (Les Visigoths)	القوط
Les Francs	الافرنجه (فرنسا)
Guadalquivir	الوادي الكبير
Guadalcotain	وادي القطن
Guadarrama	وادي الرملة
Guaddarrouman	وادي الرمان
Gibraltar	جبل طارق
Grenada	غرناطة
Generalife	جنة العريف
Gibraleon	جبل العيون
Huelve (Onuba)	ولبه أو أونيه (ألب)
Madrid	مجريط (مدريد)
Medinaceli	مدينة سالم
Monte de la Asabica	جبل السبيكة
Porto	البرتقال
Rota	روطه
Saragosse	سرقسطة
Tago	نهر تاجه
Tarifa	جزيرة طريف

Todmir	تدمير
Xatipa	شاطبة (ومنها السيد الشاطبي المتوفى سنة ٦٧٢ بالاسكندرية)
Valence	بلنسيه
Zamora	سموره
Amalfi	ملف
Lardia, Langobardia	انبرديه أو النوبرديه[١]
Lasardegna (Lasardaigne)	سردانية
Venezia (La Venise)	البندقية

وقد استخرج الأندلسيون المعادن ذات القيمة، واستخدموا الأحجار الكريمة، وأتقنوا الدباغة والنسيج، واستنبتوا من كل زوج بهيج ونبغوا في التجارة. وعرفوا بالمهارة، وتبالوا السلع مع عظماء التجار، وخاضوا المحيطات والبحار؛ وابتكروا وسائل الري الحديثة، ووضعوا لها نظماً جميلة على نهر الطونه، وتفننوا في الزراعة، حتى توصلوا بها إلى ترقي الصناعة، فاتسع نطاق العمران، واكتظ بالسكان، وبلغ ما يملكه المسلمون زهاء أربعمائة مدينة عامرة، غير الضياع والكفور الزاهرة، والدساكر المثمرة، وشادوا القصور، حتى بلغت قرطبة وحدها مائتي ألف قصر، ولو رأيتها لعلمت أنها كانت تفوق مباني هذا العصر.

وكان في تلك المدينة ستمائة مسجد[٢] ومائة مدرسة، وخمسون مستشفى وتسعمائة حمام. وبلغ دخل الدولة الأندلسية العربية أربعين مليون دينار. وبذا تمكنوا من الإبداع، في الآثار بجميع البقاع.

---

[١] ويسميها الإدريسي انبرضية وهي اللنبردية كما في كتب القلقشندي.

[٢] قيد الأنساب لابن فارس ص١١٤ ج١.

مسجد قرطبة

وإني لأذكر عظمة مسجد قرطبة الباقي إلى الآن.[1] ولا أنسى روعته في كل زمان فقد بلغ ذرعة ثلثمائة ذراع طولاً، ومائة وخمسين عرضاً وبه ألف ومائة عمود من الرخام المكلل في حجار العجب، والمرصع بالفضة والذهب. وقد بلغ ما كان ينفق عليه في كل سنة نحو مائة وعشرين رطلا من المنبر، وأربعة وعشرين ألف رطل من الزيت أو أكثر. فأين هذه المدنية، تناجي الأمم الشرقية، لتهب من مرقدها، وتعيد مجدها الأول، وتعلم ما كنا فيه من الخير الأكمل آه.

تحية الأندلس

يا أيها المجد الرفيع مقاما ∴ مني إليك تحية وسلاما
يا بهجة في تاج أندلس وقد ∴ أضحى بأوروبا لها أعلاما
أضحى بأوروبا ضياء باهرا ∴ لما أنزوي نجم البلاد وناما
لما أنزوي مجد العلافي شرقنا ∴ ثم ازدهي في غربهم أياما
من أين سرت لهم أيا مجد الهنا ∴ فرفعتهم وتركتنا أيتاما
أوصلت عندهمو من (البرثات) [2] أم ∴ (مدريد) [3] مخترقا بها آكاما
هل من سبيل غيرها لتسير فيـ ∴ ـه غلى فرنسا فارساً مقداما
ماذا جنت هذي البلاد وأهلها ∴ حتى تقيم بغربهم أعواما
والناس تعلم أننا كنا الكبـ ∴ ـر وانهم كانوا هناك يتاما

---

[1] حلة الأندلس ص٥٢.

[2] جبال بين فرنسا واسبانيا.

[3] قصبة الأندلس وكرسيها.

هل ينكرون توغلاً في أرضهم ∴ حتى وصلنا للسويد[1] كراما

أم ينكرون مدارسا ونواديا ∴ وشهامة ومهارة ووئاما

لكن هي الأيام لا تبقي لمن ∴ يتنازعون ليفسدوا الأقواما

فالمجد يبقى بالتآلف زاهرا ∴ وبغيره قد ينثني آلاما

ولذا نراه يسيئنا لما انقضى ∴ عهد الصفا وقد انطوى أحلاما

لما انقضى عهد الفلاسفة الأولى ∴ كانوا بأندلس لنا أحلاما

كانوا بقرطبة ومرسيةٍ[2] لآ ∴ لئ تنقضي أعوامهم أياما

ثم أنزوي مجد العلا بفعالنا ∴ لما رأى مجد البلاد حماما

فإلى بلاد المجد كل تأسف ∴ وعلى أماجدنا أقول سلاما

وعليك مني رحمة وتحية ∴ يا أيها المجد الرفيق مقاما

وعند ذلك تأثر العجمي وهاليفي بقوله الذي سمعاه من وراء ستار. وطفقا يرتجلان الأشعار. فقال إسمعيل، بصوت خافت جميل:

وعليك مني ألف تسليم أيا ∴ أصل الملوك السابقين نظاما

يا زهرة المجد الأثيل تحية ∴ مني إليك وبعد ذاك كلاما

فصحائفي معروفة في ذا الورى ∴ لكنني أرجو بها إعلاما

ومدارسي كانت ضياء باهراً ∴ في أرض أندلس فصرت ظلاما

وغدت فرنسا في البلاد سعيدة ∴ لما قمت بأرضهم أعواما

---

[1] عثر على نقود أندلسية عربية في بلاد السويد شمال أوروبا من زمن وبها يستدل المؤرخان الكبيران جوستاف لبون وسديو على أن العرب وصلوا هنالك أو كانوا متصلين بتلك البلاد في تجارة.

[2] مدينتان عظيمتان بإسبانيا.

ونشرت فضلى في الدنوب[1] وشمس[2] ∴ وجعلت أوروبا تلى الأحكامـــا

وهجرت قومي للتنـــازع والأذى ∴ ولكون شرقي لم يراع زمامـــا

لكنني أشتـــــــاق للعهد القد ∴ يم وأهله كي يرجعوا حُكّامـــا

فتملك الروع زهران، وصار يبحث عن الصوت في كل مكان. ولكن الغطريفين تمكنا من مراوغته؛ وأحكما الخفاء لمداعبته فلم يتمالك نفسه وهو خائف، وقد ظن أن ذلك هاتف. ثم تمثّل في الحال، وأنشد فقال:

وكذاك نحن على الوفاء وعهده ∴ فانشر خليلي للعلا أعلامـــا

يا بهجة الآفـــاق يا زين الورى ∴ بالله بالمعروف عد أيامـــــا

عد للبلاد وقومها وارجع إلى ∴ إحيائها كي نرفع الإسلامـــا

وعند ذلك أقبل هربرت في موعده، وقد رأى إسمعيل وهاليفي، وبرزوا جميعاً أمام زهران. وبعد التحية والسلام، قال هربرت: أظنكم تخاطبون المجد، لتجديد العهد، كي تشرق عليكم شمس السعد.

فأجابوا: إنه لكذلك يا هربرت. فقال متهكماً أظنه سيعود إليكم رأساً؛ من الطريق الذي سار فيه إلى فرنسا.

قال إسمعيل: لا تهزأ يا هربرت؛ فقد شهدت بنفسك وتحققت؛ فقال زهران؛ بعد أن حضر حسان: وماذا شهد من آثارنا، حتى يشهد بمجدنا.

فقال العجمي: لقد كان من شأننا حديث عجب، يا شيخ المعارف والأدب. فإنه بعد أن تركناكم بقليل، عدنا إلى حديث الأندلس الجليل. وبعد جدال، استمر

---

[1] نهر بشبه جزيرة البلقان جنوبي أوروبا.

[2] نهر بإنكلترا.

وطال، عقدنا النية، على رحلة غربيّة لبحث ما في الأندلس من الآثار. وما كان بها من المجد والفخار؛ ومن هناك أحضرنا أثاثاً، وتفرقنا ثلاثاً؛ وجعلنا لكل منا جهات معلومة؛ وأثاراً مفهومة؛. ثم أرياني السبيل، إلى هذا العمل الجليل؛ لأني لست بحاثة أثريا؛ ولا فيلسوفا ذكياً. فرأينا هنالك العجب؛ من آثار العرب. ثم رجعنا مسرورين، ومما شهدناه آسفين. فقال حسان: وإن كنا قد رأينا هذه البلاد من قديم؛ إلا أنه يحسن أن تخبرونا بحديثكم العظيم.

مدينة قرطبة

فقال إسمعيل: أما أنا فكان لي النصيب؛ في درس أثر قرطبة العجيب؛ ذلك هو قصرها البديع؛ الذي كان آية من آيات الأوائل؛ ولا غرو فمؤسسه عبد الرحمن الداخل[1]. وأما القصر فمؤلف من خمسمائة دار، كانت تجري من تحتها الأنهار؛ وفيها البرك والبحيرات، والصهاريج والقنوات والتماثيل الذهبية، والأحواض الرخامية. والحيوان والأشكال والطيور ذات الجمال.

قال حسان: أجل، رأيت ذلك من قبل. ولعلك شهدت مسجدها الشهير. الذي لا يوجد له نظير.

فقال العجمي: نعم أيها الأمير، وهو من تأسيس[2] الخليفة الناصر وهو عظيم الارتفاع؛ وطوله نحو ثلثمائة ذراع؛ وعرضه يقرب من ذلك، ومأذنته ليس لها مثيل في الممالك، لارتفاعها العظيم، وبنائها الفخر الجسيم. وأغلب أبواب المسجد مصفحة بالذهب، وشكلها ورواؤها آية في العجب، وفي وسط المسجد تنور، يحمل ألف مصباح للنور، غير ما فيه من الثريات، التي تبلغ المئات، وسقف هذا المسجد قد أقيم على ألف وثلثمائة عمود؛ وعلى جدرانه النقوش الهندسية، والخطوط

---

[1] الخليفة الأموي الأندلسي العظيم.

[2] ثامن خلفاء الأندلس ولي الخلافة بها في أوائل سنة ٣٠٠هـ.

الكوفية والعربية، التي تشهد للعرب، بالمجد والفضل والحسب. وأعجب ما فيه مصحف للخلفية عثمان[1] مكلل بالياقوت الصغير، ومكسوّ بالحرير. قال زهران: نعم، شاهدنا ذلك من قدم يافيلسوف العجم. وماذا رأيت يا أستاذ هربرت؟.

فابتسم هاليفي والعجمي ضاحكين وبدت على هربرت علائم الغضب ولم ينبس ببنت شفه بل أطرق برأسه ملياً ثم زمجر في تؤدة وسكون كأن به مسّا من الجنون.

مدينة الزهراء

فقال إسمعيل: يا ليته ما أتى معنا؛ فقد عهدنا إليه بعد الرجاء، درس آثار مدينة الزهراء فقدم إليها بتكلف، وبدأ يدخلها بتأفف؛ فشهد في بدء الدخول قصيدة رثاء، للأديب أبي البقاء[2]، وهي القصيدة العصماء، التي ذاع صبتها في الأرجاء، فأظهر الحزن والعجب، وتشاءم ثم أرغى وأزيد واضطرب.

قال زهران: أمنها يعجب رجال الغرب. وفيها ما يفتت القلب. ألا إنها أبلغ الرثاء. بشهادة معظم الأدباء.

فقال هاليفى هلا تنشدني منها على سبيل التذكير، ما يكون من أمهات التأثير.

فتأوه زهران وقال: أين الآثار، تنطق في تلك الديار، بالمجد والفخار ولكن:

مدينة الأندلس

لكل شيءٍ إذا ما تمّ نُقصان ∴ فلا يُغَرُّ بطِيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول ∴ من سرّه زمنٌ ساءته أزمان

---

[1] الغضن الرطيب.

[2] هو أبو البقاء صالح بن شريف الرندي المتوفى سمة ٦٩٨هـ.

فجائــع الدهر أنواع منوعـــة ∴ وللزمــان مسراتٌ وأحـــزان
وللحوادث سلوانٌ يسهلهـــا ∴ وما حلّ بالإسلام سلـــوان
وهي الجزيرة[١] أمر لا غراء لـــه ∴ هوى له أحد[٢]
وانثلّ دهشـان[٣]
أصابها العين في الإسلام فارتزأت ∴ حتى خلت منه أقطار
وبلـدان
فاسأل بلنسية[٤] ما شان مرسية[٥] ∴ وأين شاطبة[٦] أم أيْن
جَيَّـــانُ[٧]
وأين قرطبة[٨] دار العلوم فكـم ∴ من عالم قد سما فيها له
شـــان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ∴ كما بكي لفراق الإلف
هيمــان

ثم بكى بكاء شديداً، وأطرق برأسه قليلاً كأنه يناجي نفسه ليخفف مما أصابه، فأسرع إلى حاكيه وأبرز ما في خافية ومن عجب أن كان في ذاك الوقت متصلاً بمن كان يخطب في رجال النهضة ويتمثل بهذه القصيدة، حتى سمع الحاضرون منه. ما أتلوه عليك:

يا غافلاً وله في الدهر موعظـة ∴ إن كنت في سِنَةٍ فالدهر
يقظـــان

---

[١] هي شبه جزيرة إيبريا التي تشمل الآن اسبانيا والبرتقال.

[٢] ، [٤] جبلان معروفان.

[٤] مدينة عظيمة من مدن الأندلس.

[٥] مدينة كانت عظيمة في عهد عرب الأندلس.

[٦] منها السيد الشاطبي المتوفى بالإسكندرية سنة ٦٧٢هـ وهي Xatipa

[٧] مدينة شرقي قرطبة وشمال غرناطة بالأندلس.

[٨] هي المدينة العظيمة التي فيها الآثار الأندلسية الرائعة وكانت من عهد العرب ذات شهرة لا مثيل لها منها الشيخ القرطبي صاحب التفسير.

تلك المصيبة أنست ما تقدمهـا ∴ وما لها مع طول الدهر نسيـــان

يا راكبين عنان الخيل ضامـرة ∴ كأنها في مجال السبق عقبـــان[1]

أعندكم نبأ من أهل أندلـــس ∴ فقد سرى بحديث القوم ركبـان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ∴ قتلى وأسرى فما يهتز إنســـان

ماذا التقاطـع في الإسلام بينكمو ∴ وأنتمُ يا عباد الله إخـــــوان

يا من لذلّة قـــوم بعد عزهمُ ∴ أحال حالهم جورٌ وطغيـــان

بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم ∴ واليوم هم في بلاد الناس عبدان

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ ∴ إن كان في القلب إسلام وإيمان

قال حسان: حقاً ما نطق الحاكي، وعزاءً لك أيها الصديق الباكي (يعني زهران) ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ثم نظر إلى هربرت وقال له: أظنك غضبت أيّها الهمام. لما سمعت ذكر الإسلام. ولو جردنا أنفسنا من التعصب الذميم لوقفنا على مجدنا القديم.

قال هربرت: نعم أيها الكريم. وإني أفكر في شأن الآثار؛ التي شهدتها في تلك الديار؛ وأطبق الغابر على الحاضر، وأتخيل روعة هذه الناظر، فما رأيت في أوروبا أدنى ارتقاء. عما شهدت في مدينة الزهراء[2] التي تهتم الحكومة الاسبانية اليوم بالكشف عن باقي طلولها وهي على بعد بضعة أميال من قرطبة. وقد شهدت العمال هنالك يحفرون لإبراز هذه الآثار حتى

---

[1] طيور سريعة الارتفاع والطيران.

[2] وتسمى زهرة أيضاً وهي أروع أثر تركه عرب الأندلس على بعد بضعة أميال من قرطبة.

تكون أعجوبة الأمصار. وقد أزاحوا التراب عن قصور[1] فاخرة، وديار كانت عامرة فيها نقوش عربية، وصور أندلسية تأخذ بمجامع القلوب وتضيف إلى صفحات التاريخ، صحائف جديدة بيضاء، في تاريخ العرب المجيد بهذا الكشف الجديد لأنها مؤسسة من المرمر والرخام على أتم نظام، وطولها ثلاثة آلاف ذراع، وليس لها مثيل في البقاع؛ وفيها خمسة آلاف من العمدان. حملت إليها من مختلف البلدان، وجدرانها أيضاً من الرخام الملوّن؛ وبنيانها أروع وأحسن؛ وأبدع ما فيها مقصوره. بها سبع عظيم الصورة، يعوم في بركة صناعية ذات أحوض هندسية؛ منحوتة من المرمر؛ وللسبع عينان من الياقوت الأحمر، وحنك[2] ذو أسنان من الدر حسناء. يمجّ من حواليها الماء؛ لسقيا ما حوله من البساتين، بنظام يدهش الناظرين. وجميع أبواب المدينة، مكللة بأصناف الزينة، من لؤلؤ وجوهر وياقوت وزمرد أخضر، وبلور وعاج، وذهب وهّاج؛ يأخذ بالألباب. فهالني هذا الأثر العجاب، الذي كان بتلك المدينة، وقد أمست الآن خزينة.

ولما سكت هربرت، حوّل حسان التيّار نحو الحاكي فاستمد من محاضر ما كان من مجد ذلك الأثر الزاهر:

وفيها القصر يشهد في البرايـا ∴ لصاحبه بآيـات الجمـال
بني المنصور هذا القصر فخـراً ∴ فحاز به الفخار لدى الرجـال
تراه مكلَّلاً بالدرّ نظمـاً ∴ وبالياقـوت في حسن الهلال
وفيه الشمس تبدو من زجـاج ∴ وفيه المـاء يجري بالتوالي
على الوادي بأندلس وزهـرا ∴ ترى آثاره مثل الجبـال
توصّله بقرطبةٍ قنـاة ∴ وقنطرة عظيمة الاتصـال
تفـوق الألف طولا من ذراع ∴ وذاك القصر ينطق بالمعـالي

---

[1] التيمس في مار سنة ٩٠٩ والملاجئ ص٢١٩ من المجلد الحادي عشر.

[2] في أدب الكاتب: الحنك للحيوان والفم وللإنسان.

لِزهـــراء البلاد نذيع فضلاً ∴ وكان النور يزهو في الليـــالي

يسير الناس في الزهراء عشــراً ∴ من الأيام في نور الآلـــــي

تعالى الله من ربّ بديـــــع ∴ بناها واصطفاها بالكمـــال

ثم انبرى رحالة من كبار النهضة وطفق يصف ما شهده في بعض رحلاته بمدينة الزهراء مما يبحث عنه الأندلسيون الآن من الآثار القيمة، وقال: لقد كان بهذه المدينة ثلثمائة برج حربي على سورها وكانت لذلك غاية في المناعة والتحصين وكان بها حوض مذهب وبه بضعة عشر تمثالاً من الذهب الخالص المكلل بالدر وبالأحجار الكريمة.

وكان في وسط مجلس الخلافة حوض مملوء بالزئبق وعليه كرسي الخليفة يتماوج كالقارب وقد خدمه نحو أربعة عشر ألف نسمة وكان بها بحيرة للأسماك ومئونتهم في اليوم نحو اثني عشر ألف رغيف. وقد بلغ الاختراع في عهدها مبلغاً عظيماً فقد توصل أحد المهرة إلى ابتداع طائر من الذهب[1] يغرد للخليفة بأناشيد مختلفة في أوقات متباينة ولا سيما عند الفصد أو الراحة وأما مسجدها فلم يخلق الله مثله في الجمال والإبداع ويكفي أن أكثر من ألف عامل كانوا يعملون فيه من الصناع.

غرناطة

قال هربرت: دعونا من ذلك الآن، وليقضي علينا هاليفى أبو الأخبار، ما شهده في غرناطة من الآثار. وما بها من آثار العرب فالوقت من ذهب، وهو نفيس فلا نضيعه إلاّ في أنفس منه.

قال هاليفا: لقد شهدت في غرناطة قصر الحمراء؛ وهو أعجب من آثار الزهراء، فإن مساحته أربعون فداناً[2]؛ وترى أحجاره أشكالاً وألواناً؛ وبه نقوش غاية وعجاب، وكثير من الأبواب؛ والنوافذ الجسمية؛ المطلة على بساتين عظيمة. وقد

---

[1] الأهرام في ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٣٤م.

[2] تاريخ العرب للشيخ سديو المؤرخ المعروف.

قسم إلى عدة أقسام. شيدت كلها بالمرمر والرخام. وفيه بحيرة كبيرة، تتدفق منها مياه غزيرة؛ من أفواه سباع. في غاية الإبداع؛ وكنت تسمع فيه خرير الماء[1]؛ وتشهد ما هنالك من الحدائق الحسناء؛ وبجميع سقوف القصر، نقوش كلها حفر؛ مكللة باللؤلؤ والعاج[2]؛ والياقوت الوهاج؛ وقد بناه ابن الأحمر؛ وزركشة بالجوهر؛ ورصعه بالذهب. فكان غاية في العجب؛ وجعل حوله الأشجار الفضية؛ ذات الغصون الذهبية، وفوقها تماثيل الأطيار، تصفر بالليل والنهار كلما هب فيها الهواء، وتصبّ من مناقيرها الماء، ذلك ما كنت أرى؛ في قصر الهمبرا.[3]

ثم دفع إسمعيل نفسه بقوة الحقّ وقال: إن المتأمل الحكيم؛ يشهد لبانيه بالذوق السليم، وقوة الإدراك والخيال؛ والنظام والترتيب والكمال؛ من نقوش على بعض الأبواب؛ وتماثيل فيها العجب العجاب؛ تمثل الأيدي مبسوطة إلى السموات؛ أو مفاتيح كلها آيات؛ كأنها تشير إلى الرجاء؛ مع الشكر والثناء. فتعالى الله الفعال لما يشاء.

وعند ذلك تطوع زهران؛ بأن يشنف الآذان بصوته الجميل، ونشيده الجليل، عن بلاد الأندلس العظيمة، وما فيها من الآثار الجسيمة؛ فقال:

يا مجد أندلـــس أرى ∴ عجباً بقصر الهمبـــرا
بالله يا زين الـــورى ∴ تحكي لنـــا ماذا جرى
تحكي لنـــا ماذا حصل ∴ حتى مضـــى هذا الأمل
ضاق القضاء على عجل ∴ حتى رجعنا القهقـــرا
هل من نهـوض للعلا ∴ والمجد يزهو مُكْمَـــلاَ
والشرق يسمـو في الملا ∴ كالأصل يرجع زاهـرا؟

---

[1] رحلة الأندلس ص٩٥.

[2] تتفق روايات العرب مع المؤرخين سديو وجوستاف لبون في هذا الوصف.

[3] هذا اللفظ محرف باسبانيا الآن من الحمراء وهو اسمه العربي الصحيح ولكنه يعرف الآن بالهمبرا في مختلف الأقطار ولذا رسمناه كذلك تذكارا للأثر العربي المحرف Alhambra.

وما كاد يستفهم هذا الاستفهام؛ حتى أحدقت بالحضور الأوهام؛ فأسرع الأمير حسان. وحال دون تسلطها على الأذهان، وحرك الحاكي في الحال؛ وكأن النهضة العربية كانت له بالمرصاد؛ فقد كان توارد الخواطر؛ حليف زهران وذاك المحاضر، الذي بهر العقول، عندما بدأ يقول: على لسان حال المجد:

إني حليف من انتظم ∴ في سلك أمجاد الأمم
وقد ارتقى مثل العلم ∴ بعلومه فتسيطرا
بعلومه وفعاله ∴ وذكائه وجلاله
وصفائه وكماله ∴ وبذا أجئ مبشرا

فقال زهران:

ماذا جنينا يا بطل ∴ حتى وقعنا في الفشل
وقد افتضحنا في الدول ∴ وتركتنا متحسّرا؟

فأجابه الصوت:

شاهدت سيرا في الهوى ∴ وتنازعاً آذي القوى
وتركتمو هذا الدوا ∴ وهو التآلف حاسرا
وكذاك أندلس فلم ∴ ترع التآلف والحكم
حتى تداعت في الأمم ∴ وغدوا حياري في الورى
لكنهم في الابتدا ∴ كانوا رجالاً سجدا
كانوا مصابيح الهدى ∴ يتآلفون بلا مرا
يتآلفون فعمّروا ∴ وتعلموا وتنوّروا
شادوا القصور وجوهروا ∴ أمثال قصر الهمبرا

فارتجل العجمي ماسيتلى عليك متأثراً بما شهده:

حقاً لقد كنت الحكم ∴ فالعلم ترياق الأمم
أما التآلف بالهمم ∴ فهو العلا إن يظهرا

عود إلى ثقافة الأندلس

وقد زالت دهشة السامعين لما علموا أن الموضوع لم يخرج عن توارد في الخواطر بين زهران وذياك المحاضر فزالت الغرابة وبدت على هربرت الكآبة وقال: كأنكم تقولون إنهم كانوا على علم؛ واتحاد وسلم.

فقال حسان وهل في ذلك خلاف، لدى المؤرخين من أهل الإنصاف.

فقال هربرت: لو كانوا علماء لما وقعوا في هذا الاختلاف، وحقت عليهم كلمة التفريق؛ وضلوا عن أقوم طريق.

قال حسان: إن من يجهل علوم الأندلسيين خارج عن حوزة البحاثين؛ وهل يعقل أن يصلوا في العمارة إلى هذا الحدّ العظيم؛ وفي الفنون إلى ذاك المبلغ الجسيم، ويفوقوا غيرهم على هذا الأساس؛ ولا نحكم بأنهم كانوا أعلم الناس؟.

فقال هاليفا: أما نحن فلا نشك في علمهم؛ ومدنيتهم وفضلهم؛ وكان هذا سبب رفعتنا وإعلاء كلمتنا، حتى شهد فانديك شيخ الأدب "بأننا لم نرتق إلاّ بعد دخول العرب." بل أجهر بأن علوم الأندلس العربية كانت أساس المدنية الغربية. فللعرب الفضل العظيم؛ على رجال الغرب من قديم.

قال هربرت: أنا لا أذكر للعرب غير أمثال وكتب في الشعر والأدب؛ فإنهم حقاً برعوا في ذلك واخترعوا الموشحات والأزجال؛ ومهروا في القصص والخيال.

فقال حسان: ألا تدري أن ما ذكرته الآن، كان فاتحة الترقي والعمران، وروح الفلسفة العلمية؛ والسعادة الدنيوية والأخروية أتنكر أعمال الأندلسيين وعلومهم الطبية؛ وفنونهم الهندسية وتفوقهم في الرياضيات؛ والتي توصلوا بها إلى المخترعات؛ وتصويرهم[1] الذي يكاد ينطق وقد شهده كل مستشرق؟.

قال هربرت: كأنك تحاول أن تثبت أنهم قد اخترعوا؟. وأنشئوا وزرعوا. ألفوا الكتب الفلسفية، التي ملأت المكتبات الغربية؛ وأنشئوا القصور العظيمة؛

---

[1] ضوء النبراس وأنس الجلاس والمقريزي ص٣١٧ ج٢.

والعمارات الجسيمة؛ وزرعوا أصناف المزروعات؛ وتفننوا في علوم النبات. واخترعوا جلائل الاختراع؛ الذي كان فاتحة الترقي في جميع البقاع.

مكارم الأخلاق

وقد بلغت مكارم الأخلاق في الأندلس مبلغاً لم يكن إلاّ في عهد الخلفاء الراشدين. ومن الحكاية التي سأتلوها عليك تعرف مقدور ما بلغت الفضيلة في عصورهم وهي وإن كانت متواترة فقد رواها ابن عبد ربه في العقد الفريد كما يأتي:

في الحروب الأندلسية اعتدى شاب من الأندلس على أحد أبناء العرب وقتله ثم فر هرباً والتجأ إلى بستان فرأى فيه شيخاً جليلاً فاستجار به فأجاره وخبأه في مأوى منفرد وبعد إذ ذاك علا الصياح بفناء البستان وإذا بملأ من الناس يحملون القتيل فتأمله الشيخ فرآه ابنه وعلم أن الفتى المخبأ لديه هو الذي قتله[1] فأخذ منه الأسى مأخذه ولكنه كظم غيظه ودخل على الفتى القاتل ونبأه بما حصل فهلع فؤاده وكاد يموت وجلاً وما كان من الشيخ إلاّ أن طمأنه وهدأ روعه وقال له: إن ماعاهدتك عليه حق لا مراء فيه وإنما يلزمك أن تنأي عن هذه الديار لئلا يجئ قومي فيسيئوك فخذ بني مئونة سفرك. وسافر بعيداً عني والله ولي أمرك.

ولا مراء في أن هذه الحادثة آية الآيات في مكارم الأخلاق ولم يسمع في التاريخ بأجل منها في العفو وجليل الشيم.

مخترعات الأندلس

[1] العقد الفريد لابن عبد ربه.

وهل أتاك حديث أبي القاسم عباس بن فرناس[1]؟ الذي طبق العلم على العمل بالقياس؛ فاخترع الطيران؛ لأبناء الإنسان؛ وكان أول طيار، في الممالك والأمصار، ومن ذلك أخذتم طيارتكم وبلغتم مدنيتكم.[2]

لله درّك يا بن فرنـــاس لقد ∴ فكرت في أمر بفكر صائـــب

ونفاذه قد كان حتماً لازمـــا ∴ في عصر أوروبـا بشكل القارب

وغدت تطير مع الهوا نحو العلا ∴ تسمو وتسبح في السماء ككواكب

وغداً نراها سهلة في شرقنـــا ∴ ونعود للمجد القديم الذاهـب

قال العجمي: ولا تنسى أن هذا الرجل الحكيم؛ أمد العالم بفكر عظيمٍ، فهو أول من اخترع الزجاج من الحجارة؛ وحل الموسيقى بأوضح عبارة؛ وصنع في بيته شكل السماء؛ من زجاج أبيض ذي صفاء؛ ومثل فيها الشمس والقمر؛ والغيم والرعد والمطر.

قال هربرت: وهل حقق العرب هذه الأخبار؟.

فأجابه العجمي: أجل وقد اشتهر أمره في معظم الأمصار.

فقال هربرت: هب أنهم فعلوا ذلك فكيف يكون لهم الفضل على كل الممالك.

قال العجمي: إن هذا قليل من كثير؛ ففي بلاد الأندلس اخترع المدفع؛[3] بشكل يضر وينفع؛ ومن الأندلس نقلتم المعارف العلمية؛ والعلوم الطبية والجراحية؛ والطبيعة والزراعة؛ والكيمياء والصناعة،[4] والفلسفة والإلهيات. وصناعة الورق والمنسوجات، والبارود والسكر والخزف ودبغ الجلود وغيرها من الحرف، التي لم تزل

---

[1] أعظم فيلسوف أندلس طبق العلم والعمل.

[2] رحلة الأندلس ص٤٠.

[3] دائرة المعارف وتاريخ الأندلس ص٧٥.

[4] تاريخ الأندلس.

مدونة في كتبهم وتدل على مجدهم وأدبهم، وما كانوا فيه من الارتقاء؛ وسيان في ذلك الرجال والنساء[1]. إذ سمحوا للنساء المتعلمات بمباشرة المرضى في المستشفيات؛ وقرنوا تعليمهن بالرجال، حتى حزن المجد والكمال.

العلوم الأندلسية

قال هاليفا هذا صحيح ولقد تعلم بالأندلس في ذاك الوقت البابا الشهير[2] بجوبرت. وهو فرنسي الأصل وعنهم أخذ العلم والفضل بمدارس قرطبة العلمية؛ ونشر علومه ومعارفة العربية بين البلاد الفرنسية والإيطالية حيث شاد بهما مدرستين، لتعليم هاتين المملكتين. ثم أقبل على الأندلس بعد ذلك الطلاب من جميع الممالك؛ ما بين فرنسي وجرماني، وانجليزي وطلياني. والكل يطلب العلم والأدب من بلاد العرب.

قال حسان: وهو لو وقف على جهودهم، وما بذلوه في كتبهم ومؤلفاتهم؛ لحكم لهم بالأفضلية في زمنهم. ألم يأمر جيمتد الأندلسي بإحراق[3] ثمانين كتاب؛ كانت في ألف ألف مجلد من مصنفات أولى الألباب خطها العرب بأقلامهم، وغرناطة شاهدة على أعمالهم. ولقد كان مما أكلته النار كتاب العالم لابن حمدان الذي بدأ فيه بالفلك وختمه بالذرة. وأعظم منه كتاب فلك الأدب الذي تولى على تأليفه ستة من فلاسفة العرب.

ولقد كانت طليطلة في القرن الثاني عشر للميلاد كبغداد في عهد الرشيد يقصدها الطلاب من جميع الجهات وكانت غاصة بالعلماء والحكماء والأدباء.

---

[1] سديو و ديلا مير و رحلة الأندلس ص٤١.

[2] حضارة العرب.

[3] التمدن الإسلامي وحضارة العرب.

وكـان في بلنسـية مدرسـة جامعـة كـبرى أنشـاها الفـونس ملـك قشـتاله[1] واسـتقدم إليهـا معلمـين مـن علمـاء العـرب في الأنـدلس كـابن موسـى ويوسـف بـن علـي ويعقـوب بن سنا وغيرهم كما نقل كثيراً من كتبهم إلى الاسبانية والفرنسية.

وفي القـرن الثالـث عشـر كانـت الأنـدلس محـط رحـال علمـاء أوروبـا وديـار الثقافـة العظمـى في العـالم وأقبـل عبـاقر الـدول الوسـطى يغترفـون مـن ديارهـا ومـنهم ميخائيـل سـكوت الانجليـزي وهرمـان الألمـاني وابـن فريـدريك الفرنسـي وشـارل دنجـو بفرنسـا وسمعـان الإيطـالي وغـيرهم ممـن بلغـوا مئـات مـن المترجمـين والنوابـغ في أوروبـا وبلـغ مـا ترجموه من المؤلفات آلاف وكان معظمها في الفلسفة والرياضيات.

قـال هاليفـا: وهنالـك في قصـر فرسـاي صـورة تمثـل موقعـه الشـهداء بـين العـرب والافـرنج سـنة ٧٣٢م علـى نهـر اللـوار. وكـان قائـد العـرب والمسـلمين الأمـير الكبـير عبـد الـرحمن الغـافقي وللصـورة أهميـة كبـيرة عنـدي إذ أنهـا مـع احتفـاظ الفرنسـيين بهـا – تمثـل مجـد العـرب في جنـوب فرنسـا الـذي احتلـوه أكثـر مـن مائـة سـنة وأقـاموا بـه مسـتعمرين زمنـا طـويلاً، وأن هـذه الموقعـة لـو كانـت نصـراً لشـارل مارتـل لطـردت العـرب مـن أوروبـا ولكنهـم أقاموا بها حتى نهاية القرن العاشر وأعمالهم وعلومهم شاهدة بذلك[2].

ومـــن أهـــم الـــبلاد افتتحوهـــا واحتلوهـــا بيزانصـــون وآرلـــه Arles وأربونـــة Narbonn وأجـده وقرقشـونه ومجلونـة وغيرهـا مـن المـدن العظيمـة الـتي عرفـت بالربـاط العـربي أو بالمـدن السـبع أو الثغـر Lemarehe كمـا تعـرف باسـم سـبتمانيا. ولا يـزال اسـم مـن العـرب منتشـراً في تلـك البقـاع يشـهد في إقلـيم الـرفييرا بعظمـة العرب.

---

[1] التمدن الإسلامي والهلال ص٤٠٩ من السنة السادسة عشرة.

[2] راجع مذكرات المستشرق ريتو الفرنسي في كتابه غزوات العرب في فرنسا History des Invasions des Sarazins en France وأيـد هـذه الحقـائق مجلـة الرسـالة في المجلـد الرابـع ص١٤٠٨ (١٩٣٦/٨/٣١م).

قال هربرت ولئن سلمت جدلاً بما تقولون فإنّ لي معكم حديثاً آخر لنقف على نتيجة حاسمه.

فما وسع زهران إلاّ أن يضحك مستهزئاً به ثم أنشد بصورته الجميل:

يا مجد أندلس يا بهجة العرب ∴ هل في روايتنا شيء من الكذب

ثم أقبل إسمعيل على عجل وكان قد سئم الحوار وانتبذ مكاناً بجوارهما وطفق يقرأ إحدى الجرائد العربية وما هي إلاّ هنيهة حتى وقف وحوقل وعلى الجمهور أقبل وهو يقول الله أكبر الله أكبر هذا عنوان ضخم لمستشرق كبير بهذه الجريدة يثبت فيه مجد الأندلس وأن فشل المسلمين بها كان فشلاً للحضارة في العالم استمعوا استمعوا هذا فصل الخطاب استمعوا: نشرت جريدة سنداي تيمس اليوم مقالاً للأستاذ فالبي قال فيه بالرجوع إلى ما كتبه الأستاذان لويس برتراند وتشرلس باتريس عن تاريخ اسبانيا يتبين أنه من المسلم به أن عصر[1] الآداب الإسلامية في اسبانيا كان من أزهى عصور امتزاج العناصر في تاريخ الحضارة فالأستاذ جيمس بريستد[2] المستشرق ذو الشهرة العالمية يقول: إن العصر الإسلامي في اسبانيا كان أكبر عامل من عوامل المدنية في أوروبا وقد ختم كتابه عن تاريخ العصور الوسطى بكلمات ذات مغزى وهي أن انخذال المسلمين في اسبانيا كان بمثابة انهزام المدنية أمام الهمجية ثم أشار إلى القنطرة الفكرية بين تيارات الثقافة المسيحية والإسلامية التي أقامها ريمندوس لولوس الذي حاول أن يوفق بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي وذلك من ستمائة سنة قبل أن يكتب المارشال ليوتي ما أوصى بكتابته على قبره بعد موته من ضرورة اتفاق العنصرين.

---

(1) الأهرام في ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٣٤م.

(2) عالم أثرى كبير توفى في ٢ من ديسمبر سنة ١٩٣٥م بأمريكا.

ثم استطرد الكاتب قائلاً أرجو أن يسمح لي القارئ بأن أضيف إلى ما تقدم أن النشرات الدورية الكاثوليكية التي تصدر تحت إشراف الكنيسة أخذت تفسح مجالاً أكثر للعلوم الإسلامية بعد أن كان ذلك محظوراً.

وأن الفضل في هذا الموقف الجديد عائد إلى البابا الحالي وهو من المطلعين كل الاطلاع على العلوم الشرقية، ونراه يندد بكل محاولة ترمي إلى الرجوع للتعصب الذي كان سببه جهل المقاصد التاريخية.

ثم استشهد بآراء الكردينال ديبوي رئيس أساقفة باريس وتمجيده في الإسلام[1] والمسلمين وثقافتهم العالية."

ومع صدور هذه الكلمات من جريدة عظيمة لم يشأ هربرت أن يتأثر بها بل استهزأ بما فيها؛ فازداد زهران استهزاء به وصار يغني:

يا مجد أندلس يا بهجة العرب ∴ هل في روايتنا شيء من الكذب

هل في روايتنا نحكي مبالغة ∴ بالله تخبرني يا منبع الحسب

فأجابه صوت من بعيد. ذلك هو صوت الحاكي الجديد الذي نطق بلسان حال المجد المجيد:

كلا فليس بما قلتم مبالغة ∴ بل إنكم تتركون المجد يا عجبى

لم تذكروا دررا من شعرهم نطقت ∴ بالعلم والمجد والإفضال والأدب

والكل يعلم أني أبو حكم ∴ والغرب يعرف ما قد نلت من أرب

لم تذكروا حكماً من علمهم ظهرت ∴ بالخير والفضل والتعليم والكتب

---

[1] النشرات الدورية الكاثوليكية.

كم صنفوا كتبا كم أخرجوا عجبـاً ∴ كم ألفوا أدبا في دولة الذهـــب

والحقّ يشهد لي والعلم يسجـد لي ∴ والغرب يذكرني بالعزّ والطـرب

والعدل من قدم آثـــاره نطقت ∴ الله أكبر إن المجد للعـــــرب

هـذا وقـد بهـر القـوم مـا رأوه اليـوم، مـن مجـد سـلف وعلـم وطـرف؛ واتفقـوا علـى عـود قريب، لإبراز ما خفي من مجد العرب العجيب.

الباب الخامس
آثار وعبر

زهران ينشد:

يا حيـــاة باعتـــدال ∴ بارتقـــاء وامثـــال
فيك مجـد من قديـم ∴ فيك علـــم لا يزال
هل براك الله قدمـــاً ∴ أمْ حديثـــاً للرجال
يا فرنســـا أنت نور ∴ وضيـــاء في الجمـال
هل أخذت العلم عنّـا ∴ من بلادي بانتقـــال
فاصطفاك المجد حالاً ∴ وابتلانـــا في ليـــال
يا رجال الغرب جمعا ∴ كـــان شرقي كالهلال
كان شرقي في ابتهـاج ∴ وارتقـــاء واعتـــدال
إن سألتم في فرنســـا ∴ يذكرونـــا بالجـــلال
يا رجال الحقّ هبّـــوا ∴ أيّدونـــا في المقـــال
قد حبانـا الله حقّـــاً ∴ واصطفانـا كالمثـــال
واصطفانـــا من قديم ∴ فارتقينـــا بالكمـــال

ثم دخل العجمي وهربرت وقد استمعا بعض النشيد فقال هربرت:

لست أرضي بامتـداح ∴ في كلام أو جـــدال
ولتقولـوا قول صدق ∴ بالتحـري لا الخيـال

فقال حسّان: أبعد ماضي من المقال. تحاول الجدال؟

قـال هربـرت: إني كلمـا أردت الإيجـاز يبـدو لي مـا يحـرك لسـاني في الحـوار والجـدل. وإني لا أريـد أن أدع في نفســي أمــراً إلاّ وأقــف بــه علــى نتيجــة حاسمــة. ولقــد دار بخلـدي الآن أن العـرب كـانوا رجـال علـم وأدب لا رجـال عمـل واخـتراع ولا أهـل سياسة واجتماع.

فقـال حسّـان: كيـف ذلـك يـا هربـرت. وقـد كـان لهـم الفضـل في ذاك الوقـت. ألاّ تعلـم أننـا ظهرنـا في صـدر الإسـلام في وقـت كـان يـئن فيـه الأنـام مـن مظـالم العجـم وجــور الــروم واضــطهادهم للنّــاس، فنشــرنا بيــنهم لــواء العــدل،[1] وحزنــا الكمــال

[1] مضارة الإسلام ص٣٩.

والفضل؛ وألفنا بين القبائل وحرمنا ما كان يعمله الأوائل، من سفك الدماء وجلب الشرور الشقاء؛ ألفنا بين العرب الكرام، وبين مصر والشام والروم والعجم وسائر الأمم ونظمناهم في سلك اللغة العربية تحت راية الشريعة المحمدية، بعد أن كانوا فرقا وحشية.

قال هربرت: نعم كانوا ينطقون باللغة العربية، وما كانت لديهم آثار علمية.

فقال حسّان: ألا تعترف بأننا رجال الفنون والعلوم التي فقنا فيها العجم والروم؛ ألم ينبئك التاريخ أن اليونان، كانوا فلاسفة ذلك الزمان. ولكن علومهم كانت محصورة، في رجال الأمر والمشورة، وكانوا يعدون العلم من الأسرار؛ ويبعدونه عن رجال الأمصار وكانوا لا ينشئون المدارس مخافة أن تذاع تلك النفائس. فحرموا البلاد وملكوا رقاب العباد. ولكن لما بدا نجمنا ظهر علمنا، ونشرناه بين الناس على اختلاف الأجناس لا فرق بين كبير وصغير، ولا بين غني وفقير.

المؤلفات العربية

قال بتارك الإيطالي: "لقد أغلقت أبواب الأدب؛ والعلوم بعد مجد العرب."

قال هربرت ألم يكن علمكم يا حسّان من الروم والعجم واليونان. فكيف تفخرون به الآن؟ وليس لديكم من برهان، على نبوغكم في قديم الزمان.

فقال حسّان: إننا لم نعتمد على أقوالهم، ولا على فنونهم وأعمالهم،. بل ترجمنا الحسن منها بالفصيح. واخترنا ما نعلم أنه صحيح. وزدنا عليه كثيراً وبلغنا فيه مبلغا كبيراً. فنبغ منا المؤلفون الكبار الذين ذاع صيتهم في الأمصار. وأوضحوا الطرق الجلية؛ فنقلتم منهم المؤلفات العلمية والكتب الفلسفية.

قال هربرت نحن لم نأخذ منكم مؤلفات علمية. ولكنا من قديم في ربوع المدنية، التي وصلت إلينا من الرومان، كما وصلت إليكم من اليونان، ولست أعرف منكم ألّف، ولا من اخترع أو صنف.

فقال حسّان: ستعلم ذلك علم اليقين، وستقنع بأجلى البراهين فضلاً عما سبق لك من البيان، الذي قدمناه قبل الآن. وقد ألبستموه ثياب الجحود والنكران. ولكن أرجو بعدد ذلك؛ أن تبحث في قصبات الممالك؛ عما لنا من المؤلفات المحفوظة في المكتبات الغربية وإن كان بعضها في المكتبة الملكية.

فقال هربرت: وما هي تلك البراهين؟

فأجابه حسّان: أتعلم أن صاحبك هذا أمين وقد أشار إلى إسمعيل العجمي.

فقال هربرت: أجل إنه نعم الأمين.

فقال حسّان: اذهب يا إسمعيل إلى الأستاذ سديو الجليل واطلب منه البيان الصغير الذي به بعض المؤلفات العربية وقد ترجمت إلى اللغات الأجنبية وكانت مناهل للمدنية الغربية.

فلبى إسمعيل وتوجه من فوره إلى إجابة صاحبيه ثم قال هربرت: إن هي إلاّ مؤلفات في الأدب، لا ينتفع بها غير العرب.

فقال حسان: سترى العجب، ويتجلى لك عصر الذهب.

فلم يرق هذا القول هربرت بل تمادى في جداله وقال: لو كان لكم غير ما أقول، لظهر فيكم الرجال الفحول، كما ظهر منا أرباب العقول.

فحنق زهران تلك الإجابة حتى كاد يتميز من الغيظ ثم تنفس الصعداء إثر الأنين وقال: آه أين فاتح الهند والصين أم أين رجال العمل ليقطعوا هذا الجدل، بحد الحسام. أين خلفاء الإسلام. أين علماؤنا الأعلام آه كيف نعود إلى حسن المحيّا كما كنا فوق الثريا ولكنا طرحنا العلم وراءنا ظهرياً فكان أمر الله مقضيّاً.

وماكان غيظ حسان بأقل مما في صدر زهران ففي كليهما مرجل شديد الغليان. وقد عظم لديهما هذا الأمر، وأراد حسان أن يروح عما ألمّ به من ذلك الجحود وترقب الفرصة ثم حرك حاكي الهواء ليخفف، من ذاك العناء وما هي إلاّ برهة

يسيره، حتى نطق المذياع بقصيدة قصيرة كان يلقيها أحد رجال النهضة العاملين في قصبة دار الكنانة وتلك هي:

جددوا عهد الثريّا ∴ من قديم كنت حيّاً
يا رجال الشرق هيا ∴ واحفظوني في البرية
واحفظوني كي تسودوا ∴ لا يغشّيكم قعود
وارجعوا لي كي تعودوا ∴ جددوا عهد الحميّة
عهد آثار وصدق ∴ عهد مصرا ودِمشق
جدّدوا عهد شرقي ∴ مع زمانٍ لأميّة
مع زمان من لطافه ∴ في فرات أو رصافة[1]
جدّدوا عهد الخلافة ∴ في عصور جوهرية
جددوا عهد الوليد ∴ بافتتاح من جديد
مثل هرون الرشيد ∴ مع صناعات جلية
أين يحيى والوزير ∴ أين مأمون البشير
أين معتصم يجير ∴ ذات ضيم عربية[2]
في بلاد لا تراه ∴ قيل وا معتصماه

---

[1] جاء في معجم البلدان أن الرصافة (بضم الراء) اسم لمدينتين إحداهما رصافة الرقة بناها هشام بن عبد الملك غربي الكوفة وكان يقيم بها في الصيف. والثانية رصافة الكوفة التي أسسها أبو جعفر المنصور في خلافته. وكلتاهما آية في الجمال والحضارة. وأشار ابن الأثير في الكامل (ص٢٨٥ ج٥) أن الجند تألبت في عهد المنصور فاستشار قثما بن العباس فأشار عليه ببناء الرصافة لإقامة نصف الجند بها حتى يفرق بينهم وإذا تألبوا سلط بعضهم على بعض. وأمّا رصافة هشام فكان سبب بنائها تفشي الطاعون في الجند فشطرهم شطرين وقاية لهم من العدوي كما سبق أن أثرنا إلى ذلك.

[2] ورد في أمهات التاريخ أن امرأة عربية أخذها الروم أسيرة إلى عمورية فنادت: وا معتصماه فسمعها ملك الروم فهزأ بها وقال: سيأتيك على خيول بيضاء؛ فبلغ خبرها المعتصم فآل ليغزون الروم على الأفراس البيضاء وليفتحن عمورية. وروى ابن الأثير في حوادث السنة الثالثة والعشرين بعد المائتين (ص١٩٦ ج٦) أن المعتصم حشد جنوده وعسكر غربي دجلة في جمادي الأولى وقد انصرف ملك الروم عن هذه الجهة بجنده وظفر المعتصم ببابك فسأله أي البلاد الرومية أحصن وأعظم؟ قال عمورية. وهي أشرف وأعز وأمنع من القسطنطينية فوجه المعتصم قوته وعزيمته نحوها وقد حاصرها نحو شهرين حتى فتحها وكانت في أشد المناعة (كما ذكرت آنفاً).

فأجيرت في حمـــــاه ∴ بحروب عالميـــــــة
قامت الحرب العظيمة ∴ بافتتاحات جسيمـــة
نعمت النفس الكريمة ∴ فعمت النفس الأبيّـــة
أين اسبانيـــا[١] تنادي ∴ في البرايـــا والنوادي

جددوا عهد البـــلاد ∴ عهد قرطبة[٢] البهيـــة
أين جابر[٣] وابن سينا[٤] ∴ وابن رشد[٥] خبرونـــا
وابن فرناس[٦] أرونـــا ∴ كل آثار سنيـــــــة

---

[١] هـو الاسـم المعـروف بالأنـدلس قـديماً في الجنـوب الغـربي مـن أوروبـا ويسـكنها الآن زهـاء عشـرين مليونـاً مـن الأنفـس وقـد تحولـت إلى جمهوريـة بعـد حـروب دامـت في ٩٣٦-٩٣٨ وقـد فتحـت في عهـد الوليـد بـن عبـد الملـك بـن مـروان سـنة ثنتـين وتسـعين مـن الهجـرة فتحهـا طـارق بـن زيـاد مـولى موسـى بـن نصـير والى إفريقيـة بـأمر من هذا الخلفية بعزيمة سطرها التاريخ بالإبريز كما ذكرت آنفاً.

[٢] قرطبـة مـن أعظـم مـدن الأنـدلس (اسـبانيا) الإسـلامية فخامـة وعظمـة وبهـا مسـجد لا تـزال آثـاره ناطقـة بعظمتـه وبلـغ طولـه سـتمائة قـدم وعرضـه نحـو مـائتين وخمسـين قـدماً وبـه زهـاء ألـف وثلاثـة وتسـعين عمـوداً مـن الرخـام وكـان بـه سـبعمائة وأربعـة آلاف فنـديل وأبوابـه كانـت مصـفحة بالـذهب وكانـت قرطبـة آيـة في الجمـال والإبـداع ليلاً ونهاراً ولا سيما أزهارها وأنوارها في ميادينها، كما نر هنا عن ذلك من قبل.

[٣] سـليمان بـن جـابر حكـيم جليـل مـن حكمـاء العـرب الـذين نبغـوا في الكيميـاء والرياضـة وإليـه ينسـب اخـتراع علـم الجـبر الـذي لم يـزل مسـتعملاً بحروفـه ونطقـه العـربي عنـد الافـرنج وقـد أضـاف إلى هـذا العلـم زيـادات أخـرى أبـو جعفـر الخـوارزمي في عهـد الدولـة العباسـية وإلى سـليمان أيضـاً ينسـب السـليماني الأكـال (بكلـورود الزئبق).

[٤] ابـن سـينا هـو الطبيـب الفيلسـوف علـي بـن سـينا المشـتهر بـالرئيس ولـد في ضـواحي بخـاري سـنة ٣٧٠هـ ولم تتجـاوز سـنة البلـوغ حـتى كـان نابهـا نابغـة في المعقـول والمنقـول ولا سـيما المنطـق والكيميـاء والرياضـة تفـرغ للطـب فأتقنـه وكـان فريـد عصـره في الطـب قبـل أن يتجـاوز العشـرين مـن عمـره ولـه مؤلفـات قيمـة في علـوم الـنفس والفلسـفة والإلهيـات والطـب ولـه أيضـاً كتـاب ضـخم في مـتن اللغـة العربيـة ألفـه عنـاداً مـع أبي منصـور النحـوي اللغوي المعروف وتوفي سنة ٤٢٨هـ.

[٥] ابـن رشـد هـو القاضـي الفيلسـوف محمـد بـن أحمـد رشـد المتـوفي سـنة ٥٩٥هـ. وقـد سـبقت ترجمـة في آخـر البـاب الثالث من هذا الكتاب وعنه أخذ الافرنج.

[٦] ابـن فرنـاس هـو أبـو القاسـم عبـاس بـن فرنـاس أعظـم فيلسـوف حكـيم ظهـر بالأنـدلس وهـو أول مـن فكـر في طـيران الإنسـان وقـد صـنع لـه أجنحـة قويـة وطـار مسـافة طويلـة علـى مـر أي مـن النـاس ولكنـه نسـي أن يصـنع

كلّ أعمال وخيـــــر ∴ يا صلاح[1] الدّين تدري

أن ريكارد[2] بن هنري ∴ قد رمانـــــا بالأذيه
قد رمانـــا ثم أدبر ∴ يا بن طولون[3] تدبّـــر
يا معزٌّ[4] أين جوهــر[5] ∴ يا رجـــــال الأغلبية
يا رجال الشرق قوموا ∴ من منام كي تدومـــوا
في هناء لا ترومـــوا ∴ غير أعمال سميّـــــه
غير أعمال الكـــرام ∴ فلتهبوا من منـــــام
هيئوني للتمـــــام ∴ واحفظوني في البريـــة

الحروب الصليبية

قـــال هربـــرت: يـــا للعجـــب إن المحاضـــر يفخـــر بـــذكر صـــلاح الـــدّين وملكنـــا ريكـــاردوس، قائـــد القـــوات الافرنجيـــة، في الحـــروب الصـــليبية، ســـنة أربعـــين ومـــائتين وألـــف ميلاديـــة. والنـــاس تعلـــم أن ريكـــارد، أو قلـــب الأســـد، تغلـــب علـــى صـــلاح الـــدّين غـــير مـــره، وأذاقـــه مـــن العـــذاب أمـــرّه. ولكـــم تغلبنـــا علـــى الأبطـــال وأســـرنا النســـاء والرجـــال

لـه زمكـا (ذنبـا) فـأوذى عنـد سـقوطه وهـو مـن نوابـغ الموسـيقى وأول مـن فكـر في تلـوين الزجـاج وقـد صـنع في بيته سماء من الزجاج ومثل فيها الرعد والبرق والمطر كما ذكرنا آنفاً.

[1] هـو يوسـف صـلاح الـدين الأيـوبي مؤسـس الدولـة الأيوبيـة بمصـر والمشـتهر بعزيمتـة وانتصـاره في الحـروب الصـليبية توفي سنة ٥٩٨هـ.

[2] ريكـارد (رتشـارد) الملقـب بقلـب الأسـد وهـو ملـك الإنجليـز بعـد هنـري الثـاني وكـان رئـيس القـوات الصـليبية وقـدم إلى بيـت المقـدس ليسـترده مـن صـلاح الـدين الأيـوبي سـنة ١١٨٧م (٥٨٧هـ) وكـان أقـدر رجـال الافـرنج شـجاعة وخـداعاً ومكـراً وجـرت بينـه وبـين صـلاح الـدين حـروب كثـيرة كـان النصـر فيهـا لصـلاح الـدين وحزبـة وعقد بينهما صلح وعاد ريكارد سنة ١١٩٢م إلى بلاده فأسره ليوبولد ملك النمسا حتى سنة ١١٩٤م.

[3] هو أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية وكان معروفاً برأيه وحزمه توفي سنة ٢٧٠هـ.

[4] المعز لدين الله الفاطمي فاتح مصر سنة ٣٥٨هـ وتوفي سنة ٣٦٥هـ.

[5] جوهر الرومي المشتهر بالصقلي مولى المعز لدين الله الفاطمي وفاتح مصر ومؤسس الأزهر.

ويتّمنا البنين والأطفال. وخربنا كثيراً من الديار، وفتكنا بالصغار والكبار، ومعظم ذلك في عهد صلاح الدين، الذي يترنم باسمه هذا المسكين.

فقال حسان: نعم تغلبتم علينا في العمر مرة. إثر ضغائن كانت بيننا مستمرة. وفعلتم بنا، ما خرج عن حد الإنسانية، من الأعمال الهمجية والوحشية. على أنكم لم تأسروا منا كبيراً، ولم تفتكوا إلا بمن كان صغيراً. وأما نحن فقد تغلبنا عليكم مراراً، وأسرنا منكم ملوكاً كباراً، ومن أولئك الملك جفري الكبير[1]. والأمير ارباط الشهير[2]. ثم بعد ذلك بأيام رفعنا الرايات والأعلام، وحزنا النصر التام، فأسرنا لويس[3] التابع. وما قتلنا منكم غير ارباط المخادع. لسبق تعديه من قبل على المسلمين، وهتكه حرمات الدين. وقد حللنا قيود الأسراء، وعفونا عن كثير من الأمراء، وقد صرح صلاح الدين المذكور، للملك جفري المأسور، أن من عادات العرب ومحاسن السلوك، ألا يقتل الملوك[4] الملوك. وكنا إذا أسرنا منكم النساء أو الأطفال، عاملناهم بالرأفة والإجلال بخلاف ما كنتم تفعلون، فانظر فعالكم من فعال الأمراء. واحكم بعد ذلك بما تشاء.

قال هربرت: يظهر أنه قد آن وقت الصفاء، والتودد والإخاء.

فقاطعه حسان وقال على أنك، ذكرتني بأشياء.

فقال هربرت: وما هي يا سيد الأمراء.

---

[1] ملك عظيم من ملوك الافرنج وكان مقيماً ببيت المقدس للدفاع عن سنة ٥٨٣هـ.

[2] أرباط شقيق الملك جفري وصاحب الكرك والشوبك.

[3] لويس التاسع ملك فرنسا وقد أسر في الحروب الصليبية بدار ابن لقمان بالمنصورة سنة ٦٤٧هـ بجوار مسجد الموافي.

[4] راجع تاريخ أبي الفداء وابن الأثير والفتوحات الإسلامية ص٣٦٧ ج١.

فقال حسان ذكرتني أنكم استفدتم من الحروب الصليبية، كثيراً من التعاليم العربية،[1] والصناعات الشرقية، كنسج الحرير والصوف، وصناعة الزجاج المعروف، والأسلحة والنجارة، وأعمال العمارة، والنقش والتقليم، وغير ذلك من التعاليم.[2]

الحروب العربية ونتائجها في الجاهلية

الملك	الدولة	التاريخ	الموقعة	النتيجة
سرجون الأول	السامية	٣٨٠٠ ق م	بابل والعجم	فتح بلاد العجم[3]
حمورابي	حمورابي	٣٩٠٠ ق م	بين النهرين	الاستيلاء على الجوار
ساموبي	"	٢٤٦٠ ق م	شمالي بابل	" عليها
سامو ليلو	بابل	٢٣٨٥ ق م	بابل	فتح الشام
سلاطيس	العمالقة	٢٢١٤ ق م	مصر	" مصر
أدوم	الأنباط	٤٠٠ ق م	الشام	" الشام
الحرث الأول	"	١٦٩ ق م	العراق	العراق
الحرث الثالث	"	٨٥ ق م	سوريا	" سوريا
عبادة الثالث	"	١٨ ق م	مصر والشام	خذلان الروم فيهما
جذيمة	تدمر	٥٠ م	الروم	تقهقر الروم وردهم[4]
فرع ينهب	حمير	٥٠ م	الحبشة	افتتاحها
شمر يرعش	"	٢٧٥ م	العراق	فتح العراق
"	"	٢٨١ م	العجم	" العجم والبحرين

---

[1] كذا ورد في أمهات التاريخ الشرقية والغربية بالإجماع وخاصة حضارة العرب والتاريخ العام لمكسيم والإسلام والحضارة العربية ص٢٢٨.

[2] The Great Event of History: p.80.

[3] كتاب العرب قبل الإسلام ص٤٠، ٤١.

[4] تاريخ العرب الجاهلي ص٨٤.

"	"	٢٨٥	خراسان[١]	" خراسان وجوارها
شمر يرعش	حمير	٢٨٩ م	الصفد وراء جيحوق	تخريبها
" "	"	٢٩١ م	الروم	فتح بلاد كثيرة منها[٢]
أفريقس الصعب	"	٣٠٠ م	بلاد المغرب	" بلاد المغرب[٣]
أسعد أبو كرب	"	٢٨٥ م	اذربيجان والترك	فتح اذربيجان والترك
" "	"	٢٩٠ م	الهند	" الهند
" وشمر	"	٢٩٥	الصين	" الصين[٤]
" "	"	٢٩٧ م	الروم	" بلاد الروم
جبلة	غسان	٤٩٥ م	العجم	الانتصار على العجم
الحرث بن جبلة	"	٥٣١ م	"	" " " [٥]
الحرث بن أبي شمر	"	٥٥٤ م	"	" على الروم
المنذر بن النعمان	لخم	٤٣١ م	"	" "
المنذر بن امرئ القيس	"	٥١٤ م	"	" "
النعمان بن امرئ القيس	الحيرة	٤١٥ م	الشام	" على العجم
إياس بن قبيصة	"	٦١٤ م	وقعة ذي قار[٦] بالعجم	فرار العجم

[١] الطبري وتاريخ العرب ص١٢٤.

[٢] المسعودي ص٢٠٨ ج١

[٣] ابن خلدون (العبر) ج٢ ص٥٢.

[٤] العبر لابن خلدون ج٢ ص٥٢

[٥] العرب قبل الإسلام ص١٩٢.

[٦] ذي قار مدينة على نهر الفرات جنوبي الكوفة وهي الآن أطلال.

بـدأت الحـروف العربيـة في عهـد الإسـلام بـالغزوات بتـدبير النـبي صـلى الله عليـه وسـلم وقـد بلغـت سـبعاً وعشـرين غـزوة بـين المسـلمين والكفّـار وكانـت نتائجهـا انتصـار المسـلمين علـى أعـدائهم إلاّ في ثنتـين منهـا. وبعـد وفاتـه عليـه الصـلاة والسـلام كانـت الفتوحات الآتية:

الحروب في عهد الخلفاء الراشدين

الخليفة	التاريخ	المحاربون	الموقعة	النتيجة
أبو بكر	١٢ هجرية	المرتدون	جنوبي بلاد العرب	انتصار المسلمين
"	١٢هـ	المتنبئون	في البلاد العربية	" "
"	١٢هـ	مانعو الزكاة	" "	" "
"	١٢هـ	العراق والعجم	العراق	فتح بعض العراق
"	١٢هـ	الحيرة والعجم	الحيرة الأنبار[١]	" الحيرة والأنبار
"	١٢هـ	العجم	الزميل جنوبي العراق	" بعض العراق
"	١٢هـ	"	الفراهن غربي العراق	" " "
"	١٣ هـ	هوازن وسليم	شمال العرب	" هذه البلاد
"	١٣ هـ	الروم	البحرين[٢]	" بلاد البحرين
"	١٣ هـ	"	اليرموك[٣]	" حمص
"	١٣ هـ	الروم	أجنادين بالشام[٤]	انتصار عظيم وفتح جسيم
عمر	١٤ هـ	"	دمشق	فتح دمشق
"	١٤ هـ	"	مرج الروم	انتصار العرب وفتح بلاد
"	١٤ هـ	"	بعلبك	فتح بعلبك وغيرها
"	١٤ هـ	"	قنسرين	" قنسرين وضواحيها

[١] على نهر الفرات شمال الكوفة.

[٢] بين نهري دجلة والفرات.

[٣] واد يصب في نهر الأردن بالشام.

[٤] الفتوحات الإسلامية ص٣٢ ج١

"	١٤ هـ	"	حلب وأنطاكية	" المدينتين وغيرهما
"	١٥ هـ	"	قيسارية	" قيسارية وحصار غزة
"	١٥ هـ	"	أجنادين وبيسان	حصار بيت المقدس
"	١٥ هـ	"	بيت المقدس	فتح بيت المقدس وضواحيه
"	١٧ هـ	"	حمص	" حمص ثانية
"	١٧ هـ	"	الجزيرة وأرمينية	فتح الجزيرة وأرمينه[١]
"	١٨ هـ	"	الفرما بمصر	فتح الفرما وضواحيها
"	١٨ هـ	مصر والروم	بلبيس	" بلبيس "
"	١٨ هـ	"	أم دنين وباب ليون	" مصر
"	١٩ هـ	"	عين شمس	معاهدة القبط والعرب
"	٢٠ هـ	"	الاسكندرية	" الاسكندرية
"	١٣ هـ	العجم	بابل	" بابل[٢]
"	١٣ هـ	"	العراق	" العراق
"	١٣ هـ	الروم	وقعة الجسر وغيرها	فتح طبرية وضواحها
"	١٤ هـ	العجم	أيام القادسية[٣]	فتح القادسية
"	١٥هـ	"	" المدائن	" المدائن
"	١٦ هـ	"	" " الغربية	" " الغربية
"	١٦ هـ	"	تكريت والمواصل[٤]	فتح تكريت والموصل وقرقيسيا
"	١٧ هـ	"	الأهواز والسوس[٥]	السوس والأهواز
"	٢١ هـ	"	نهاوند وغيرها	" نهاوند وهمذان وديمور

[١] الجزيرة تشمل ديار بكر ومضر وربيعة بين دجلة والفرات.

[٢] راجع مصور (خريط) واصف بك بتحقيق المرحوم أحمد زكي باشا.

[٣] مدينة شرقي الفرات جنوبي الكوفة.

[٤] على نهر دجلة شمال بغداد.

[٥] جنوب شرقي العجم على نهر متفرع من شط العرب.

"	٢١ هـ	"	أصفهان	" بلاد العجم
"	٢٢ هـ	"	قزوين	" قزوين وجرجان
"	٢٢ هـ	"	جرجان[١] والري	" الري وطبرستان
"	٢٢ هـ	ازربيجان	أزربيجان[٢]	" أزربيجان
"	٢٢ هـ	الروم والمغرب	طرابلس الغرب	"برقة وطرابلس الغرب
"	٢٢ هـ	الترك	وسط آسيا	" وسط آسيا
"	٢٢ هـ	خراسان	خراسان[٣]	" خراسان
"	٢٣ هـ	الروم	اصطخر[٤]	" اصطخر
"	٢٣ هـ	"	كرمان[٥]	" كرمان
"	٢٣ هـ	" والعجم	سجستان[٦]	" سجستان
"	٢٣ هـ	" وكرمان	كرمان	" مكران[٧] وكرمان
"	٢٣ هـ	" والعجم	الأهواز	" بلاد الأهواز ثانية
"	٢٣ هـ	الأكراد	الأكراد	فتح توج والأكراد
عثمان	٢٥ هـ	الروم	بلاد الروم	" بلاد كثيرة منها
"	٢٥ هـ	"	أفريقية	" شمال أفريقية
"	٢٦ هـ	"	" ثانية	" " " ثانية
"	٢٨ هـ	"	قبرص	" جزيرة قبرص
"	٢٩ هـ	العجم	بلاد العجم	" العجم ثانية

[١] جنوب شرقي بحر قزوين.

[٢] جنوب غربي بحر قزوين.

[٣] شمال شرقي العجم.

[٤] مدينة في وسط بلاد العجم.

[٥] جنوب العجم.

[٦] شمال أفغانستان.

[٧] مكران جنوب أفغانستان.

"	٣٠ هـ	"	طبرستان[1]	" طبرستان "
"	٣١ هـ	كرمان	الصواري وكرمان	" الصواري وكرمان ثانية
"	٣١ هـ	كابل	سجستان[2]	كابل وسجستان
"	٣٢ هـ	الترك	وسط آسيا	تأييد الفتح الأول
"	٣٤ هـ	الروم	غزوة الصواري	فتح صقلية بسفن عربية في بحر الروم
"	٣٦هـ	المخالفون	الجمل	تأييد خلافة علي
"	٣٧هـ	"	صفين	" " "

الحروب عهد بني أميّة

معاوية	٤٩هـ	الروم	القسطنطينية	الوقوف على حصونها
"	٥١هـ	"	السودان	فتح السودان وودان
"	٥٤هـ	"	جزيرة أرواد	فتح جزيرة ارواد
"	٥٥هـ	الصفد	كابل	فتح كابل
"	٥٧هـ	السند	السند	" السند
مروان	٦٥هـ	الخوارج	مرج راهط	تأييد سلطان بني أميّة
عبد الملك	٧٠هـ	"	أيام ماكسين والثرثار	" " " "
"	٨٠هـ	العجم	وراء النهرين	فتح وراء النهرين وتبيل
"	٨٢هـ	الخوارج	وقعة دير الجماجم	تأييد سلطان بني أمية
"	٨٤هـ	الروم وغيرهم	نيزك بأسيا	فتح نيزك وباذغيس
"	٨٥هـ	" "	قرطاجنة	" بعض افريقية

[1] جنوب بحر قزوين وشمال العجم.

[2] شمال أفغانستان

الوليد بن عبد الملك	٨٧هـ	وبيكند	بيكند[١]	بيكند والتغلب على الروم
الوليد	٨٨هـ	الروم	طوانه	فتح طوانة الرومية
"	٨٩هـ	بخارا	بخارا[٢]	تمهيد لفتح بخارا
"	٩٠هـ	"	"	فتح بخارا وضواحيها
"	٩٢هـ	الأندلس	الأندلس	فتح شواطئ الأندلس
"	٩٣هـ	الروم	خوازمشاة[٣]	" خوارزمشاه وخام جرد
"	٩٣هـ	"	سردانية	" سردانية
"	٩٣هـ	" وغيرها	سمر قند	" سمر قند
"	٩٣هـ	الأندلس	الأندلس	" طليطلة
"	٩٣هـ	الروم	سردانية	فتح جزيرة سرادانية
"	٩٤هـ	الروم	فرغانة بآسيا[٤]	تمهيد لفتح الشاس وفرغانه
"	٩٥هـ	"	المصيصة	المصيصة
"	٩٦هـ	الصين	كشغر بالصين	فتح كشغر وضواحيها
سليمان بن عبد الملك	٩٨هـ	الروم	القسطنطينية	حصارها وتمهيد لفتحها
" "	٩٨هـ	"	طبرستان	فتح جرجان وطبرستان ثانية
"	١٠٠هـ	"	حصن المرأة	" حصن المرأة
يزيد الثاني	١٠٢هـ	الترك	الترك	" الصغد[٥] والترك
هشام بن عبد الملك	١٠٦هـ	السند	السند	" بلاد السند
"	١٠٧هـ	الأندلس	أنبسة	" أنبسة وضواحيها الأندلس

[١] على نهر جيحون جنوب بلاد خوارزم

[٢] بأرض تركستان.

[٣] جنوب بحر خوارزم على نهر صيحون.

[٤] على نهر سيحون بالصين شرقي تركستان.

[٥] بين نهري سيحون وجيحون.

الحروب في عهد الدولة العباسية

السفاح	١٣٥هـ	الروم	جزيرة حقلية	فتح جزيرة صقلية ثانية
المنصور	١٣٦هـ	الأندلس	الأندلس	تأييد سلطان العباسيين
"	١٣٩هـ	الروم	الروم	فتح بعض البلاد الرومية
المهدي	١٦٠هـ	الهند	باربد بالهند	فتح باربد وغيرها بالهند
المهدي	١٦٣هـ	الروم	بلاد الروم	نصر العرب
الرشيد	١٦٥هـ	"	جيحان	فتح حصن سمالو
الرشيد	١٨٧هـ	"	"	نصر العرب
"	١٨٩هـ	"	الري[1]	فتح الري ثانية
"	١٩٠هـ	"	هرقلة	" هرقلة
"	١٩١هـ	"	" ثانية	" " وضواحيها
"	١٩٢هـ	خراسان	خراسان	" خراسان ثانية
المأمون	٢٠١هـ	طبرستان	طبرستان	" طبرستان والديلم
"	٢٠١هـ	الروم	صقلية	" صقلة ثالثة وبلرم
"	٢١٥هـ	"	بلاد الروم	" بعض بلاد الروم
"	٢١٦هـ	"	هرقلة	" هرقلة ثالثة و٣٠حصنا في الروم
المعتصم	٢١٩هـ	الزط	الزط	" بلاد الزط
"	٢٢٠هـ	بابك الخرمي	بابك الخرمي	" وسط آسيا
"	٢٢٢هـ	الصين	الصين وسيبربا	" بعض الصين وسيريا
"	٢٢٣هـ	الروم	عمورية[2]	" عمورية وضواحيها
هرون الواثق	٢٢٨هـ	الروم	صقلة	" صقلة رابعة
"	٢٣٢هـ	"	مسبني	فتح مسبني وطرايت

[1] جنوب بحر قزوين.

[2] عربي الصين وكانت أمنع بلاد الروم وأعزها، راجع الجزء السادس من ابن الأثير ص١٩٦.

"	٢٣٤هـ	"	أرغوس	" أرغوس
جعفر المتوكل	٢٣٨هـ	"	مصر	رد الروم عن مصر
" "	٢٤٧هـ	الترك	الصانفة	فتح الصانفة وضواحيها
المستعين	٢٤٩هـ	"	الشام	" " " الشام
المعتمد	٢٦٤هـ	"	سرقوسة	فتح سرقوسة ثانية
الموفق	٢٧٠٩هـ	الزنج	بلاد الزنج	توسعة الفتوحات بها
المقتدر	٣١٥هـ	الروم	بلاد الروم	انتصار العرب
"	٣١٧هـ	"	ميارافين	فتح ميارافين وآن
"	٣١٩هـ	"	وسط آسيا	انتصار على الروم
المتقي	٣٣٢هـ	روسيا	بردعة وروسيا	انتصار على المسكوف
الراضي	٣٢٣هـ	إيطاليا	إيطاليا	فتح جنوه
المطيع	٣٥٣هـ	الروم	صقلية	" صقلية خامسة
الطائع	٣٧١هـ	الافرنج والروم	"	" " سادسة
"	٣١/٣هـ	" "	بلاد الروم	توسعة الفتوحات الإسلامية

الحروب الأندلسية

وقد بدئ في فتح الأندلس سنة ٩٢ هجرية في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان ثم فتحت طليطلة سنة ٩٣هـ وفي عهد العباسيين بدئ تأييد سلطانهم سنة ١٣٦هـ بالأندلس في عهد المنصور ثم استقلت وكانت الحروب الآتية:

هشام	١٧٥هـ	الأندلس	الأندلس	انتصار العرب
خلفاء الأندلس	١٧٧هـ	"	"	توسعة الفتوح بها
"	١٧٩هـ	"	"	تأييد سلطان الخلفاء
"	١٨٠هـ	"	"	" " المسلمين
"	١٩١هـ	"	وقعة الحفرة	فتح طليطلة ثانية

"	١٩١هـ	"	قرطبة	" قرطبة ثانية
"	١٩١هـ	فرنسا	فرنسا والأندلس	رد فرنسا عن الأندلس
الحكم	١٩٤هـ	"	"	فتح جنوبي فرنسا
خلفاء الأندلس	١٩٨هـ	الأندلس	وقعة الريط	" قرطبة ثالثة
"	١٩٩هـ	فرنسا	فرنسا	فتح جنوبي وشمال البرنات
"	٢١٩هـ	الأندلس	طليطلة	" طليلطلة من جديد
"	٢٢٤هـ	"	الأندلس	" جديد
"	٢٣٠هـ	"	"	" "
"	٢٣٥هـ	"	"	تأييد سلطان العرب بها
"	٢٤٠هـ	"	"	انتصار على الأندلس
"	٢٤٥هـ	"	"	تأييد سلطان العرب بها
"	٢٥١هـ	"	"	توسعة الفتوح بالأندلس
"	٢٥٩هـ	الأندلس وفرنسا	"	انتصار على الأندلس وفرنسا
"	٢٦٠هـ	" "	طليطلة	توسعة الفتوح بالأندلس
"	٢٧١هـ	"	الأندلس	تأييد سلطان العرب فيها
"	٣٢٧هـ	"	"	توسعة الفتوح بها
عبد الرحمن الناصر	٣٤٥هـ	الأندلس وفرنسا	شمالي البرنات	توسعة الفتوح بالأندلس
على العلوي	٤٠٨هـ	"	الأندلس	تأييد سلطان العرب فيها
ملوك[١] الطوائف	٤٦٥هـ	"	"	" " " "
يوسف[٢] بن تاشفين	٤٧٩هـ	الأندلس	الزلاقة	فتح الأندلس وهزيمة الافرنج

[١] حدث خلاف بين الأمويين بالأندلس وبين العلويين في أول القرن الرابع فتبادلوا الخلافة بالأندلس وتربصوا الدوائر بعضهم لبعض حتى انقسموا إلى ملوك عديدين يعرفون بملوك الطوائف وكان ذلك واعية لضعفهم.

[٢] يوسف بن ناشفين من دولة المرابطين (الملثمين) الذين كانوا يحكمون مراكش وبلاد المغرب وهو أول من لقب بأمير المسلمين بعد أن استدعاه المعتمد ابن عباد ملك اشبيلية وهو أحد ملوك الطوائف

علي بن يوسف	٥٠٥هـ	"	الأندلس وفرنسا	انهزام الافرنج وغيرهم
دول المرابطين	٥٠٧هـ	"	" والافرنج	انتصار المرابطين
"	٥٠٨هـ	"	" "	تأييد سلطان العرب بالأندلس
"	٥١٣هـ	"	" "	انتصار العرب فيها
"	٥١٧هـ	الافرنج	إفريقية	ردهم عن إفريقية
"	٥٢٠هـ	"	الأندلس	رد الافرنج عن الأندلس
عبد المؤمن	٥٤١هـ	"	"	فتح الأندلس من جديد
يوسف بن عبد المؤمن	٥٤٥هـ	"	"	" قرطبة من جديد
الملثمين	٥٨١هـ	إفريقية	البربر بإفريقية	" إفريقية من جديد

حروب في دول إسلامية متعربة

الدولة الطولونية

أحمد بن طولون	٢٦٦هـ	الروم	سلسليا	فتح سليسيا من جديد
"	٢٦٩هـ	الخوارج	طرسوس	" طرسوس ثانية
"	٢٦٩هـ	الروم	باياس	ردّ الروم عنها
خمارويه	٢٧١هـ	العراق	العراق (الطواحين)	انهزام العراقيين

حروب الدولة الفاطمية[1]

لنصرته على الافرنج فحارب الفونس السادس ملك قسطيلة (كستل) وهزمه في وقفة الزلاقة المذكورة. راجع ابن الأثير ص٦٢ من الجزء العاشر.

[1] تنسب هذه الدولة إلى محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسمعيل بن جعفر بن محمد بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد بدءوا دولتهم ببلاد المغرب مستقلين سنة ٢٦٩هـ وفتحوا مصر سنة ٣٥٨هـ للمرة الثالثة. وقد طعن العباسيون في نسبهم للحط من قدرهم سنة ٤٠٢هـ. ودون بمحضر أشار إليه ابن الأثير في الكامل صفحة ٩٨ من

عبيد الله المهدي	٢٩٦هـ	صقيلة وغيرها	صقيلية وإفريقية	فتح صقيلية وإفريقية
"	٣٠١هـ	طرابلس	برقة	فتح برقة والاسكندرية
"	٣٠٢هـ	مصر	مصر	" الاسكندرية وغيرها ثانية
"	٣٠٧هـ	"	"	" الجيزة والوجه القلبي
"	٣١٥هـ	الروم	افريقية	ردّ الروم عن افريقية والمغرب
المعز الدين الله	٣٥٨هـ	"	"	فتح مصر جميعها
" "	٣٤٧هـ	المغرب	المغرب	فتح أقاضي المغرب
العزيز بالله	٣٦٥هـ	الترك	الشام وبغداد	ردّ هفتكين والقرامطة عن هذه البلاد
المستنصر	٤٣٦هـ	المغرب	افريقية	انهزام ابن باديس
المستعلى	٤٩١هـ	الارتقيون	الشام	ردّ الارتقيين عن الشام[1]
الآمر بالله	٥١١هـ	الصليبيون	طورسينا	موت بردويل وردّ الصليبيين
الظاهر	٥٤٨هـ	الروم	تنيس وطورسينا	ردّ الروم عنها
العاضد	٥٦٦هـ	الصليبيون	مصر	ردّ الصليبيين عن مصر

حروب في دول أخرى إسلامية متعربة

يمين الدولة	٣٩٢هـ	الهند	الهند	توسعة الفتوح بها
"	٣٩٧هـ	"	"	" " "
"	٤٠١هـ	الغور	الغور	فتح بلاد الغور
"	٤٠٤هـ	نادرين	نادرين	فتح هذه البلاد
محمود سبكتكين	٤٠٦هـ	الهند	الهند	توسعة الفتوح بها

الجزء التاسع وأبو الفداء ص١٤٢ ج١. ولكن أغلب المؤرخين يقولون بصحة نسبهم. وقال بن خلدون في العبر ص٣١ من الجزء الرابع ولا عبرة بمن أنكر نسبهم في المحضر الذي عمل ببغداد وجاراه المقريزي في صحة نسبهم بالجزء الثاني من خططه ص١٥٨ وعلى هذه فهم.

[1] دولة ظهرت في منتصف القرن الخامس شمالي سوريا وأصلهم من التركمان.

يمين الدولة	٤٠٩هـ	"	"	تأييد سلطانه بالهند
محمود سبكتكين	٤١٤هـ	"	"	فتح أجور بالهند
يمين الدولة	٤٢٠هـ	الري والجبل	الري والجبل	فتح الري والجبل
ابن سبكتكين	٤٢١هـ	الهند	الهند[١]	فتح نرسي وضواحيها بالهند
مسعود سبكتكين	٤٢٥هـ	"	"	" بلاد بها
" "	٤٢٦هـ	جرجان	جرجان وطبرستان	" جرجان وطبرستان[٢]
مودود سبكتكين	٤٣٥هـ	الهند	الهند	فتح حصون ومدن بالهند
ابرهيم ينال	٤٤٠هـ	الروم	بلاد الروم	انهزام الروم
" "	٤٤٢هـ	المغرب	المغرب	فتح بلاد من المغرب
محمد أرسلان	٤٥٦هـ	القوقاز	القوقاز	فتح أني[٣] وضواحيها
"	٤٥٧هـ	الروسيا	المسكوف	فتح بلاد تابعة للروسيا
صاحب ملطة	٤٩٣هـ	الافرنج	ملطة	انتصار المسلمين بها
عماد الدين زنكي	٥٢٤هـ	الافرنج	الشام	هزيمة الافرنج بالشام
المسلمون	٥٢٧هـ	الصليبيون	"	" " "
"	٥٢٧هـ	"	طرابلس الشام	" " "
"	٥٣١هـ	"	طرابلس "	" " "
نور الدين محمود	٥٤٤هـ	"	أنطاكية	" " "
"	٥٤٧هـ	"	دلوك	" " "
شهاب الدين	٥٤٧هـ	الهند	دهلي	فتح دهلي وضواحيها بالهند
نور الدين	٥٤٩هـ	الصليبيون	دمشق	صد الصليبيين عن دمشق
"	٥٥٢هـ	"	شيراز	" " عن شيراز

[١] ابن الأثير ص١٦٥ من الجزء التاسع.

[٢] جنوب شرقي بحر قزوين.

[٣] مدينة عظيمة جنوبي القوقاز.

شمس الدين	٥٥٧هـ	الكرج	الكرج	فتح بلاد الكرج[١]
نور الدين	٥٥٩هـ	الصليبيون	بانياس	صد الافرنج عن باتياس وفتح حارم
"	٥٦١هـ	"	الشام	فتح المنيطرة من جديد
"	٥٦٥هـ	"	" ومصر	صد الافرنج عن الشام ومصر
صلاح الدين	٥٦٦هـ	"	"	فتح إيله وغيرها
نور الدين	٥٦٧هـ	"	اللاذقية	صد الافرنج عن اللازقية
"	٥٦٨هـ	"	طبرية[٢]	فتح طبرية من جديد
صلاح الدين	٥٧٠هـ	"	صقلية والاسكندرية	صد الافرنج عن الاسكندرية وصقلية
"	٥٧٢هـ	الصليبيون	بعلبك	صد الافرنج بعلبك
"	٥٧٨هـ	"	الشام	انهزام الافرنج بالشام
"	٥٧٨هـ	"	" والفور	فتح الفور وانتصار صلاح الدين
"	٥٧٨هـ	"	عيذاب بالشام	صد الافرنج عن عيذاب
"	٥٧٩هـ	"	الشام	فتح تل خالد وعنتاب
"	٥٧٩هـ	"	البحر الأبيض المتوسط	انهزام الافرنج في البحر
"	٥٧٩هـ	"	الشام	فتح حارم وحلب
يوسف زين الدين	٥٨٠هـ	العجم	العجم	فتح العجم من جديد
صلاح الدين	٥٨٠هـ	الصليبيون	الكرك	فتح الكرك وضواحيها
"	٥٨١هـ	"	ميافارقين	" ميافارقين وغيرها
"	٥٨٢هـ	"	الشام	انهزام الافرنج بالشام
"	٥٨٣هـ	"	تل حطين[٣]	ردّ الافرنج عن الشام وفتح طبرية وأسر الملك

[١] الجزء الحادي عشر من الكامل لابن الأثير ص١٢٨ والكرج بلاد كانت جنوب القوقاز.

[٢] شرقي بصرى بالشام.

[٣] تل حطين قرية بالشام عند قبر النبي شعيب قرب طبرية وكانت حضا للافرنج سنة ٥٨٣هـ.

				جفري والأمير ارياط وغيرهما من الافرنج
"	٥٨٣هـ	"	الشام	فتح بيت المقدس وصور
"	٥٨٣هـ	"	"	" عكا ويافا وعسقلان
"	٥٨٤هـ	"	"	" جبلة ولاذقية وصهيون
"	٥٨٤هـ	"	"	" برزيه وسرمينية وساك
شهاب الدين الغوري	٥٨٣هـ	الهند	الهند	فتح شرشي ورام وتبريذة
صلاح الدين	٥٨٤هـ	الصليبيون	الشام وغيرها	فتح الكرك وصفد وكوكب
"	٥٨٥هـ	"	با ليزك	" با ليزك وشقيف
"	٥٨٦هـ	"	الشام وغيرها	انهزام الافرنج
"	٥٨٧هـ	"	البحر الأبيض المتوسط	" " بالبحر
شهاب الدين	٥٨٨هـ	الهند	الهند[1]	فتح أجمير وغيرها بالهند
"	٥٩٠هـ	"	"	" بنارس وضواحيها
"	٥٩٢هـ	"	"	" بهنكر " بالهند
العادل الأيوبي	٥٩٣هـ	الصليبيون	الشام	" يافا من جديد
نور الدين	٥٩٤هـ	"	"	" نصيبين بالشام
الغوري	٥٩٤هـ	الهند	الهند	" بلخ[2] وضواحيها
العادل	٦٠٠هـ	الصليبيون	الشام	مصالحة بين الفريقين
شهاب الدين	٦٠٢هـ	الهند	الهند والصين	فتح بلاد من الصين
العادل	٦٠٤هـ	الصليبيون	الشام	صلح بين الطرفين
"	٦١٤هـ	"	دمياط	صدّ الافرنج عن دمياط
شهاب غازي	٦٢٠هـ	الكرج	الكرج	فتح الكرج من جديد
الأشرف	٦٢٦هـ	الصليبيون	الشام	" دمشق "
شهاب غازي	٦٢٧هـ	الهند	الهند	" بلاد من الهند

[1] ابن الأثير ص٤٣ من الجزء الثاني عشر.

[2] بلخ بأرض جورجان شمال السند وجنوب جيحون وتسمى بكترمان أو وبقطر.

الظاهر ببرس	٦٦٦هـ	الصليبيون	الشام	فتح يافا وعكا وأنطاكية
ابن قلاوون	٦٩٠هـ	"	"	" عكا من جديد
"	٦٩١هـ	"	"	" صيدا وبيروت وصور
"	٦٩٢هـ	"	"	" قلعة الروم وسيس
الناصر	٧٠٠هـ	التتر	طور سينا[١]	هزيمة التتر وصدهم عن مصر
"	٧٠٢هـ	"	الشام	" " بالشام
"	٧٠٣هـ	الأرمن	"	فتح سيس وتل حمدون
"	٧٠٤هـ	" والتتر	"	هزيمة الأرمن والتتر
"	٧١٥هـ	الأرمن	مالطة	فتح مالطة
"	٧٢٠هـ	"	سيس	" سيس وأياس
محمد بن قلاوون	٧٣٥هـ	"	الأرمن	" طرسوس وأذنة
المنصور قلاوون	٧٤٤هـ	"	سيس	" سيس ثانية
الأشرف شعبان	٧٦٧هـ	الروم	الاسكندرية[٢]	" قبرص وغيرها
"	٧٧٦هـ	"	الشام	" سيس
الأشرف سيف الدّين	٨٢٨هـ	الافرنج	قبرص	فتح جزيرة قبرص
الظاهر جقمق	٨٤٤هـ	"	رودس	" " رودس

حروب بني عثمان

عثمان الأول	٦٩٩هـ	المغول	المغول	تأسيس الدولة العثمانية
أورخان	٧٢٧هـ	الروم	بروسه	فتح بروسه وجعلها كرسيا للترك
"	٧٣١هـ	اليونان	اليونان	" بعض بلاد اليونان
مراد الأول	٧٦١هـ	الافرنج	أدرنة	" أدرنة

[١] الفتوحات الإسلامية ص٤٤ ج٢.

[٢] العبر لابن خلدون والفتوحات الإسلامية ص٤٨ ج٢.

"	٧٦٣هـ	الصرب	الصرب والبلقان	" بلاد من الصرب والبلقان
مراد الثاني	٨٥٠هـ	الافرنج	جنوبي أوروبا	هزيمة الافرنج[١]
"	٨٥٥هـ	المجر	المجر	فتح بلاد من المجر
محمد الثاني	٨٥٦هـ	الافرنج	القسطنطينية	" القسطنطينية
"	٨٥٨هـ	المجر	البوسنة	" البوسنة وضواحيها
"	٨٦٣هـ	الصرب	"	" الصرب والبوسنة
"	٨٧٩هـ	الافرنج	بغدان	" بغدان وغيرها
بايزيد الثاني	٨٨٨هـ	"	كرمان[٢]	" قلي وآق وكرمان
"	٩٠٣هـ	"	بولونيا	" بولونيا
سليم الأول	٩٢٠هـ	العجم	العجم	" بعض بلاد العجم
"	٩٢٢هـ	مصر	وقعة مرج دابق	" مصر
سليمان الأول	٩٢٩هـ	الافرنج	رودس	" جزيرة رودس
"	٩٣٢هـ	المجر	المجر	" البوسنة والهرسك
سليمان الثاني	٩٣٥هـ	الافرنج	جنوبي أوروبا	فتح بلاد بالنمسا
"	٩٣٧هـ	"	النمسا	حصار فينا وفتح ضواحيها
"	٩٣٨هـ	الألمان	الألمان	تمهيد لفتحها
"	٩٣٩هـ	الصرب	الصرب	فتح أربعة عشرة قلعة بالصرب
"	٩٤٠هـ	العجم	العجم	فتح العراق
"	٩٤٣هـ	الافرنج	إيطاليا	فتح البندقية ونابولي ورومانيا
"	٩٤٤هـ	"	البلقان[٣]	" البغداد وغيرها
"	٩٥٠هـ	الروملي	الروملي	" عدة قلاع بالروملي

[١] الفتوحات الإسلامية ص٧٦ ج٢.

[٢] جنوب بلاد العجم.

[٣] الفتوحات الإسلامية ص١٠٧ ج٢.

"	٩٥٢هـ	البرتقال	الهند	" بلاد بالهند
"	٩٥٤هـ	العجم	العجم	" العجم وضواحيها
"	٩٦٠هـ	"	"	" " مرة ثانية
"	٩٦٣هـ	المغرب	المغرب	" بلاد المغرب
"	٩٦٤هـ	البرتقال	اليمن	" اليمن وهزيمة البرتقال
"	٩٦٧هـ	المجر	المجر	" بعض بلادها
"	٩٧٤هـ	"	البلقان	" قوله وبلغراد واسكدار
سليم الثاني	٩٧٨هـ	الروم	قبرص	" قبرص ثانية
"	٩٨٢هـ	المغرب	تونس	" تونس "
"	٩٨٦هـ	العجم	العجم	" العجم مرة أخرى
سليم الثاني	١٠٠١هـ	المجر	المجر وغيرها	فتح بستريم وطاجة وبلغراد
محمد الثالث	١٠٠٣هـ	الافرنج	" "	" أكراي والأردل بالمجر
"	١٠٠٧هـ	"	" "	" عدة قلاع بالمجر
"	١٠١٤هـ	"	" "	" قلعة استرغون
"	١٠٢٤هـ	العجم	العجم	" العجم مرة رابعة
مصطفى	١٠٢٨هـ	بولونيا	بولونيا	" بولونيا ثانية
مراد الرابع	١٠٤٨هـ	بغداد	بغداد	" بغداد من جديد
إبراهيم	١٠٥٥هـ	الافرنج	كريد	" كريت ثانية
محمد الرابع	١٠٦٨هـ	المجر	المجر	" عدة بلاد بها
"	١٠٨٤هـ	روسيا	المسكوف	" القرم وبولونيا
"	١٠٩٤هـ	النمسا	النمسا	" مائة قلعة وحصار فينا
سليمان الثاني	١١٠٢هـ	"	"	" بلاد بالنمسا مع غنائم كثيرة
أحمد الثاني	١١٠٤هـ	"	"	ردّ النمسا عن بلغراد
مصطفى الثاني	١١٠٧هـ	"	"	عبور نهر الطونة وفتح شماله

" "	١١٠٨هـ	النمسا وفرنسا	"	انتصاره وانهزام فرنسا والنمسا
" "	١١٠٩هـ	النمسا	"	مصالحه
أحمد الثالث	١١١٦هـ	روسيا	البندقية	فتح جزائر بالبحر الأبيض المتوسط وكسر روسيا في عهد بطرس الأكبر[1]
"	١١٢٣هـ	روسيا	روسيا	انهزام روسيا
"	١١٢٦هـ	النمسا	البندقية	انهزام النمسا
"	١١٢٧هـ	المانيا وفرنسا	جنوبي فرنسا	صلح ومعا هدة
"	١١٢٩هـ	أوروبا جمعا	أنحاء مختلفة	" "
"	١١٣٨هـ	العجم	العجم	فتح العجم مرة رابعة
محمود الأول	١١٤٦هـ	" و روسيا	تركستان	فتح العجم مرة خامسة
" "	١١٤٩هـ	روسيا والنمسا	النمسا	صلح ومعاهدة هدنة
" "	١١٥٠هـ	النمسا	"	" " "
مصطفى الثالث	١١٨٦هـ	المسكوف	روسيا	انهزام المسكوف
عبد الحميد الأول	١١٨٨هـ	روسيا	"	مصالحة ومعاهدة
"	١١٩٥هـ	روسيا والنمسا وفرنسا	"	انهزام روسيا والنمسا
سليم الثالث	١٢١٤هـ	" " "	مصر والنمسا	صلح ومعاهدة
"	١٢١٥هـ	فرنسا	مصر	إخراج الفرنسيين من مصر
"	١٢٢١هـ	روسيا وفرنسا	البلقان	ردّ فرنسا وروسيا بمعونة مصر
عبد المجيد	١٢٦٩هـ	روسيا	حرب القرم	صلح ومعاهدة

[1] كان بطرس الأكبر من ألد أعداء تركيا وطالما كان ينادي في أوروبا بكسح المريض يعني تركيا.

عبد العزيز	١٢٧٨هـ	الجبل الأسود	الجبل الأسود	تأييد سلطان العثمانيين بالجبل
عبد الحميد الثاني	١٢٩٤هـ	الروملي	البوسنة	فتح الروملي والبوسنة ثانية
محمد رشاد	١٣٣٥هـ	الحلفاء	بالحرب العظمي	صدهم عن دار الخلافة
مصطفى كمال	١٣٤٠هـ	"	تركيا	إنشاء تركيا الجديدة[1]

ولما قرأ هربرت هذا البيان وتدارك أن ما جاء به صحيح وأنه اطلع في التاريخ على معظم هذه الحروب التي لا مرية في صحتها أكفهر وجهه وامتقع لونه واحدقت به ريب الأوهام وكاد يتميز غيظاً لولا أن تداركة أحد أبناء جلدته وهمس في أذنة أن انكلترا نالت عظمة تقرب من عظمة العرب في إبان مجدها وكذلك أمريكا الآن؛ فهدأ روعه وثبت جأشه وما كاد يتنفس زفراته حتى أتى إسمعيل بآياته وفيها بينات المجد والأدب لدول العرب.

الكتب العربية وبعض المؤلفين

دخل العجمي وعلائم البشر بادية على وجهه فسأله حسان قائلاً: هل أتيت بالطلب؟

قال: نعم وظهر فضل العرب.

فقال حسان: اذكر ما نرى فيه بعض الأرب، من كتب الصناعة والأدب.

---

[1] تجمع الحلفاء في شخص اليونان لمحاربة بني عثمان فانتصر مصطفى كمال عليهم وأسس جمهورية وأخذ في سبيل الترقي والحضارة حتى توفي في نوفمبر سنة ١٩٣٨م. وقد كان الفرنج وأعداؤه يدسون عليه أنه غير مسلم يريدون كراهية المسلمين له.

فقاطعه هربرت بعد أن أطرق برأسه هنيهه وقال: إني أكتفي الآن بالقليل واعترف لكم بمجدكم الأثيل غير أن لي فيما بعد قولاً، يكون في هذا الموضوع خطاباً فصلاً.

قال العجمي: إن أشهر ما ترجمه الافرنج عن العرب، من كتب الصناعة والأدب، مؤلفات ابن رشد الزكية، التي منها القوي الطبيعية، وشرح العقل والنفس، وبيان السماء والشمس، وكتاب الرجوم، ومذكرات السموم، وقد ترجمت بباريس[1] وغيرها من البلاد، في القرن السادس عشر للميلاد وكتاب الأوزان والتناسب، وكتاب التباعد والتقارب، والماجسطي والسيارات، ودائرة المثمنات، وتركيب الدوائر، والأبصار والبصائر وجميعها من مؤلفات ثابت بن قرة[2] وقد ترجمت في عواصم أوروبا غير مرة. ومن مؤلفات ابن سينا الرئيس كتاب الجوهر النفيس وكتاب الحدود والتعريفات، والشراب والطبيعيات والعالم والسماء والقانون والكيمياء وقلب الإنسان والمنطق والبيان، والعلوم الطبيعية وكلها ترجمت بالبندقية سنة أربعمائة وألف ميلادية، وقد قضى هذا الفيلسوف الكبير حياته في الكتابة والتأليف حتى بلغت آلافاً من الكراسات إذ كان يكتب في الليلة نحو ثلاث كراسات ولا ينام إلاّ قليلاً ولم يترك علماً إلاّ وقد طرق بابه حتى في متن اللغة العربية.

---

[1] الملاجئ العباسية ص١٠٥، ٢٠٨، ٣٢٣ من المجلد الثالث عشر.

[2] هو أبو الحسن ثابت بن قرة بن هرون الفيلسوف الطبيب الحراني فريد عصره في الطب والفلسفة والفلك وكتابه السيارات لا نظير له في وصف الكواكب وصفا يدل على دقة النظر مما لا فراق فيه بين ما رصد اليوم في المراصد وبين ما تداركه ذلك الفيلسوف الفلكي الكبير وكان يجيد اللغات العربية والسريانية والإغريقية وعرف عنه أنه أعاد الحياة لقصاب مات بالسكة وعلم هذا الأمر المعتضد فقربه إليه ومن مؤلفاته أيضاً كتاب في تكوين الجبال وكتاب في النبض وآخر في مسائل طبية، والنقرس والبحار وما بعد الطبيعة ومراتب العلوم وترجمة كتب جالينوس والتشريح والأمراض الحادة وغيرها وكانت ولادته سنة ٢٢١ ووفاته سنة ٢٨٨ وله حكم في الطب كثيرة.

ومما ترجموه عن الرازي[1] الشهير، كتاب الحاوي الكبير والضوء والأقسام، والترياق والأحكام، وكتاب المنصوري في عشرة مجلدات. وكتب طبية كثيرة في الجدري والحصبة والنقرس والمغص وقد بلغت مؤلفاته زهاء مائتين وثلاثين مؤلفاً ضخماً وترجم معظمها سنة أربع وثمانين وأربعمائة وألف ميلادية وجلها كان معتمداً للتدريس، بمدرسة الطب بباريس، في إبان نشأتها وكانت مستقى أوروبا على اختلاف طبقاتها حين إذ ذاك ثم بدأ إسمعيل يخرج بياناً طويلاً عن المؤلفات العربية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية في عهد التطور الغربي وإنشاء أوروبا كما سأتلوه عليك:

كتاب القانون ألفه ابن سينا وترجمه إلى الأوروبية الكريموني

الحجر الفلسفي ألفه ابن سينا وترجمه إلى الأوروبية سكوت

الحدود ألفه ابن سينا وترجمه إلى الأوروبية أستاذ كبير

السماء والعالم ألفه ابن سينا وترجمه إلى الأوروبية كونديسا لفي

مختصر الحيوان ألفه ابن سينا وترجمه إلى الأوروبية سكوت

قلب الإنسان ألفه ابن سينا وترجمه إلى الأوروبية فيلنوف

ما بعد الطبيعة ألفه ابن سينا وترجمه إلى الأوروبية كونديسا لفي

وكذلك كتاب الطبيعيات وترجم الأستاذ أرمنكو كتاب الأرجوزة في الطب وشرح لها وهما من مؤلفات ابن سينا وترجم كتاب الشراب الأستاذ الباغوس كما

---

[1] هو قدوة المؤرخين وإمام الأطباء أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المولود بالري الملحقة ببلاد العجم وبدأ حياته بالموسيقى ثم درس الطب والفلسفة ببغداد وكان رئيس المستشفى بها واشتهر بحدة ذكائه ودقيق وصفه وجودة تعبيره وقوة ملاحظته في الطب وفي الفلسفة ومؤلفاته كلها ضخمة جليلة حتى شهد له معظم الافرنج بتفوقه عن أبقراط وجالينوس في الطب وفي المؤلفات التي ظهر أثرها في تعاليم أوروبا الطبية وكتابه الطبي الكبير يعرف عند الافرنج باسم Nonus Almansoris لأنه أهداه إلى المنصور بن إسمعيل صاحب خراسان وترجمة إلى اللاتينية الأستاذ جيراردي كريمونا وكانت ولادة الرازي سنة ٨٤٠م ووفاته سنة ٩٢٦ ميلادية (٣١١ هجرية).

ترجم كتاب النفس الاشبيلي وترجم آخرون كتب التعريفات والكيمياء والفلسفة الأولى والمنطق وكلها من مؤلفات ذلك البطل ألا وهو الرئيس ابن سينا.

ومن مؤلفات الرازي كتب الأغذية والمدخل في الطب والضوء والحاوي والمنصوري والأقسام وترجمها إلى الفرنسية الأستاذ جيرار دي الكريموني وترجم الحاوي مرة ثانية الأستاذ فراغوث وقام بترجمة بقية مؤلفات أساتذة من عظماء الافرنج وأهم تلك المؤلفات المترجمة إلى الألمانية والفرنسية وغيرها كتب الترياق والأمراض الجلدية وعلل المفاصل وغيرها.

ومن مؤلفات الكندي:[1] التوحيد والأحكام والأسباب المختلفة والغاية والسمع والبصر وقد ترجمها الأستاذ الكريموني وترجم آخرون كثيراً من بقية مؤلفاته وأهمها مستقبل المعرفة ومن مؤلفات الزهراوي[2] كتاب الرق وترجمه الجنوي وكتاب الجراحة وترجمه الكريموني وترجم غيرهما كتابي التصريف والنظر في العمل للزهراوي أيضاً.

وتخصص الفارابي[3] في الفلسفة والموسيقى والكيمياء وأهم ما ترجم عنه الكريموني كتابا المنطق والسمع الطبيعي وترجم كنديسا لفي كتابي خصائص العناصر

---

[1] هو الطبيب النطاسي أبو يوسف يعقوب بن إسحق العربي الكندي كان نابغة عصره في الطب والفلسفة والكيمياء وكان مقرباً عند المأمون العباسي وخلفه المعتصم ولا سيما في الطب والفلك وبلغت مؤلفاته أكثر من مائة وثمانين كتاباً وكلها غاية في الجودة وترجمت إلى اللغة اللاتينية كما ترجم بعضها إلى لغات أخرى وعاش طويلاً ثم توفي سنة ٨٧٣ ميلادية وكان أبناء الملوك ومن أشراف العرب.

[2] هو الجراح الكبير أبو القاسم خلف الزهراوي وليد مدينة الزهراء المنشاة في عصر الأندلس العربي بجوار قرطبة وكان فريد عصره في الجراحة والطب حتى جعله الخليفة عبد الرحمن الثالث طبيبة الخاص ومؤلفاته غاية في الإحكام والاتقان ولا سيما كتابه "التصريف" فإنه محلي بالصور في الأعمال الجراحية ورسم الآلات التي تستعمل في ذلك وكان أول كتاب مصور في الطب والجراحة والولادة والتشريح مما أفاد أوروبا إفادة تعترف بها إلى وقتنا وأقروا أنه واضع أساس الجراحة في العالم كله وتوفي سنة ٩٣٨م (٥٠٠ هجرية).

[3] هو أبو نصر محمد بن طراخان الفارابي الفيلسوف الكبير. ولد في مدينة فاراب (وراء نهر سيحون) ونشأ ببغداد وثقف بها ونبغ في الموسيقى والمنطق والفلسفة وترجم كتب اليونان وأخصها كتب أرسطو. وذهب مذهبه وسار على منهاجه في طرقه الفلسفية وأشار إلى ما أغفله الكندي في مؤلفات ولا سيما في المنطق وأمره مع سيف الدولة مشتهر متواتر إذ أخرج من جعبته عيدانا وركبها ثم لعب بها فاضحك الحاضرين ثم

وأقسام الفلسفة وترجم آخرون مطلع العلوم ومفتاح العلوم والكيمياء والعقل والمعقول وغيرها من مؤلفات الفارابي الفيلسوف.

وترجم الأستاذ سكوت كثيراً من مؤلفات ابن رشد ومنها شرح السماء والعالم وشرح النفس والرجم والقوى الطبيعية وترجم له الأستاذ ارمنكو الكليات وشرح أرجوزة الرئيس وترجم آخرون بقية مؤلفاته ومنها استمد الافرنج ثقافتهم الفلسفية وترجم سكوت معظم مؤلفات ثابت بن قرة ومن الكتب المترجمة بأوروبا أيضاً:

كتاب اللاهوت ألفه جابر بن حيان[1] وترجمه الكريموني ومن مؤلفات ما شاء الله أحكام النجوم وأحكام القرانات والممازجات والدائرة والاصطرلاب وغيرها وقد ترجمها الاشبيلي ما عدا الدائرة فقد ترجمها الكريموني ومن المترجمات: الأنواء لابن العوام والجبر لأبي كامل حجا والشفق لابن الهيثم والهندسية لأولاد شاكر[2] والمختصر لسرابيون والزيج للزرقاني وصناعة جالينوس لابن رضوان وقد ترجم جميعها الأستاذ حيراردي كريموني.

ومن مؤلفات البلخي[3] كتاب الرمد وكتاب الاختبار وكتاب زهر النجوم وغيرها وترجم معظمها الاشبيلي إلى اللغات الأوروبية.

غير ضربها حتى أبكاهم ومؤلفاته قيمة ومنها السياسة والمدينتين وآراء أهل المدينة الفاضلة وغيرها من المؤلفات التي أشرنا إلى ترجمتها إلى اللاتينية ومذهبه في الفلسفة يشذ عن القواعد الإسلامية وربما كان هذا من اعتزاله الناس وأخذه أصول الفلسفة عن اليونان دون تطبيقها على الشريعة الغراء كما فعل غيره من فلاسفة المسلمين وكان قانعاً يكتفي بالكفاف وتوفي سنة ٣٣٩هـ.

[1] هو أستاذ الكيمياء ومبدعها في العصور العربية الذهبية وإليه تنسب صناعة التقطير والترشيح واختراع كثير من الأحماض كحامض النتريك والكحول وغير ذلك من فنون الصيدلة وذاعت شهرته في الأقطار الشرقية والغربية وترجمت مذكراته إلى اللغات اللاتينية وقد كان مولده سنة ٧٠٣ ووفاته سنة ٧٦٥ ميلادية.

[2] هم محمد وأحمد والحسن أولاد شاكر نبغوا في الهندسة والرياضة والفلك في عصر المأمون.

[3] عظيم من عظماء الدين والفلسفة والطب ولد بمدينة بلخ ونشأ بسمرقند واعتصم بالتصوف في أخريات حياته وتوفي سنة ٣١٩ هجرية.

وألف ماسويه[1] كتاب الجراحة والحميات والأقرباذين وغيرها وقام بترجمة معظمها فراغوث وكانت مصدراً للصيدلة في أوروبا وترجم الكريموني لإسحق الإسرائيلي[2] كتب الأغذية، والحدود والحميات والعناصر وأما كتاب البول فترجمه قسطنطين وترجم بتافينوس لابن زهر[3] كتاب التيسير والتدبير والزينة والتذكرة.

ومن عجب أن ينبغ في هذه الأسرة خمسة من كبار الأطباء الذين ذاع صيتهم في العالم الغربي والشرقي وهم: عبد الملك بن زهر الإشبيلي الذي ظهر بآرائه الجليلة ضد الحمامات ومضارها وأبو العلاء ابنه واسمه ابن زهر أيضاً الطبيب الأديب مؤلف الخواص والأدوية المفردة وأبو مروان ابن زهر الذي أشرنا إليه من قبل وولده الوزير الحكيم أبو بكر ابن زهر مؤلف الترياق الخمسيني وولده أبو المجد ابن زهر الحفيد وكلهم من فلاسفة الأندلس وأقطابها في الطب وعنهم أخذ الافرنج كثيراً وترجموا مؤلفاتهم ومن المؤلفات التي ترجمت ولم تزل بأوروبا مترجمة إلى اليوم:

كتاب تقويم الأبدان لابن جزلة ترجمه فراغوث .

كتاب الوباء لابن خاتمة الطبيب ترجمه باستور[4] وهو أول كتاب في الجراثيم الميكروبات .

كتاب البسائط لسرابيون ترجمه سمعان الجنوي .

---

[1] هو ماسويه المارندي العربي العجمي الذي درس الطب والفلسفة ببغداد وتخصص في الكيمياء والصيدلة وتوفي سنة ١٠١٥ ميلادية.

[2] هو إسحق بن سليمان الإسرائيلي المعروف بأبي يعقوب وله مؤلفات كثيرة غير ما أشرنا إليه هنا ومنها: بستان الحكمة والعلم الإلهي والمدخل إلى الطب والمدخل إلى المنطق والنبض والترياق والحكمة وغيرها وقد لازم خدمة عبيد الله المهدي الفاطمي خليفة افريقيه وتوفي سنة ٣٢٥ هجرية بعد أن عاش زهاء مائة سنة.

[3] ابن زهر هو الطبيب الصيدلاني الأندلسي واسمه أبو مروان بن الحفيد أخذ الطب عن أبيه وجده وكلهم نوابغ في هذا الفن وله مؤلفات قيّمة في الطب والتدبير والصيدلة وكان في خدمة دولة الملثمين بالأندلس محبوباً لديهم ولد بإشبيلية سنة ١١١٣ وتوفي بها سنة ١١٧٣ ميلادية.

[4] باستور العالم الفرنسي المتوفى ١٨٩٥م (رحلة الأندلس ص٤١).

كتاب العناصر الأربعة لابن رضوان[1] ترجمه كبير بأمر الفونس .

كتاب الصحة لابن بطلان[2] ترجمه فراغوث .

كتاب المدخل والزيج للخوارزمي[3] ترجمه أدلار الباطي

ومن مؤلفات التباني:[4] حركات النجوم ترجمه الطيبوري والقانون ترجم بأمر الفونس والزيج ترجمه الرتيني ومائة مسألة والأوتار في قياس المثلثات، وخط الاستواء وقد ترجمها آخرون بأوروبا.

ومن الكتب المترجمة كتاب الملكي لمؤلفه علي بن عباس[5] ترجمه قسطنطين وتذكرة الكحالين ألفها عيسى بن علي الطبيب وترجمها الجنوي وغيره ومن المؤلفات القيّمة كتاب فردوس الحكمة ألفه علي بن ربن الطبري[6] الفيلسوف الطبيب وانتفع به الرازي وغيره وترجم إلى عدة لغات افرنجية وفي عهد هذا المؤلف كان امتحان الأطباء في بغداد.

---

[1] علي بن رضوان المصري أستاذ الطب في منتصف القرن الخامس الهجري، وكان بنيه وبين ابن بطلان حوار شديد في الطب ومؤلفاته كثيرة قيمة.

[2] ابن بطلان هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان الطبيب المشتهر ألف نحو مائة وخمسين كتاباً في الطب وترجم معظمها وتوفي ٤٦٥ هجرية.

[3] الخوارزمي هو أبو محمد بن موسى الخوارزمي الطبيب الرياضي المتوفى سنة ٣٠٥ هجرية وإليه ينسب كثير من الجبر.

[4] هو محمد بن جابر الفلكي الرياضي الحراني التباني وهو الذي ابتدع استخدام الجيوب والأوتار في قياس المثلثات وكشف نقطة الذنب للأرض وأصلح في مواعيد الاعتدالين الصيفي والشتوي وأظهر مقدار دائرة البروج عن دائرة خط الاستواء وقد ترجمت كتبه إلى اللاتينية وشهد له الأستاذ الفلكي الفرنسي بأنه من أشهر فلكي العالم كله. وقال عنه الأستاذ هاليه إنه حجة وثقة عجيب التدقيق وكانت ولادته سنة ٢٤٠هـ ووفاته سنة ٣١٧هـ.

[5] علي بن العباس طبيب كبير وكتابه الملكي في عشرين جزاءً وترجم إلى اللاتينية وكان قانعا عالماً ماهراً توفي سنة ٩٩٤ ميلادية.

[6] على بن ربن الطبري فيلسوف كبير وطبيب معروف كان في خدمة الخليفة المتوكل وألف كتباً كثيرة أهمها فردوس الحكمة وكان كدائرة معارف طبية ولد بطبرستان ونشأ ببغداد وتوفي بها سنة ٢٦٥ هجرية.

ومن المؤلفات العظيمة كتاب الطبيعة وما بعدها لحجة الإسلام الغزالي[1] وقد ترجمه إلى اللاتينية كونديسا لفي كما ترجمت كتبه الأخرى إلى عدة لغات افرنجية.

ومن الكتب المفيدة كتاب النفس والروح وكتاب التعاويذ ألفها قسطا بن لوقا وترجم الأول الإشبيلي كما قام بترجمة الثاني فلينوف إلى عدة لغات أهمها اللاتينية.

ومن أمهات الكتب المنطقية كتاب المنطق الأكبر للسرخسي وقد ترجم إلى اللاتينية وغيرها بالأندلس وإيطاليا وباريس.

ومن المؤلفات الجليلة الاصطرلاب لابن الصفار وزاد المسافر لابن الجزار[2] وترجمة قسطنطين إلى اللاتينية كما ترجم غيره لابن الجزار كتاب الأدوية المركبة وكتاب العدة وكتاب قوت المقيم وهو عشرون مجلداً في الطب وكتاب الخواص وغيرها من الكتب الجليلة.

وألف البتروجي كتاب النصرانية والإسلام فترجمه سكوت، وصنف جابر بن أفلح كتاب المثلثات الكروية فترجمه علماء البندقية. وألف حسنين إيساغوجي في المنطق

---

[1] هو الإمام محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الاسفرايني الغزالي حجة الإسلام زين الدّين الطوسي الشافعي إمام عصره في الشريعة والتصوف والآداب والحكمة والفلسفة الدينية وكان مدرساً بمدرسة بغداد النظامية إلى سنة ٤٨٨ هجرية ثم تركها وقصد الحجّ ثم عاد إلى الشام فمصر وأقام بالإسكندرية طويلاً ثم لزم التأليف بعد أن عاد إلى طوس فألف الوسيط والوجيز والبسيط والخلاصة في الفقه ثم ألف كتاب الإحياء وقد ترجم إلى جميع لغات أوروبا في عصور مختلفة ومن مؤلفاته: المنخول والمنتخل والمستصفى والفلسفة ومعيار العلم ومحك النظر ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال والقسطاس وغيرها من المؤلفات القيّمة النافعة والأدبية المفيدة (ولد سنة ٤٥١١ وتوفي سنة ٥٠٥ هجرية) وكان يجيد اللغة الفارسية وألف فيها رسالة تسمى "أيّها الولد" ثم وصفها بالعربية ومال إلى الزهد في أخريات حياته.

[2] هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد الجزار القيرواني كان طبيباً نطاسيا وفيلسوفاً كبيراً ترجمه ابن جلجل ترجمة تدّل على عظيم شأنه وجليل مقامه وقد مدحه الشعراء ومنهم كشاجم، ومؤلفاته كثيرة منها الفصول في البلاغة والمكلل في الأدب والبلغة في الصحة وزاد المسافر وقوت المقيم في الطب والوباء ونصائح الأبرار والجذام والمجربات الطبية وإبدال الأدوية والتعريف وقد جمع فيه علماء زمانه وغير ذلك من الكتب العظيمة وصحب كثيراً من الملوك والحكماء وتوفي في منتصف القرن الرابع من الهجرة.

فترجمه الفرنسيون والأندلسيون وغيرهم من أوروبا كما ترجموا المادة الطبية لابن[1] البيطار.

وبينما كان إسمعيل يترنم بإلقاء بيانه ويهتز طربا بتبيانه إذ اعترضه هربرت وقال: إنكم تذكرون أسماء المؤلفين وكتباً لم استمع بهما وقد قضيت أزماناً طويلة في دراسة نوابع العالم وأمهات الكتب فهل لديكم حجة في الإفصاح أو قوة لزيادة الإيضاح؟

فنهض حسان وقال حقاً إنكم غيرتم أسماء بعض المؤلفين وحرفتم ألقابهم عن مواضعهم كما سأتلوه عليك:

Avicenne	فإن ابن سينا الرئيس تقولون عنه (أفِسِنْ)
Avirroes	وابن رشد تكتبونه بحروفكم (أفيروس)
Abuicasis	وأبو القاسم الزهروي تسمونه (أبلقسيس)
Algazel	والإمام الغزالي ترسمونه (الجزل)
Alhacem	وابن الهيثم ترمزون له (الهسم)
Avendaut	وابن داود ترقمونه (أفندوت)
Razes	والرازي تلقبونه (رزيس)
Aboumasar Abalachi	وأبو معشر البلخي (أبو مأسر أبلاتشي)
Avicebron	وابن جبريل تكتبونه (أفسبرون)
Abubacer	وأبو بكر بن طفيل (أبو بسر)
Avinpace	وابن باجة (أفنياك)
Ellchasen Ellimitar	وابن بطلان (الشسن المتر)

[1] ابن البيطار الأندلسي هو أبو محمد بن أحمد عبد الله الطبيب الصيدلاني العلامة في النبات وكانت مؤلفاته مصدراً للمادة الطبية في أوروبا ولد بضواحي ملقا وتوفي في دمشق سنة ١٢٤٨ ميلادية.

Avinzoar	وابن زهر (أفنزور)
Eben Guefith	ابن وافد تسمونه (ابن جيفث)
Canamusali	أبو القاسم الموصلي تقولون عنه (كناموسلي)
Arzachel	أبو إسحق الزرقالي تكتبونه (أرزتشل)
Saladin	صلاح الدين (سلادين)
Mira molin	أمير المؤمنين (ميرا مولين)
Banniere, Bandier, Bande	بند
Albogue	البوق (البوجو)
Manganueau	منجنيق[1] (منجنيو)
Feluca	فلوكه (فلوكا)
Darsina, Arsenal	دار الصناعة (درسينا) أو (أرسنال)

وهكذا إلى آخر ما بدلتم وغيرتم من الأعلام والأسماء بمسميات سميتموها أنتم وإخوانكم ما أنزل الله بها من سلطان ولكنها شاهدة عليكم بأنكم أخذتم من علومنا مصادر فنونكم وثقافتكم ومدنيتكم[2] ومجدكم الحاضر وهذه الأسماء وإن كانت محرفة فهي باقيّة إلى الأبد تخلد لنا الفخار وتشهد لنا في جميع الأمصار.

فسكت هربرت قليلاً كأنها أغشى عليه من الموت، وانبرى إسمعيل غاضبا قائلاً لقد قاطعتموني في الاسترسال في بياني الذي قاسيت الشدائد في الحصول عليه وهو يحوي بضع مئين من الكتب التي ترجمها الافرنج عن أسيادنا العرب على أن بياني هذا لا يوازي عشر معشار ما وصل إلى الافرنج من مختلف الأقطار العربية ولا

---

[1] هذه الألفاظ الثلاثة وإن كانت معربة عن الفارسية ولكنها صارت في حكم العربية وعنهم أخذها الافرنج محرفة كما ترى.

[2] The Great Events of History: p. 79.

سيما الأندلس التي نقلوا عنها الموسعات العلمية وترتيب دوائر المعارف وكيفية وضعها ووضع المعجمات التاريخية والجغرافية وعلوم النبات والرياضة ومن ذلك الجبر الذي لا يزال مستعملاً باسمه العربي عند الافرنج وهناك فرع خاص من الرياضة يسمى (الخوارزمي) Algorism نسبة إلى شيخ الرياضة الخوارزمي العربي وقد سبق أن أشرنا إلى الكيمياء والصيدلة وما ابتدعه العرب فيهما مما نقله الغربيون عنهم صناعة وعلما وتعليماً عن طريق الأندلس[1].

الاعتراف للعرب

ولما أفاق هربرت من سنته واستيقظ؛ فزع وتيقظ واستصرخ الحاضرين، كأن به مسّاً من الجن؛ وقال بصوت جوهري: كفى كفى أيها الفيلسوف. ففضل العرب ظاهر ومعروف.

وما هي إلاّ هنيهات صغيرة حتى دوى الحاكي الهوائي بصوته الجميل ناقلاً عن أحد الأدباء ما كان ينشد على لسان مجد العرب ويئن مما أصابه في دولة الأدب:

عطفا يا قوم إلى الشرق ∴ عجباً عجباً خير الخلق
أيليق بكم هجري بغضا ∴ وأنا أحتاج إلى الرفق
في هذا الوقت رأوا هجري ∴ وأنا الهادي خير الطرق
وأنا الهادي فضلاً وعلاً ∴ وأنا السامي فوق الأفق
يا قوم تعالوا كي أبقى ∴ علماً نوراً مثل الفلق
يا قوم أفيقوا كي أرقى ∴ وخذوا عبراً قبل الرقّ

فاهتز زهران وأنشد في الحال:

كيف المسعي يا بهجتنا ∴ أرنا طرق السعي الصدق
يا مجد متى يبدو فينا ∴ نور يهدينا للحق

وكان حسان قد وقف حركة الحاكي إبان ذلك ثم حركه فأتم ما كان ينقله على لسان مجد العرب:

---

[1] الأهرام ومحاضرة الأستاذ غاستون زنانيري في ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٤.

بالعلم وهجر الخلـف أرى ∴ فضلاً يحكي ضوء البـــرق
بمعاونـــة بمساعـــدة ∴ أسمـــو فيكم أهل الشرق

هاليفي عربي

وكـان مـا نطـق بـه أخـيراً جوابـاً لمـا استفسـر عنـه زهـران وتلـك مصـادفة حسـنة تلاهـا حضـور الأسـتاذ هاليفـا المستشـرق الفرنسـي الـذي اسـتمع البيتـين الأخـيرين وقـال عنـد دخوله: حقاً لقد نطق مجد العرب .

فـدوى المكـان بالتصـفيق والتهليـل وأقبـل الجمـع علـى هـذا المستشـرق الجليـل، وقـال حسان: وأين كنت يا بهجة العلم والأدب.

فأجابه هاليفا: لقد كان من شأني العجب.

فقال حسان: هكذا شأنك يا أمير هاليفا.

فقـال لا تقـل هاليفـا؛ فأنـا السـيد خليفـة؛ وهـذا هـو لقـب أسـرتي العربيـة، وقـد غـيرت في معالمـه الرطانـة الأعجميـة والأوضـاع الافرنجيـة؛ فجعلـوا خليفـة هاليفـا. وأغفلوا أنني كنت شريفاً.

فقال حسان: وكيف ذلك يا ذا السجايا الشريفة.

فقـال المستشـرق: فكـرت بعقلـي فعلمـت أصـلي. وأخـذت في البحـث والتنقيـب فعلمـت أني عـربي صـميم. لا بـل مـن أشـراف العـرب، ورجـالات الأدب، وهـا هـي شـارات الشـرف علـى قبعـتي كمـا تراهـا تكلـل رءوس أسـرتي ولنـا الشـرف العظـيم والمجـد الجسيم.

فقال حسان مرحى مرحى للأخ الكريم.

فتغيرت أطوار هربرت ودهش ثم قال: عجباً عجباً لهذا النبأ العظيم.

فقال السيد المستشرق: لا تعجب أيها الهمام. فنحن العرب الكرام ولقد نشأت من صغرى كريماً شفيقاً رحيماً، شجاعاً ذا نفس أبيه، وقريحة ذكية وروح زكية، بينما كنت أرى بعض إخواني في الانحطاط والتواني، والتقهقر والشقاق. ولا سيما في الاخلاق، بخلاف ما كنت عليه من الشيم؛ التي حملتني على البحث في تواريخ الأمم ولا سيما أجدادي العرب؛ حتى حزت النجاح والأدب؛ وبعد طيلة التنقيب؛ ظهر لي أمر عجيب؛ علمت منه أن العرب الكبار؛ افتتحوا من فرنسا إلى نهر لوار؛ ولما كانت بلدتي (تولوز) في ذلك السبيل؛ ظننت ظناً أدى إلى هذا البحث الجليل؛ خلت أني من سلالة العرب؛ لما جبلت عليه من الأخلاق والأدب؛ فكان البحث ثمينا؛ وصار الظن يقيناً؛ وأضحت المسألة جلية؛ وتأكدت أني من سلالة عربية؛ وبذا صرت أبحث عن نسبي؛ وعن مجدي وعن حسبي، فبدا لي ولأمثالي، أنى من ذلك النسب العالي، نسل الأشراف الكرام، حفدة عبد الرحمن بن هشام، واستترنا في بعض الحروب والفتوحات؛ شمالي جبال (البرنات)؛ فكان ما حدثتكم به من الآيات.

فقال حسّان: مرحباً بابن السادات.

وقال هربرت: إن هذه لإحدى المعجزات. وعلى هذا فأنا أول المعترفين بمجدكم المبين، وإن كان اليوم في حزن وأنين، يطلب منكم العطف والحنان والرفيق والاتحاد والأمان كما كنتم في قديم الزمان.

وعند ذلك بكى زهران؛ وتابعه المستشرق وحسان؛ وأخرجوا زفرات حارة، ونطقوا متحدين:

أماناً أماناً أيها المجد ينشـــــر ∴ فسارع إلى العرب الكرام ليظهــروا

وإن رجال الشرق جمعا تحالفـــوا ∴ وقاموا للقياك ابتهاجاً وشمـــــروا

وقاموا للقياك استماعاً وطاعـــة ∴ وقالوا لكم أهلاً وسهلاً وبشـــروا

وقالوا سلاماً للأمير وكـــرروا ∴ أماناً أماناً أيها المجد ينشـــــر

وبينمـا هـم ينشـدون؛ وإذا بالحـاكي الهـوائي (الراديـو) نطـق عـن لسـان المجـد، كأنـه كـان يجيـبهم؛ وكـأن الـذي كـان يلقنـه واقفـاً بالمرصـاد؛ طـوع إشـارتهم؛ يرتقـب إشـارة لإجابتهم، فقال على لسان مجد العرب:

إذا هبّ قومي للكمال وفكـــروا ∴ فإني لهم طول الزمان مبشـــرُ

وإني لهم طول الدهور مخلـــــد ∴ إلى أن يناموا عن لقائي ويبطـروا

فمالي بقـــــــاء في بلاد حزينة ∴ رأت موتتي حياً وقالت مقـدرُ

ألا ليت شعري هل سمعتم شكايتي ∴ لتعتبروا بالقول مني وتزجـــروا

فهبوا رجال الشرق بعد سباتكـم ∴ خذوا عبرة مما مضى وتحسّـــروا

خذوا عبرة من غربكم ومهـــارة ∴ كما أخذوا عنكم قديماً وفكـــروا

فكم أخذوا منا علوماً وحكمـــة ∴ وكم شربوا منا كؤوساً وعمّـروا

وكم نهبـوا كم أحرزوا من صناعة ∴ أضاءت بلاد الغرب حتى تنوّروا

أضاءت بأوروبا بلاد أو نبّهـت ∴ قواهم إلى مجد سما حيث ينشـــر

بلادي بلادي هل أموت بحسرة ∴ وانتم رجال العصر لم تتأثّـــروا

وأنتم رجالي من قديم وبهجتـي ∴ وفيكم رجائي وارتقائي سيظهر

فلا تَدَعُونِي لليالـــــــي فإنني ∴ أخـــاف عليكم من بلاد تدمّر

ولا تدعوني للأمانـــــي تقهقراً ∴ وأنتم ترون الغرب لا يتقهقـــر

ولا تضعوني في القبور مكفّنـــاً ∴ ولا تدفنوني بالحياة فتخســـروا

حرام عليكم أن أموت بفعلكـــم ∴ فهل من مغيث في البلاد يذكـرّ؟

وهل من مجير في الشدائد والردي ∴ يساعدني في رفع شأني وينظـــر

فإن أنتم لم تعملوا بنصائحـــي ∴ فكونوا كما شئتم ولا تتحيـّروا

ودونكمو باب النزول مفتحـــاً ∴ يريد بكم هذا السقوط فتغدروا

إلى سادة الأمصار انشر دعوتـي ∴ لعلي أرى باباً وإلاّ فأقبـــــر

سلام على شرق ومـــن ببلاده ∴ إذا نام أهلي عن لقائي وقصّروا

وأهلاً بشرق ثم أهلاً ومرحبـاً ∴ إذا هبّ قومي للكمال وشمّروا

ثم انصرف الجميع، وهم معجبون بهذا الحديث البديع وتأهبوا النشر المجد والجلال وقد ملئوا بالحماس وحسن الخلال. وتمسكوا بالاستقامة والكمال.

انتهى الحديث ويليه فذلكة في تاريخ العرب

فذلكة في تاريخ العرب

عصر الجاهليّة

الأمة العربية من أقدم الأمم مجداً ومدنية وتنسب إلى سام بن نوح عليه السلام، ومنها الأنبياء والرسل الكرام وآثارها تدلّ على أنها لم تكن بأقل من غيرها عظمة وحضارة. والعرب قسمان بائد – وتاريخهم يكاد يكون مجهولاً إلاّ ما أخبرنا عنه الوحي– وعارب وهم نوعان: عرب ومستعرب.

ومن الأولين الملوك الأول ورجالات الحضارة القديمة ومن الآخرين العرب الباقية ومنهم أبطال الإسلام وينسبون إلى إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام كما أن أولئك ينسبون إلى يعرب بن قحطان بن عابر (هود) عليه السلام. ومن العرب البائدة:

١) قبيلة ثمود وكانوا يسكنون شمالي المدينة ورسولهم صالح صاحب الناقة التي اعتدوا عليها فدمدم عليهم ربّهم وأهلكهم بعذابٍ شديدٍ.

٢) قبيلة عاد وكانت بالأحقاف ورسولهم هود الذي استكبروا عليه فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيّامٍ حسوماً.

٣) طسم وجديس. وكانوا في بلاد اليمامة (شرقي نجد) والحاكم فيهم من طسم وكان ظالماً طاغية خرق عادات العرب القديمة وخالف القوانين المتبعة وقضى لأبٍ بأخذ طفلٍ من أمه (هزيلة) فقال:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا ∴ فأبرم حكماً في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا ∴ ولا فهماً عند الحكومة عالما

فحلف ألاّ تُزوج بنت من بنات جديس إلاّ ويعتدي عليها قبل زفافها لبعلها وكان هذا داعيه لإثارة الحمية في جديس فقامت الحرب بينهما حتى بادتا.

العرب المتعربة

والعرب المتعربة قسمان كما ذكرنا آنفاً وهم قحطانيون سكان اليمن، وعدنانيون سكان الحجاز.

ومن القحطانيين بنو حمير والبابليون واللخميون والغسانيون والنبطيون، ومن العدنانيين قضاعة وأياد وأنمار وربيعة ومضر وغيرهم ممن ظهر مجدهم في الإسلام وتاريخ العرب غامض في الجاهلية وإن كان موسعاً فيه.

ولكنه لا يخلو من مبالغات تتداركها عقلاً في روايات الطبري والأصفهاني الذي جعل مدة حكم بعض الملوك في اليمن زهاء ثمانين ومائة سنة بيد أن ما أظهره المستشرقون ببلاد العرب من الآثار يكون مصدراً للتاريخ العربي القديم ومنه نستمد أنباءهم ممزوجة بما صح في أمهات التاريخ.

البابليون

وكانوا بمدينة بابل على نهر الفرات وهم أقدم ملوك العرب وأولهم: سامو الأول وكان قبل الميلاد بنحو ٢٤١٠ سنة وقد علَّم رعيته كيف يتجرون وخلفه سامو

الثاني الذي حث الناس الاتجار وحسن المعاملة، وجاء بعده سابوم فأميليسين فسينوبليت فحمورابي الذي كان قبل الميلاد بنحو ٢٢٨٥ سنة وقد أسس المدارس وسن القوانين واللوائح وكانت المرأة في عصره تساوي الرجل في الأعمال وتسير معه جنباً لجنب وذكر بعض المؤرخين أنه كان نبياً. وخلف من بعده شمسوايل وكان في عهده الخليل إبراهيم عليه السلام وجاء بعده أبيشع فعحي الأول فشمسو الثاني الذي حارب الصين.

العمالقة

تأسست هذه الدولة بالعراق وتفرق بعضها بين دجلة والفرات وأنشا الدولة البابلية ونزح الباقون إلى الأحقاف وكانت منهم قبائل صغيرة وآخرون وفدوا إلى مصر واحتلوها زهاء خمسة قرون وكان منهم: سلاطين قبل الميلاد بنحو ٢٢١٥ سنة وخلفه بيون فأباخنس فأبوفيس فبانياس فأسيس فأيابي فنوب الأول وفي عهده كانت السيارة التي اشترت يوسف عليه السلام وجاءت به إلى مصر ويعرف في كتب العرب بالريان.

النبطيون (ملوك بطرا)

وكانوا في الجنوب الشرقي من فلسطين وقصبة ملكهم مدينة بطرا المسماة بسلع في التوراة وهي بين غزة وتدمر وكانت لغتهم آرامية ومن أشهر ملوكهم: الحرث الأول وكان قبل الميلاد بقرن ونصف قرن وتحالف مع بطليموس السادس ملك مصر ثم خلفه زيد الله فالحرث الثاني فالثالث الذي فتح دمشق وحارب الرومان وخلفه عبادة الثاني فمالك الأول فعبادة الثالث ثم فيلو باترا وفي عهده ظهر المسيح عيسى عليه السلام ثم كان عهد مالك الثاني فسوتر ريبال وفي نهاية هذه الدولة ظهرت دولة أخرى كانت قاعدتها تدمر وقد خلفت آثاراً تشهد لملوكها

بالمجد والعظمة ومنها هيكل الشمس الذي يحيط به سور ارتفاعه خمسة وعشرون متراً وقد حمل الهيكل على ثلثمائة وخمسين عموداً وبجواره قصر الرواق الأعظم وبه ثمانمائة عمود ولكن التاريخ ضن علينا بملوك هذه الدولة فضاع ذكرها ضحية الحوادث الخفية ويظهر أن عمرها كان قصيراً.

الغسانيون

وكانوا في جنوب الشام وشرقيه وقد رحلوا من اليمن بعد السيل العرم ونصبوا أنفسهم عمالاً للروم في بلاد الشام بعد الميلاد بنحو قرنين ومن ملوكهم جفنة بن عمرو فثعلبة بن عمرو فالحرث الأول فجيلة فعمرو الثاني فالنعمان الأول وآخر ملوكهم جبلة بن الأيهم الذي تنصر في عهد عمر رضي الله عنه.

اللخميون

وكانوا في بلاد العراق عمالاً للعجم بعد الميلاد بنحو ٢٥٠ سنة وأولهم جذيمة الأبرص وخلفه عمرو بن عدي وهو ابن أخت جذيمة وقد عاصر زنوبيا (الزباء) وقصته معها مشتهرة وخلفه امرؤ القيس بن عمرو فعمرو بن امرئ وآخر ملوكهم إياس بن أبي قبيصة سنة ٦١٨ ميلادية.

ملوك اليمن

وكان تاريخهم مجهولاً حتى جاس المستشرقون ديارهم وكشفوا عن آثارهم فأزالوا بعض ما غمض منه ومن تلك الآثار قصر غمدان المؤلف من عشرين طبقة سقوفها من الرخام وعلى أركانه تماثيل السباع النحاسية التي يمر فيها الهواء بنظام

هندسي فيسمع صوته كزئير الأسد في الغابات. ومن أهم آثار اليمن الأسداد التي ابتدعوها لخزن المياه بنظام لا يقل عن النظم الحديثة وقد مهروا في الزراعة والتجارة والصناعة حتى فاقوا أهل عصورهم.

ومن الآثار الجليلة باليمن مدينة مأرب (وبار) التي كشفها الأستاذ أندريه مالرو الفرنسي في مارس سنة ١٩٣٤م بالطيارة وشهدها شاهقة مؤلفة من طبقات كالهرم ناصعة البياض كأنها من المرمر ولكن قاعدتها من حجر أسود وحولها سور متهدم. وإن كان المستشرقون أظهروا هذه الآثار فهم قد عجزوا عن الإخبار بأنباء ملوكهم على وجه مقبول عقلاً ولذا عولنا على ذكر بعض ملوكهم من أمهات التاريخ وخاصة من ابن الأثير والعبر وأبي الفداء وهم مجمعون على أن أولهم يعرب بن قحطان قبل الميلاد بنحو ثمانمائة وثلاثة آلاف سنة وخلفه ابنه يشحب فعبد شمس الذي بنى السد الكبير المعروف بسد مأرب المذكور في القرآن الكريم ويسمى هذا الملك أيضاً سبأ وجاء بعده حمير فوائل فيعفر وآخرهم الحرث الرائش.

ثم خلفهم الحميريون وكان من ملوكهم شمير عسن الذي افتتح العراق والمغرب حتى لقبوه بذي القرنين ومن هؤلاء الملوك بلقيس التي كانت في سنة ثنتين وثلاثين وثلثمائة ميلادية ومن أولئك أسعد أبو كرب الذي زعم المؤرخون أنه افتتح الأرض كلها وذلك بعيد عن العقل وانتهى أمر ملوكهم بذي جدن الحميري سنة ٥٣٢م.

العدنانيون

العدنانيون أبناء إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكانوا يقيمون حوالي الحجاز وتفرعت منهم الأصول الآتية:

١) قضاعة ومن بطونها جهينة التي احتلت مصر قبل الميلاد بخمسين سنة ومن بطونها أيضاً قبائل تنوخ وعمران وحلوان وسعد وسليح وعمرو والنمر وأسد وعوف وربان وكنانة وكلب.

٢) أياد وكانت في حروب عظيمة مع مضر وربيعة ثم أغار عليهم العجم ففرقوهم في الشام والروم وتكريت ولا تزال بقاياها بين دجلة والفرات جنوباً.

٣) ربيعة وأنمار وكانتا بالحجاز ومن ربيعة بنو بكر وتغلب ابنا وائل وكانت فيهما حرب البسوس ومن بطون ربيعة أيضاً جديلة وعبد القيس وأسد ووائل وبكر وصعب وكعب وعجل وثعلبة وشيبان وقيس ومرة ومالك وغيرهم ممن يزيدون عن ثلاثين قبيلة.

٤) مضر وكانت بتهامة ثم تفرقت في نجد واليمامة ومنها قبائل الياس وعيلان ومدركة وأسد وقيس وكنانة وعبس وذبيان وعطفان ومالك والنضر والحرث وتميم وهوازن وكعب وفهر (قريش) وحنظلة ومازن وبكر ومنبه وثقيف وصعصعة وعامر وكلاب وسفيان وعقيل وصفوان وزرارة وهاشم.

٥) كهلان وهم قحطانيون ولكنهم أقاموا بالشام ومنها طي والخزرج والأوس وخزاعة.

٦) كندة وهي فرع من كهلان ومنها ملوك كثيرون كحجر بن الحرث وشرحبيل وسلمة وغيرهم.

الحضريون في مكة

تحضر الكنانيون في مكة وهم فرع من ربيعة ومضر وأقاموا بها بعد الميلاد واختاروا لهم رؤساء على ملة الخليل إبراهيم ومن عهد حكيم (كلاب) وضح تاريخهم فقد استخلف حكيم قصيا الذي استعان بأقاربه من قريش على خلاص الكعبة والاستئثار برياستها وكان وديع الأخلاق موقرا في قومه رابط الجأش وخلفه عبد مناف الذي حدث في عهده خلاف أدى إلى أن تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف واللواء والحجابة لبني عبد الدار ثم خلفه هاشم فعبد المطلب وفي عهده

كانت واقعة الفيل وولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أبناء عبد المطلب عبد الله والد النبي محمد صلى الله عليه الصلاة والسلام.

العرب في عهد الإسلام
محمد صلى الله عليه وسلم

في القرن السادس من الميلاد كانت حالات العرب حالات مستقذرة تشمئز منها النفوس الطاهرة يئدون بناتهم ويجرون وراء شهواتهم ويعمهون في تيار ظلماتهم ويشربون الخمور ويشهدون الزور ولا يكترثون بالخطوب ولا يفرغون من الحروب حتى استنار الكون بطلعة المصطفى صلى الله عليه وسلم سنة ٥٧٠م ونشأ بين أحضان جده عبد المطلب في عزّ وشرفٍ ثم توفي جده في الثامنة من عمره فكفله عمه أبو طالب وذهب معه في تجارة إلى الشام فعرفه بحيري الراهب بعلامات ثابتة في الكتب القديمة وأوصى به عمه ولما بلغ أشده اتجر في أموال خديجة بنت خويلد وعهدت إليه بأموالها لما عرف به من الصدق والأمانة حتى كان خير حكم في وضع الحجر الأسود بمكانه في البيت الحرام بعد أن علا بين العرب الخلاف وكاد يحدث بينهم ما لا تحمد عقباه. ولما بلغ من العمر أربعين سنة كلمّه الله بالأخلاق الطاهرة وأوحى إليه بالشريعة الغراء و بعثه رحمة للعالمين في المعاش وفي المعاد وكان أول ما بدئ به في الوحي الرؤيا الصادقة ثم وافاه جبريل وألقى إليه سورة "اقرأ" فرجع من الغار خائفاً وبلغ خبره ورقة بن نوفل فقال هذا هو الناموس الذي كان ينزل على موسى وعيسى من قبل ثم أمر بإظهار الدعوة بعد أن كانت سراً وأنزل عليه قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [1] فطفق بعض النّاس يقبل على الإسلام وبعضهم يسعى في إيذائه عليه الصلاة والسلام والأكثرون كانوا مؤذين فهاجر إلى المدينة وقابله أهلها بالترحاب والتهليل والتكبير وجرى بين المسلمين والكفار غزوات بلغ

[1] سورة الحجر.

تعدادها زهاء سبع وعشرين غزوة ومنها غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الخندق أو الأحزاب وغزوة الفتح وغزوة تبوك ثم أرسل رسله وكتبه إلى الملوك فمنهم من آمن ومنهم من كفر ثم كانت حجة الوداع في السنة الحادية عشرة من الهجرة وعلى إثرها توفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ١٣ من ربيع الأول من تلك السنة (الموافق ٨ من يونيه سنة ٦٣٢م).

الخلفاء الراشدون

ثم خلفه الخلفاء الراشدون وأولهم أبو بكر الذي واصل إرسال الحبيش الذي جهزه النبي عليه الصلاة والسلام إلى الشام بقيادة أسامة بن زيد ورجع غانما منصوراً ثم حول قوته وعزيمته إلى محاربه المرتدين والمتنبئين ومانعي الزكاة الذين خرجوا عن الدين بعد وفاة سيد المرسلين ثم أرسل جيشاً لفتح العجم كما جهز آخر لفتح الشام وتوفي في جمادى الآخره سنة ١٣هـ.

وخلفه عمر بن الخطاب وكان شجاعاً قوياً متواضعاً زاهداً قانعاً وفي عهده فتحت بلاد العجم وأنشئت الكوفة وفتحت الشام وكانت في قبضة الروم بعد عدة وقائع عظيمة وفتحت مصر في السنة التاسعة عشرة من الهجرة. وأنشئت الدواوين في هذا العهد وإستعمل التاريخ الهجري ثم قتله لؤلؤة المجوسي سنة ٢٣هـ.

وقام بالخلافة بعده سيدنا عثمان فعزل ولاة سيدنا عمر وأبدلهم أقاربه فكانت الفتنة التي أدمت صدر الإسلام والمسلمين وانتهت بقتله سنة ٣٥هـ بعد أن فتح شمال إفريقيه ودنقله وبقية العجم. واشتد الخلاف بعد قتل عثمان وقام بعض أقاربه يطالبون بدمه يريدون الاستئثار بالخلافة دون علي كرم الله وجهه ولكنه انتصر عليهم بكثرة أنصاره وقوة عزيمته بعد وقعتي صفين والجمل ثم لجئوا إلى الحيلة والخداع برفع المصاحف تارة وطوراً بتحكيم الحكمين فاتسع الخرق وخرج الخوارج على المتنافسين وكان علي كرم الله وجهه ضحية أحد الخوارج في رمضان سنة ٤٠هـ.

ورضي الناس بعده بالحسن ابنه لكنه حقن دماء المسلمين وتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية.

الدولة الأموية ٤٠ – ١٣٢هـ

هذه الدولة تنسب إلى أمية بن عبد شمس القرشي وقد مكثت الخلافة فيها إحدى وتسعين سنة وتولى فيها أربعة عشر خليفة وأولهم معاوية بن أبي سفيان الذي جعل على مصر عمراً بن العاص ثم أنشأ أسطولاً بحرياً كبيراً ليرهب به الرومان في البحر وحاصر به القسطنطينية وفي عهده فتحت جزيرة رودس والجزائر وتونس ثم عهد بالخلافة لابنه يزيد سنة ستين من الهجرة وكان عهده اضطراباً إذ خرج عليه عبد الله بن الزبير والحسين بن علي الذي قتل في موقعة تدمي القلوب وتوفي يزيد سنة ٦٤هـ ووليه معاوية الثاني الذي عجز عن القيام بأعباء الخلافة فنفض يده منها وخلفه مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك بن مروان الذي جعل الحجاج والياً على العراق وحارب عبد الله بن الزبير.

وأخاه وقتلهما ثم توفي سنى ٨٦هـ وخلفه الوليد الأول وفي عهده فتحت سمرقند وبخارا والسند وبعض الهند والأندلس وعمر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وتوفي سنة ٩٦هـ وقام بالخلافة بعده أخوه سليمان الذي حاصر القسطنطينية للمرة الثانية وبدئ في عهده بالدعوة السرّية لبني العباس ثم توفي سنة ٩٩هـ وعهد بالخلافة لعمر بن عبد العزيز وكان ورعاً تقياً وعمل على جمع الأحاديث النبوية ثم توفي سنة ١٠١هـ ووليه يزيد الثاني الذي فتح بلاد الخرز وتوفي سنة ١٠٥هـ وجاء بعده هشام بن عبد الملك الذي حارب الترك وقد قوى أمر الجمعيات السرية لنشر الدعوة العباسية وتوفي هشام سنة ١٢٥هـ وخلفه الوليد الثاني فيزيد الثالث فمروان الثاني الذي انتهى الأمويين في عهده وظهر العباسيون بجيوشهم الجرارة بعد أن طاردوه إلى مصر وقتلوه بأبي صير في الجيزة سنة ١٣٢هـ.

الدولة العباسية سنة ١٣٢ ـ ٦٥٦هـ

وخلفاؤها سبعة وثلاثون خليفة وأولهم أبو العباس السفاح الذي وطد سلطان هذه الدولة وأباد الأمويين فظنت الروم أن الإسلام قد وهن واعتدت على بعض الثغور الإسلامية ولكنها عرفت قوته في عهد أبي جعفر المنصور ومن جاء بعده وتوفي السفاح سنة ١٣٦هـ وخلفه المنصور الذي أسس مدينة بغداد وبدد شمل الخوارج وقمع الفتن وثبت ملك العباسيين وتوفي سنة ١٥٨هـ.

وامتطى صهوة الخلافة بعده محمد المهدي الذي غزا الروم بنفسه وأراد حصار القسطنطينية فصالحه ملكها وارتضى دفع الجزية ثم عهد بالخلافة لولده موسى الهادي سنة ١٦٩هـ الذي عاجلة المنية سنة ١٧٠هـ وقام بالأمر بعده أخوه هرون الرشيد الذي استوزر يحيى بن خالد البرمكي وازدهرت المملكة الإسلامية وماتت ملكة الروم (ايريني) التي كانت تدفع الجزية للعباسيين وأراد خلفها نيقفور أن يتخلف عن دفع الجزية ولكنه عبثا حاول إذ أدبه الرشيد بقوة لا قبل له بها فدفع الجزية صاغراً وفي عهده فتحت الري وبعض بلاد الروم وخراسان ثم توفي سنة ١٩٣هـ وتولى بعده الأمين وكان على خلاف مع أخيه المأمون الذي قام بأعباء الخلافة بعد قتل أخيه سنة ١٩٨هـ وفي عصره ازدهر الأدب وانتشر العلم والثقافة وترجمت مؤلفات كثيرة من اليونان والرومان والعجم وتقدمت الصناعة والزراعة والتجارة وافتتحت صقلية وبعض بلاد الروم ثم توفي سنة ٢١٨هـ وعهد بالخلافة بعده لأخيه المعتصم الذي جعل مواليه وحاشيته من الترك فقويت شوكتهم بعده وكانوا ملوكاً، ثم فتح عمورية وغزا الروم وبعض الصين وتوفي سنة ٢٢٧هـ، وخلفه خلفاء كان أمرهم ضعيفاً حتى قوي أمر غيرهم وأنشئوا دولاً إسلامية، وأول أولئك الخلفاء العباسيين بعد المعتصم هرون الواثق، فجعفر المتوكل سنة ٢٣٢هـ، فالمنتصر سنة ٢٤٧هـ، فالمستعين سنة ٢٤٨هـ، فالمعتز سنة ٢٥٢هـ، فالمهتدي سنة ٢٥٥هـ،

فالمعتمد سنة ٢٥٦هـ، فالمعتضد سنة ٢٧٩هـ، فالمكتفي سنة ٢٨٩هـ، فالمقتدر سنة ٢٩٥هـ، فمحمد القاهر سنة ٣٢٠هـ، فالراضي سنة ٣٢٢هـ، فالمتقي سنة ٣٢٩هـ، فالمستكفي سنة ٣٣٣هـ، فالمطيع سنة ٣٣٤هـ، فالطائع سنة ٣٦٣هـ، فالقادر سنة ٣٨٧هـ، فالقائم سنة ٤٢٢هـ، فالمقتدي سنة ٤٦٧هـ، فالمستظهر سنة ٤٨٧هـ، فالمسترشد سنة ٥١٢هـ، فالراشد سنة ٥٢٩هـ، فالمقتفي سنة ٥٣٠هـ، فالمستنجد سنة ٥٥٥هـ، فالمستضئ سنة ٥٦٦ هـ، فالناصر سنة ٥٧٥هـ، فالظاهر سنة ٦٢٢هـ، فالمنصور المستنصر سنة ٦٢٣ هـ، فالمستعصم سنة ٦٤٠هـ، وفي عهده كان انتهاء دولة بني العباس سنة ٦٥٦هـ هجرية إذ هجم عليهم التتار فقتلوا الخليفة وزالت تلك الدولة والملك لله وحده.

الدولة الطولونية

وهي دولة مستعربة أسسها أحمد بن طولون بمصر سنة ٢٥٨هـ وأنشأ مسجده الشهير بها وفتح الشام وآسيا الصغرى وغزا الروم وسيلسيا وتوفي سنة ٢٧٠هـ وخلفه خمارويه ابنه فجيش بن خمارويه فهرون فشيبان بن أحمد الذي انقرضت في عهده هذه الدولة سنة ٢٩٢هـ.

الدولة الإخشيدية

وهي دولة إسلامية مستعربة أسسها محمد بن طغج الإخشيد سنة ٣٢٤هـ بمصر وفتح سوريا ودبر ملكة بوساطة مولاه كافور المشتهر ثم توفي محمد سنة ٣٣٤هـ مستخلفاً ولده الصغير أنوجور برعاية كافور وفي عهده فتحت دمشق والنوبة وتوفي سنة ٣٤٩هـ وخلفه أبو الحسن علي الذي رد الروم عن الشام وتوفي سنة ٣٥٥هـ

وقام بالأمر من بعده كافور سنة ٣٥٥هـ ثم أبو الفوارس بن علي وكان على يديه سقوط هذه الدولة سنة ٣٥٨هـ هجرية.

الدولة الفاطمية

وهذه دولة عربية أصلية فقد أثبت المؤرخون نسبها إلى جعفر الصادق وفاطمة الزهراء وعزز دعواهم ابن خلدون والمقريزي وابن الأثير وقد نشأت هذه الدولة ببلاد المغرب سنة ٢٦٩هـ وقام بها محمد بن عبد الله بن ميمون المنتهي نسبة إلى جعفر الصادق وخلفه بافريقيه ولده عبد الله المهدي فعبيد الله الذي حاول فتح مصر ورد الروم عن افريقيه وحماها بهمته ثم خلفه المعز لدين الله الفاطمي ففتح مصر سنة ٣٥٨هـ بتدبير مولاه جوهر الرومي (الصقلي) الذي أنشأ القاهرة سنة ٣٥٩هـ وابتني الجامع الأزهر وحارب القرامطة ودولة بني بويه وخلفه العزيز بالله فالحاكم بأمر الله سنة ٣٨٦هـ فولده الظاهر سنة ٤١١هـ فالمستنصر سنة ٤٢٧هـ وكانت مجاعة في عهده ثم خلفه المستعلى فولده الآمر سنة ٤٩٥هـ فالحافظ بن محمد سنة ٥٢٤هـ فابنه الظاهر سنة ٥٤٤هـ فالفائز سنة ٥٤٩هـ فالعاضد سنة ٥٥٦هـ وفي عهده دالت دولته سنة ٥٦٧هـ.

الدولة الأيوبية

وهي دولة مستعربة أنشأها يوسف صلاح الدين الأيوبي بمصر سنة ٥٦٧هـ وهو الذي حارب الصليبيين في عدة مواقع وكان في حروبه مكللاً بالنصر والفوز فألبس الإسلام تاجا وهيبة ووقارا حتى خشي بأسه الفرنج وأنشأ قلعة القاهرة وأصلح الطرق والجسور وفتح الشام وبيت المقدس واسترده من أيدي الصليبيين وتوفي سنة ٥٨٩هـ، وخلفه العزيز، فالمنصور سنة ٥٩٥هـ، فالعادل سنة ٥٩٦هـ، فالكامل سنة

٦١٥هـ، فالعادل الثاني سنة ٦٣٥هـ، فالصالح سنة ٦٣٧هـ، وفي عهده تم النصر له ولأنصاره على الصليبيين وخلفه ولده المعظم الذي أسر في عهده لويس التاسع ملك فرنسا بالمنصورة وانقضى عهد الأيوبيين سنة ٦٤٨ هجرية.

الأندلس

وهي مملكة عربية فتحها الأمويون في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٩٢هـ، بجيش لا يزيد عن اثني عشر ألفا ولكنه كان يتوقد ناراً وحمية بعزيمة قائده طارق بن زياد الذي أغرق الأسطول الذي كان يقله وجيشه ويقل جيشه وقال لهم: العدو أمامكم والبحر وراءكم فاندفع الجيش إلى الأمام لا يبالي الموت الزؤام وفتح الأندلس التي بقيت تابعة للأمويين وللعباس السفاح في صدر الدولة العباسية ولما هرب بعض الأمويين إبان أن فتك بهم العباسيون في عهد أبي جعفر المنصور نزحوا إلى الأندلس وكونوا لهم حزبا قويا برياسة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ثم استفحل أمر الحزب وصار دولة قوية واستقل عبد الرحمن بالأندلس سنة ١٤١ هجرية وأقام بقرطبة وتبعه خلفاؤه إلى سنة ٣٠٠هـ، وهو عهد عبد الرحمن الناصر الذي طال حكمه ولقب بأمير المؤمنين وبلغت مدينة الأندلس في عصره مبلغاً عظيماً واستمرت في مجدها إلى ما بعد منتصف القرن الرابع ثم حدث فيها اضطراب سنة ٤٢٢هـ، في عهد أمية بن عبد الرحمن أدى إلى أن يتنازع الخلافة العلويون وبقي هذا الاضطراب وتلك الفتن حتى انقسموا إلى جامعات وحكم كل منهم إقليماً وعرفوا بملوك الطوائف فدخلهم الضعف وتمرد الافرنج عليهم وبدءوا يناوئونهم العداء من آن إلى آن حتى أجلوهم عن بلادهم في آخر القرن السابع عشر للميلاد ومن الأندلس استمدت أوروبا حضارتها ومدنيتها وثقافتها ويقظتها.

الدولة العثمانية

وهي دولة مستعربة مسلمة أسسها عثمان الأول في القرن السابع من الهجرة وأصلهم صيني وقد وفدوا إلى بلاد التركمان وعرفوا بالشجاعة والمحافظة على الدين وأولهم: عثمان الأول الذي تولى الملك سنة ٦٩٩هـ، وافتتح عدة بلاد في آسيا الصغرى وتولى عقبه أورخان الأول سنة ٧٢٦هـ، الذي أكثر من الفتوحات بآسيا وقوى جيشه وخلفه مراد الأول سنة ٧٦١هـ، فنقل ملكه إلى أدرنة بعد أن فتح البلغار وسلانيك، وامتطى صهوة الملك بعده بايزيد الأول سنة ٧٩١هـ، فحارب فرنسا وألمانيا والنمسا وانتصر عليهم ووليه محمد جلبي سنة ٨٠٤هـ، فمراد الثاني سنة ٨٢٤هـ، وقد حاصر القسطنطينية وفتح ألبانيا وخلفه محمد الفاتح سنة ٨٥٥هـ، وهو الذي فتح القسطنطينية واليونان.

وتولى بعده بايزيد الثاني سنة ٨٨٦هـ، فسليم الأول سنة ٩١٨هـ، الذي فتح العجم ومصر والشام وتسلم الآثار النبوية من آخر خلفاء العباسيين وخلفه سليمان القانوني سنة ٩٢٦هـ، الذي اخضع العصاة في الأقطار الشرقية وافتتح البحر والقوقاز وتونس وجزائر البحر المتوسط وعدن وعمان وتولى بعده سليم الثاني سنة ٩٧٤هـ، فافتتح قبرص ووليه مراد الثالث سنة ٩٨٢هـ، الذي فتح مراكش وازربيجان والجركس وخلفه محمد الثالث سنة ١٠٠٣هـ، فأحمد الأول سنة ١٠١٢هـ، فمصطفى الأول سنة ١٠٢٦هـ، فعثمان الثاني سنة ١٠٢٧هـ، فمراد الرابع سنة ١٠٣٢هـ، فإبراهيم الأول سنة ١٠٤٩هـ، وقد أتم فتح كريد وخلفه محمد الرابع سنة ١٠٥٨هـ، وكانت الفوضى والاضطرابات في عهده ثم تولى سليمان الثاني سنة ١٠٩٩هـ، فأحمد الثالث سنة ١١٠٢هـ، فمصطفى الثاني سنة ١١٠٦هـ، الذي حارب الروسيا والنمسا ولكن أوروبا لم تنصفه في نصرته وفوزه وخلفه أحمد الثالث سنة ١١١٥هـ، فمحمود الأول سنة ١١٤٣هـ، فعثمان الثالث سنة ١١٦٨هـ، فمصطفى الثالث سنة ١١٧١هـ، وهو الذي حارب الروسيا وانتصر عليها وخلفه

عبد الحميد الأول سنة ١١٨٧هـ، وقد انتصر على روسيا أيضاً ثم كان عهد سليم الثالث سنة ١٢٠٣هـ، وقد تكاتفت الدول الأوروبية على محاربته وإضعافه وجاء بعده مصطفى الرابع سنة ١٢٢٢هـ، فمحمود الثاني سنة ١٢٢٣هـ، وقد كثرت الحروب والاضطرابات بالشرق والغرب في عهده، وكان عصر عبد المجيد سنة ١٢٥٥هـ، فاستقلت مصر فيه وانتصرت روسيا وقصت أجنحة بني عثمان ثم خلفه عبد العزيز سنة ١٢٧٧هـ، فمراد الخامس سنة ١٢٩٣هـ، فعبد الحميد الثاني سنة ١٢٩٣هـ، فاستقلت الصرب وكريد والبلغار وانتصرت روسيا وأنشئ الدستور العثماني وتولى محمد رشاد الخامس سنة ١٣٢٧هـ، وكانت فتن وحروب وقلائل داخلية وخارجية وأعقبتها الحرب العظمي سنة ١٣٣٢هـ، (سنة ١٩١٤م) ودخلت تركيا في الحرب مع ألمانيا والنمسا وحضر الخلفاء (فرنسا وانكلترا وإيطاليا) بجيش بحري عظيم لفتح القسطنطينية فهزموا شر هزيمة ثم تولى محمد عبد المجيد سنة ١٣٣٧هـ، وتجمع الحلفاء في شخص اليونان لمحاربة بني عثمان فانبرى للدفاع البطل المقدام مصطفى كمال وحمى دولته وأسس جمهوريته الجديدة سنة ١٩٢٣م وفاز بالنصر التام ثم توفي سنة ١٩٣٨م.

دول مستعربة

وقد ظهر في العالم الشرقي دول أخرى مستعربة افتتحت بلاداً كثيرة ومنها دولة المماليك بمصر سنة ٦٤٨هـ، والملثمين بمراكش سنة ٤٠٠هـ، والموحدين بها سنة ٥١٤هـ. وبني حفص بتونس سنة ٦٠٣هـ، وبني وطاس بمراكش سنة ٨٧٦هـ، وبني مرين بالمغرب سنة ٦١٠هـ، والزيارية بتركستان سنة ٣١٦هـ، والحمدانية بشمال الجزيرة سنة ٣١٧هـ، والبوهية ببلاد العجم سنة ٣٢٠هـ، وبني الأغلب بطرابلس سنة ٢٤٨هـ، والأدارسة بمراكش سنة ١٦٩هـ، وآل سبكتكين بآسيا وغيرهم ممن

جاهـدوا في الله حـقّ الجهـاد وافتتحـوا كثـيراً مـن الـبلاد ثم الحملـة الفرنسـية فالأسـرة العلوية المحمدية المالكة الآن.

معجم للأسماء التي بهذا الكتاب

- ابن سينا طبيب عظيم وفيلسوف كبير توفي سنة ٤٢٨هـ.
- أجنـادين مدينـة علـى مقربـة مـن بيـت المقـدس وكانـت بهـا وقعـة عظميـه في الفـتح الإسلامي سنة ١٤ هـ.
- الأدارسة دولة كانت بمراكش سنة ١٦٩ – ٣١٣هـ.
- الإدريسي هو الشريف العلوي العالم الجغرافي المتوفي سنة ٥٧٠هـ.
- أديسون مخترع أمريكي عظيم توفي سنة ١٩٣٣م.
- أذربيجان بلاد في الجنوب الغربي لبحر قزوين (الخزر) بآسيا .
- ارباط ملك الكرك والشوبك وشقيق الملك جفري سنة ٥٨٠هـ.
- اربل مدينة أثرية على نهر دجلة شرقي بغداد.
- أرسطو فيلسوف إغريقي توفي قبل الميلاد نحو ٣٢٢ سنة.
- أرنو مؤرخ أثري فرنسي كشف آثار اليمن سنة ١٨٤٣.
- اصطخر مدينة كبيرة في وسط بلاد العجم.
- اصطلاب آلة يعرف بها مواضع الكواكب ومواقعها وأبعادها.
- أصفهان مدينة في وسط بلاد العجم.
- الأصمعي نسابة راوية عربي كان في صدر الدولة العباسية.

- أفسوس مدينة جنوبي أزمير على البحر الأبيض المتوسط.
- أفغانستان مملكة مستقلة بين الهند والعجم بآسيا.
- أفلاطون فيلسوف أغريقي توفي قبل الميلاد بأربعة قرون.
- أفوسون مدينة في جنوب فرنسا لجأ إليها العرب في حروب شارل مارتل.
- أقرباذين أعمال الصيدلة والكيمياء وتجهيز العقاقير.
- الأنبار بلاد في شمال الكوفة على نهر الفرات.
- الأندلس مملكة عربية أسسها بنو أمية سنة ١٣٩هـ — ٧٥٦هـ بعد الفتح.
- أوجيبي لغة من لغات الهند القديمة.
- أياد بلاد عربية بين دجلة والفرات نحو الجنوب وهي من الأصول العدنانية.
- إيريني ملكة الروم في عهد الرشيد وكانت تدفع له الجزية.
- إيلان بلاد على نهر سيحون شمال شرقي الصفد بآسيا.
- بابل أطلال مدينة عظيمة كانت بين الكوفة وبغداد على نهر الفرات.
- باستور عالم فرنسي عظيم توفي سنة ١٨٩٥م.
- بترارك شاعر فيلسوف إيطالي ومن أنصار العرب.
- بخارا مدينة جنوب شرقي خوارزم من بلاد الصفد بآسيا.
- البرنات جبال بين فرنسا واسبانيا بأوروبا.
- بسطام مدينة جنوب شرقي بحر قزوين.
- بطرا مدينة غربي الشام وهي أطلال سلع القديمة.
- البراهمة دين بعض الهنود بآسيا.
- بلنسية مدينة شرقي اسبانيا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.
- بحر الروم هو البحر الأبيض المتوسط.
- بحر القلزم هو البحر الأحمر وهو خليج العرب.
- بحر بنطش هو البحر الأسود بين أوروبا وآسيا.

- بحر طبرستان هو بحر قزوين (قسبين) بآسيا.
- بحر الخزر هو بحيرة أورال بآسيا.
- برستد أستاذ أثري بأمريكا توفي في ديسمبر سنة ١٩٣٥م.
- بلخ مدينة بأرض جورجان شمالي السند وجنوبي جيحون بآسيا.
- بني الأغلب دولة كانت بطرابلس سنة ٢٤٨ – ٣٥٧هـ.
- بنو المعين ملوك دولة كانت بالجوف في الجنوب الشرقي لصنعاء باليمن.
- بواتية مدينة في جنوب نهر لوار بفرنسا وكان في شمالها موقعة كبرى بين العرب وشارل.
- البوذية دين معظم الصين.
- البوهية دولة إسلامية كانت ببلاد العجم سنة ٣٢٠ – ٤٤٧هـ.
- بيلرن إقليم في جنوب فرنسا.
- بيكند مدينة على نهر جيحون جنوبي بلاد خوارزم بآسيا.
- بيهق بلاد في الجنوب الشرقي البحر قزوين بآسيا.
- بيسان مدينة عظيمة جنوبي بيت المقدس فتحها المسلمون سنة ١٥هـ.
- تبابعة ملوك اليمن قديماً.
- تركستان مملكة في وسط آسيا.
- تدمر مدينة أثرية في الشمال الشرقي لدمشق (وهي أطلال).
- تكريت مدينة على نهر دجلة شمال بغداد.
- تولستوي فيلسوف روسي عظيم توفي سنة ١٩١٠م.
- تويم لفظ أوجيبي هندي يراد به كائنات حيّة مقدسة عند الأمم المتوحشة.
- التيمس نهر ببلاد الإنجليز.
- جفري ملك من ملوك الفرنجة كان يحمي القدس في الحرب الصليبية سنة ٥٨٣هـ.

- جرجان مدينة شمال شرقي بسطام وجنوب شرقي قزوين بآسيا.
- جورجان بلاد شمال أفغانستان والسند بآسيا.
- جَيَّان مدينة شرقي قرطبة وشمال غرناطة بالأندلس.
- جيحون نهر عظيم بآسيا يصب في بحيرة أورال (الخزر).
- بني حفص دولة كانت بتونس سنة ٦٠٣ – ١٢٠٦هـ.
- الحمدانية دولة إسلامية كانت شمال البحرين سنة ٣١٧ – ٣٩٤هـ.
- الحيرة بلاد على الفرات شمال الكوفة.
- الحوارث ملوك اليمن قديماً.
- خوارزم بلاد في جنوب بحيرة أورال على نهر جيحون.
- الخزر بحيرة أورال وهي أيضاً بلاد في جنوب البحيرة.
- داروين فيلسوف إنجليزي توفي ١٨٨٢م.
- الدنوب أو الطونة نهر في الجنوب الشرقي لأوروبا.
- ديبوي رئيس أساقفة باريس سنة ١٩٢٥م.
- ديلم بلاد في الجنوب الغربي لبحر قزوين (طبرستان).
- (ذو) وجمعه أذواء ملوك كانوا باليمن قديماً.
- ذوقار مدينة على نهر الفرات جنوب الكوفة أطلال.
- رستم كبير المرازبة في بلاد العجم والقائم بالمملكة الفارسية ولي بزدجرد سنة ١٣هـ وكان قائد الجيش.
- رصافة اسم لمدينتين جميلتين غربي الكوفة.
- رغدان مدينة شمال عسير وجنوب شرقي مكة.
- الرقة مدينة وبلاد كانت شمال شرقي الفرات.
- روبنصن اسميث مؤلف إنجليزي كان متعصباً ضد الأنساب.

- ريكارد (رتشارد) أو قلب الأسد ملك الإنجليز بعد هنري الثاني توفي سنة ١١٩٤م.
- الري مدينة في جنوب بحر قزوين.
- رينولد نيكولسن أستاذ مؤرخ بجامعة كمبريدج سنة ١٩٠٩م.
- الزهراء مدينة جميلة على بضعة أميال من قرطبة بالأندلس اسبانيا.
- الزيارية دولة إسلامية كانت حوالي بحر قزوين سنة ٢١٦ – ٤٣٤هـ.
- سامرا أو سر من رأى أنشأها المعتصم شمال بغداد على نهر دجلة.
- سلع هي أطلال مدينة بطرا غربي الشام.
- السامانية دولة إسلامية كانت بين الصين والعجم سنة ٢٦١ – ٣٨٩هـ.
- سجستان بلاد شمال بلوجستان بآسيا وجنوب أفغانستان.
- سيحون نهر في وسط آسيا.
- شرانت إقليم في جنوب فرنسا.
- شرلمان ملك فرنسا في عهد الرشيد.
- الشاش بلاد في غرب الصين على نهر سيحون وشرقي تركستان بآسيا.
- الصفد بلاد بين سيحون وجيحون غربي الصين بآسيا.
- صفين مدينة جنوبي الرقة على نهر الفرات.
- طبرستان بلاد جنوب بحر قزوين وشمال العجم.
- طبرستان بحر قزوين.
- طبرية مدينة شرقي بصري بالشام.
- طوران بلاد في الجنوب الشرقي لبلوجستان بآسيا.
- عسير بلاد بين الحجاز واليمن ببلاد العرب.
- عمالقة هم عرب الهكسوس أو الشاسو الذين فتحوا مصر قديماً سنة ٢٢١٤ق م.

– عمورية مدينة كانت في وسط آسيا التركية وكانت أمنع بلاد الروم قديماً.

– غلازر مستشرق ألماني كشف آثار اليمن في القرآن الماضي.

– الفتشيه دين إفريقية قديماً ولا يزال ببعضها الآن.

– فاراب بلاد على نهر جيحون شمال السند بآسيا.

– فرغانة بلاد غربي الصين على نهر سيحون وشرقي تركستان بآسيا.

– فينا قصبة النمسا بأوروبا.

– الفيرزان من كبار رؤوس العجم القائمين بالملك حتى استخلف يزدجرد سنة ١٣هـ.

– قرطبة مدينة كبيرة في جنوب اسبانيا (وهي أندلسية).

– القادسية مدينة على بحيرة صغيرة في جنوب الكوفة بآسيا.

– قاشان مدينة كبيرة من بلاد فرغانة غربي الصين.

– قنسرين بلاد بين حمص وأنطاكية بفلسطين.

– كانت فيلسوف ألماني توفي سنة ١٨٠٤.

– كشمير بلاد في شمال الهند بآسيا.

– كشغر مدينة في غرب الصين كانت منتهى الفتوحات العباسية بآسيا.

– الكرج بلاد في جنوب القوقاز بآسيا.

– الكردستان بلاد في الشمال الشرقي لبغداد على نهري دجلة والفرات.

– كرمان بلاد في جنوب العجم بآسيا.

– كش مدينة في جنوب سمرقند من بلاد الصفد غربي الصين.

– كروتند مستشرق إنجليزي ارتاد بلاد اليمن لكشف آثارها من سنوات.

– كوكان قبائل بافريقيه جنوب خط الاستواء.

– لويس التاسع ملك فرنسا في عهد الحروب الصليبية في القرن السابع من الهجرة.

- ما وراء النهر بلاد في جنوب فرغانة وغربي الصين حوالي سيحون وجيحون.
- المدائن بلاد ومدينة في الجنوب الشرقي لبغداد على نهر دجلة.
- بني مرين دولة كانت بمراكش سنة ٦١٠ – ١٢١٣م.
- الملثمين دولة عربية كانت بمراكش الأندلس سنة ٤٠٠ – ١٠٠٩هـ.
- مأرب (وبار) قصة سبأ باليمن.
- الموحدين دولة إسلامية كانت بمراكش سنة ٥١٤ – ١١٢٠هـ.
- مكران بلاد في جنوب بلوجستان بآسيا.
- ملقا هي شبه جزيرة الملايو بآسيا.
- مدريد (مجريط) قصبة اسبانيا بأوروبا.
- مرسيه مدينة في الجنوب الشرقي لإسبانيا.
- نبيج مدينة على الكوفة قرب الفرات وبالشام.
- نورمندة إقليم شمال فرنسا.
- هاليفي مستشرق فرنسي كشف آثار اليمن سنة ١٨٦٩م.
- الهرمزان أحد بيوت الملك السبعة بالعجم قتل سنة ٢٣هـ.
- هوازن قبيلة عربية بين مكة والطائف.
- وولستد مستشرق إنجليزي كشف آثار اليمن في القرن الماضي.
- بني وطاس دولة كانت بمراكش سنة ٨٧٦هـ أو ١٤٧١م.
- اليرموك واد يصب في نهر الأردن بالشام.
- ياسر النعم ملك من كبار ملوك اليمن في العصر الجاهلي.
- يزدجرد ملك العجم في الفتح الإسلامي تولى سنة ١٢ هجرية وسنة ٢١ سنة وقتل سنة ٣١هـ.

مؤلفات مؤلف

كرس المؤلف حياته من بضع وعشرين سنة صالح محمد فارس للتأليف فأبرز كثيراً من المؤلفات وأهمها ما يأتي:

١) **الإنسان والحياة**

وهو كتاب يبحث عن الجسم والروح والعقل وما يتعلق بها من القوانين الصحية وآراء الفلاسفة الأقدمين والحديثين في النفس والأخلاق والطبع والتطبع والميول والآراب والانفعالات النفسانية والعقل وقواه ومنشأ الإنسان والسر في وجوده وغير ذلك من المواضيع الهامة وقد طبع مرتين الأولى سنة ١٩١٣ والثانية سنة ١٩١٩.

٢) **بستان البدائع**

كتاب جمع بين دفتية الجماد بنوعيه والسائل وما ينجم عنهما بالتفاعل الكيميائي كما يحتوي على الصناعات الضرورية وقد خص الجزء الثاني بالحيوان والثالث بالنبات وطبع الجزء الأول منه غير مرة.

٣) **اليواقيت النباتية**

سفر أسفرت نتيجة عن عدة أبواب غاصة بالمبادئ النباتية وطبقات الأرض (الجيولوجيا) وأنواع الأراضي الزراعية وزراعة الأشجار والنبات والخضر وفن البيطرة

والحشرات والمواقيت الزراعية وقد اشترك في وضعه مع حضرة عثمان أفندي شكري المتخرج في مدرسة الزراعة العليا وطبع عدة مرات.

٤) أسرار القرآن

نموذج عجيب في تفسير قلب القرآن الشريف إفراديا وتركيبيا وبحثيا مع ارتباط آياته بالفنون والعلوم العصرية وشرح غريبة وقد طبع مرتين.

٥) تاريخ الشرقية

ولما كانت إقامة المؤلف بمديرية الشرقية زهاء عشرين سنة فقد أخرج لها تاريخاً مجيداً متصلاً بمجدها المؤثل في غابر الزمن وحاضره مستمدا من ثلاثمائة مرجع تاريخي غير الآثار والوثائق والمصورات والرحلات والصحف والمجلات وقد حوى تراجم غطارفها قديماً وحديثاً فكان خير ذخيرة لأبناء الشرقية في نحو ألف ومائتي صفحة وسيظهر قريباً إن شاء الله.

٦) مجد العرب

وبما أن هذا الكتاب خاص بالعرب الذين تكونت منهم الأمم الشرقية فقد أضحى كنبراس للعرب وخاصة مصر والشام والجزيرة العربية والعراق بعد طبعة منقحاً للمرة الثالثة.

٧) أسرار المغناطيسية

ولما كانت النفوس تواقة إلى الخوارق والقوى الخفية فقد أبرز المؤلف كتاباً قيّماً في المغناطيسية الحديثة وتاريخها وتجاربه واختبارات غيره من كبار الفن واتصال هذا

العلم بالفلسفة والأخلاق والعلوم بأوضح عبارة خالية من التزاويق التي يغري بها الدجالون صغار النفوس وهو تحت الطبع.

٨) **التجديد**

وقد وضع المؤلف عدة رسائل في التجديد في الحروف العربية واللغة والملابس والعلوم والأدب والسياسة والأصول الفقهية والعادات وغيرها ونشر معظمها في جريدة البلاغ ولما كثر طلبها جمعتها في كتاب يتجلى قريباً للناطقين بالضاد.

٩) **محيط التاريخ**

ولا يزال بين يديه محيط التاريخ وقد أنجز الجزء الأول منه حافلاً بتاريخ الأمم الشرقية قديمها وحديثها وخاصة مصر والعرب والعجم والهند والصين واليابان والتتر والترك ودول الشمال من الجزيرة العربية وبلاد المغرب والبربر والممالك الإسلامية وغيرها من الدول التي دالت وسيتلوه الجزء الثاني الخاص بالأمم الغربية قريباً إن شاء الله.

١٠) **دليل التجارة**

وقد أخرج المؤلف هذا الدليل التجاري أيام أن كان طالباً بالقسم التجاري الليلي بعد أن تجشم بعض الأعمال التجارية ومارسها في العطلات الصيفية فكان خير دليل لا يستغنى عنه التاجر.

١١) **دليل الصناعة**

ولاتصال التجارة بالصناء وضع المؤلف دليلاً فيه الصناعات التي يمكن مزاولتها بسهولة في بلادنا مع نداء حار للشباب والنهوض للعمل.

١٢) حكمة الصيام

وفي العام الماضي نشر المؤلف حكمة الصيام وبحث فيها بحوثاً عالية من حيث النفس والعقل والجسم والعمران والصحة والمدنية وغيرها مما يؤثر فيها الصيام وقد جمعها في كتاب خاص مع زيادات في حكمة الإسلام.

١٣) الأسرار الدينية

وهي نماذج عالية في تفسير بعض آيات القرآن الكريم الحاثة على النظر في ملكوت السموات والأرض واتصالها بالعلوم والعمل على السعادتين للمعاش والمعاد.

١٤) نظام الأمة

وهو مثال رائع في نظم الأمم وتكوينها وحكوماتها وقد خص القسم الثاني منه بما تشير إليه التربية الوطنية وفق المناهج التي وضعت لمصر وخاصة الدستور والبرلمان والقوات الحاكمة وغيرها.

١٥) المطالعة التاريخية

وقد صاغ المؤلف كثيراً من المثل التاريخية وخاصة الأسرة العلوية في قالب الحكاية والقصة فكان نموذجاً للمطالعات التاريخية.

١٦) **مختار المحفوظات**

واختار المؤلف كثيراً من القطع الأدبية النظمية والنثرية وشرحها بعناية وأعدها للطبع لتكون كمحفوظات حديثة وأثر أدبي للقرن الأخير.

١٧) **القصص**

ولما كان إقبال الناس في هذا العصر على القصص عظيماً فقد خاص المؤلف غمار القصة لكن للتاريخ والأدب والمثل العليا في الأخلاق وقد أسند ما وضعه فيها من الحوادث إلى المراجع التاريخية الصحيحة فكانت دروباً عالية في التربية وعظات بالغة في الحكم ثم بسط بضع عشرة قصة منها بإسهاب وأنجز منها:

- الطائف العربي وهي خاصة بعادات مصر وشئونها.
- مينو (عبد الله) وتبحث في الحملة الفرنسية وأثرها في مصر.
- التاجر الطماع وفيها تاريخ انكلترا ومستعمراتها ودهاؤها وسياستها.
- غادة الجد وهي مثال للحياة المصرية التي تمثل الاستقامة والشرف والمعرفة.
- توفيق وهي مثال الإخلاص والجد والنهوض للعمل والنهضة الحديثة.
- رمسيس الثاني وتبحث في تاريخ هذا الملك وآثاره بمصر قديماً.
- فتاة المريخ وهي صورة لشئون مصر ونهضتها وأخلاقها.
- المدنية الحديثة وهي نقد أدبي للتقاليد العمياء الحديثة.
- الملك الوحيد وهي قصة خيالية للحياة بعد ألف سنة وفيها رعاية لمصر واللغة العربية.
-

١٨) **روضة الأدب**

ولثقل الأدب على كثير من النفوس وضع المؤلف مثال نظماً ونثراً بالصور المشوقة إليه بأساليب شتى.

((والله المستعان))

الفهرس

مقدمة ٣

الباب الأول

مجد العرب القديم ٩

الباب الثاني

مجد الإسلام ٣٣

الباب الثالث

المجد في صدر الإسلام ٧٧

الباب الرابع

مجد الأندلس ١٠٣

الباب الخامس

آثار وعبر ١٢٩

فذلكة في تاريخ العرب ١٧٥

معجم الأسماء الواردة في الكتاب ١٩٣

مؤلفات الكاتب ٢٠١